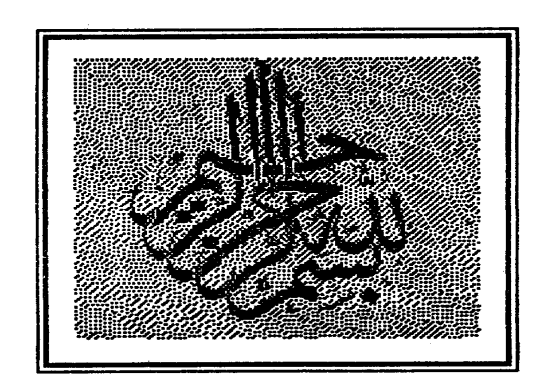
نظرية الخليل المعجمية

دكتور
محمد يوسف حبلص
كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

الناشر
دار الثقافة العربية
١٤١٢هـ – ١٩٩٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أمنا الرءوم دار العلوم .

بمناسبة الاحتفال بمرور عشرين ومائة عام على إنشائها وإيماناً بكل القيم النبيلة التى من أجلها أنشئت ، وامتد عطاؤها على يد كوكبة من صفوة علماء هذه الأمة ، فى علوم العربية والدين الإسلامى ، مستهدفين وصل الجوانب المضيئة فى تراثنا العربى - وفيه الأصالة - بما يناظرها مما يعالج العلماء فى العصر الحديث - وفيه المعاصرة - وتلك هى الأمانة التى حملها - ولم يزل - تلاميذ حفنى ناصف والغنيمى هلال وإبراهيم أنيس .



قالوا عن الخليل ....

أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه وهو فى خُصٍّ لا يشعر

النضر بن شميل

ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى رضوان الله عليه كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ؛ أقر بذلك أم جحد ، ولكنه رحمه الله ألف كتاباً مشاكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته .

أبو بكر بن دريد

اجتمعنا بمكة أدباء كل أفق فتذاكرنا أمر العلماء فجعل أهل كل بلد يرفعون علماءهم ويضعونهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق أحد إلا قال : الخليل أذكى العرب ، وهو مفتاح العلوم ومصرفها .

أبو محمد التوجى عن مراتب النحويين

مقدمة

إن من يتابع البحث اللغوى عند العرب عامة ، والدرس المعجمى على وجه الخصوص ، سيجد الخليل بن أحمد الفراهيدى يتبوأ مكانة المعلم الأول ، والأستاذ الحجة ، والإمام المبدع ، ولا يكاد ينازعه الريادة فى علوم العربية أحد . يجمع على ذلك السلف والخلف ، القدماء والمحدثون على سواء .

وإذا كانت ريادته فى علم النحو والعروض والمعجم فى غير حاجة إلى تأكيد أو إثبات فإن تناول الداسين له قديما وحديثاً على مستوى المعجم قد اقتصر على الإشارة إلى أنه أول من وضع للعربية معجماً أو صنف قاموساً بهذا الوصف العلمى لكلمة معجم أو قاموس ، وليس من شك فى أن وضع أول معجم فى أية لغة من اللغات على نحو وترتيب جديدين لاسابق لهما لهو من أعمال الصفوة العباقرة الخالدين كما يقول محققا العين فى تقديمه .

هذا الإطراء على جهد الخليل المعجمى بوصفه مؤلفاً معجمياً هو الذى دفعنى إلى إعادة النظر فى هذا الجهد ، حيث يرى البحث أن تقديم جهد الخليل على هذا النحو فيه تسطيح شديد لإبداعه ، فإن يكن وضع أول معجم فى لغة العرب إنجازاً هائلاً ، فإن وضع نظرية علمية منضبطة لنظام المعجم العربى لهو إبداع أكثر عظمة ، وأقرب إلى روح الجهد الذى قدمه الخليل ، وشتان بين تأليف أو تصنيف معجم فى لغة ما ، وبين وضع نظرية علمية تفسر نظام المعجم بوصفه أحد أنظمة اللغة ، الأول فن يجيده حرفيون فيه والثانى علم لا يبرُز فيه إلا علماء فى اللغة .

وهذه الدراسة معنية بإبراز جهد الخليل بوصفه نظرية علمية فى المعجم أكثر منه تصنيفاً لقاموس كما عنى الباحثون طويلا بتقديم هذا الجهد .

ولتحقيق هذه الغاية قسمت البحث إلى مقدمة ، وخمسة فصول وخاتمة .

عالجت فى الفصل الأول المنطلق المنهجى للبحث وهو بيان طبيعة عمل

الخليل بوصفه نظرية ، وميزت ذلك من عمل سواه من علماء المعاجم الذين جاءوا بعده بوصف ما قاموا به مجرد صناعة معجمية .

وجاء الفصل الثانى بعنوان الأساس الصوتى ، وفيه عالج البحث سبب لجوء الخليل لهذا المنهج دون غيره ، واعتمدت على نصوص الخليل فى إعادة قراءة هذا الأساس الذى اتكأ عليه فى فهم بنيه الكلمة العربية ، بحيث كان عمله الصوتى مجرد وسيلة لغاية وليس درساً صوتياً خالصاً .

وفى الفصل الثالث عرضت للأساس الكمى وأبرز البحث السبب الذى دعا الخليل إلى هذا التقسيم ، فكان عمله نوعاً من حصر أقل كمّ لحروف الكلمة وأقصى كم يمكن أن تبلغه ، والأمر ليس تصنيفاً لأبواب أو مداخل معجمية ، وإنما هو إجراء بحثى للتعرف على طبيعة الكلمة العربية ، يتعاون مع بقية الإجراءات الأخرى للكشف عن فلسفة النظام المعجمى .

وفى الفصل الرابع عرضت للأساس الثالث وهو الأساس التقليبى بوصفه آلية منهجية تكشف عن طاقات اللغة من جانب وتفسر طبيعة المادة المعجمية الأكثر دورانا ، والسلاسل الصوتية الأكثر تردداً من جانب آخر ، وما يقابل ذلك من مواد أقل شيوعاً ، كما طرح البحث أبعاد هذا التصور وامتداداته فى الاستفادة من نظرية المهمل أو الفضل عند علماء الرياضيات أو فى علاقة نظرية المهمل والمستعمل عند الخليل على المستوى المعجمى ببعض المفاهيم اللغوية الحديثة على مستوى النظرية اللغوية عامة والنحوية على وجه الخصوص .

وجاء الفصل الخامس ليطرح الأساس الرابع عند الخليل وهو الأساس الجذرى بوصفه الفلك الذى تدور فيه بقية الأسس والرابط الذى يصل الكلم العربى ، وعرضت لخصوصية هذا الأساس بالنسبة للعربية .

وطرح البحث أبعاد فكرة الجذر فى البحث اللغوى عند الخليل سواء ما

اتصل منها بفكرة الأصل والفرع عامة أم أصـل الكلمة خاصة ، كما تناول فى هذا الإطار الاتجاهات اللغوية المختلفة التى عالجت فكرة الأصل كالاتجاه القـائل بالثنائية والاتجاه القائل بالثلاثية وأبعاد ذلـك وما ترتب عليه مـن معالجات للظواهر الـلغوية كالـنحت والـقلب والإبـدال ، كل ذلك فى إطـار البحـث عن أثر الخـليل فـى هذه الاتجاهات ، ومنهجه فى معالجة هذه الظواهر فى ضوء معالجات خالفيه من اللغويين

وخُتم البحث بـاستعراض عدد من نتائـج الدراسة بعد تقديم لمـلـمة مركزة لما عالجه البحث أسلمت إلى هذه النتائج .

ومن الأمانة والعرفان بالفضل أن أذكر جهد عدد من الأصدقاء الذين كان لهم على صاحب البـحث مكرمـة تشجيعى على مـواصلة البـحث فى هذا المـوضوع وتزويدى بطائفة من المراجع ، وأخص بالشكر فى هذا المقام صديقى الدكتور محى الدين مـحسب ، الذى كـان يسألنى عن هذا البحـث أكثر مما يـسألنى عـن ابنى ، وكان هذا البحث موضوعاً على رأس قائمة كـل حديث جمعنى به على مدى أكثر من عام ، وأرجو أن يكون البحث على مستوى الحوار الجاد الذى دار بيننا حوله . كما أشكر الـصديقين الدكتور خلـيل عمايرة والدكتور منـذر العياشى لتشجيعهما المتـواصل ولما أمـدانى به مـن مراجع أفـادتنى فى إضاءة بـعض مسـائل عرض لـها البـحث . كمـا أشكر الـصديـق الدكـتـور محمـد الهنـداوى على تـفضـله بمراجـعة إحصاءات البـحث ومباركتـه لطبيعة المـعالجة التى عنـى بها — كما أشكـر كل من شارك فى إخراج هذا العمل من طباعة ونشر .

والله أسأل أن ينفع به طلاب الدراسات اللغوية العربية عامة ، وشداة الدرس المعجمى على وجه الخصوص ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد يوسف حبلص
جده — فى رمضان ١٤١٢ هـ
مارس ١٩٩٢ م

الفصل الأول
بين النظرية والتطبيق



بين النظرية والتطبيق

إن اللغة أية لغة هى مجموعة من الأنظمة اللغوية ، تؤلف فيما بينها منظومة واحدة ، أو نظاماً كبيراً هو اللغة ، فاللغة إذن نظام يشمل عدة أنظمة . هى النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى والنظام المعجمى والنظام الدلالى ، وكل نظام من هذه الأنظمة يستقل بدراسته فرع من فروع علم اللغة النظرى Theoretical linguistics فعلم الأصوات العام phonatics يتخذ النظام الصوتى موضوعاً له ، وعلم الصرف Morphology ، يعنى بدراسة النظام الصرفى ، على حين يختص علم النحو Syntax بدراسة النظام النحوى ، كما يستقل علم المعجم Lexicology ببحث النظام المعجمى ، بينما ينفرد علم الدلالة بالنظر فى أسرار النظام الدلالى للغة(1) .

وهذه الأنظمة تعمل متعاونة متكاملة فى إطار نظام واحد كبير هو اللغة يعنى بدراسة دراسة علمية تهدف إلى الكشف عن حقيقة النظام اللغوى علمٌ مستقل يعرف بعلم اللغة النظرى . وعلاقة العلوم اللغوية الفرعية بعلم اللغة هى علاقة الخاص بالعام كما هو واضح .

والكلام السابق يتجاوز الخلافات فى تقسيم العلوم اللغوية بين الاتجاهات المختلفة والمدارس العلمية إلى الحد الأدنى من الاتفاق ، كما يتجاوز اعتبار المعجم أو علم الدلالة نظامين من أنظمة اللغة . من منطلق أن كلا منهما جانب من جوانب النظام اللغوى ، وإذا لم يكن ممكنا تجاوز هذا الجانب فى التحليل اللغوى أو إدراك دورة فى أداء النظام لوظيفته ، أو فى فهم النظامية الواضحة فى علاقة عناصر كل نظام منهما على حده وعلاقتهما بالعناصر اللغوية فى الأنظمة اللغوية الأخرى . إذا كان ذلك كذلك فإن المعجم كما يظهر من هذه الدراسة نظام مستقل ، والدلالة كما استقر عليه أغلب الدراسين نظام كذلك مستقل وكلاهما قسيم لبقية الأنظمة

1 – انظر دراسات فى علم اللغة جـ2 صـ 10 – 12 .

الأخرى التى تنصهر معاً فى بوتقه النظام اللغوى العام فإذا كان النظام اللغوى هو مجموعة من القواعد والقوانين القابلة للوصف والتحديد والتى يعد الخروج عليها خرقاً للنظام يؤدى إلى خلل فى أداء اللغة لوظيفتها . فإن هذا النظام ينقسم بدوره إلى أنظمة داخلية أصغر هى الأنظمة التى سبقت الإشارة إليها ، وهى تخضع لنفس الضابط .

والمعجم فى ضوء ذلك نظام له قواعده وقوانينه التى يمكن تحديدها والتعرف عليها ، فالكلمة فى نظام المعجم لابد أن تبنى من أصوات اللغة صاحبة النظام اللغوى ، وإذا بنيت من أصوات خارج هذا النظام عُدَّ ذلك خروجاً على النظام المعجمى لِلّغه ، الأمر الذى يقتضى إخضاع الكلمة لسنن اللغة المعجمى يحدث ذلك حين تقابلنا أصوات كالگاف الفارسية والپاء التى تنطق كالفاء العربية وكذلك الڤاء فى اللغات الأوربية ، والراء الفرنسية وكبناء الكلمات من سلاسل ممنوعة فى النظام المعجمى مثل جق ، عح ثج ، قك .. الخ ولا يقول العلماء إن هذه الكلمة من اللغة إلا بناءً على قواعد لمعجم اللغة ، والحكم بكونها ليست من كلمات اللغة إنما يكون وفقاً لذات القواعد ، ومجىءكلمة فى اللغة العربية مبنية من عشرة أحرف مثلاً يجعلنا نقطع بأن الكلمة غير عربية لأن قواعد بناء الكلم فى معجم العربية الذهنى يقطع بألا تبنى الكلمة سواء أكانت اسماً أم فعلاً من أكثر من خمسة أحرف أصلية phonemes وتحديد كم المستعمل فى اللغة وتمييزه من المهمل يخضع لضوابط معينة ، ومعرفة الأصل الذى تبنى منه الكلمة وكيف تبنى تخضع لضوابط وقواعد أخرى كل ذلك يُمثل بعض عناصر النظام المعجمى .

ولعل المحكّ العملى البارز القادر على التثبت من نظامية المعجم ونظامية الدلالة شأن نظامية الأصوات والصرف والنحو هو المعنى . فإذا كان المعنى يتأثر بأى خلل مصدره المعجم فالمعجم إذن نظام ، ويكون ذلك بوضع وحدة معجمية فى تركيب وهى فارغة من المعنى ، أو ببناء غير صحيح ، أو من أصوات غير

أصوات اللغة ، وقس على ذلك الخلل الذى يترتب على عدم مراعاة عناصر النظام الدلالى الذى جزؤه الأول مرده إلى المبنى بكل عناصره الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وجزؤه الآخر السياق الخارجى بكل عناصره المعروفة فهل يغيب أى عنصر مما سبق ويبقى المعنى كما هو ؟ إذا كانت الاجابة بالنفى ، وهى كذلك بالقطع ، فالدلالة نظام كبقية الأنظمة الأخرى(١) .

وقد بنى أستاذنا الدكتور تمام دعواه فى القول بعدم نظامية كل من المعجم والدلالة على أسس تختلف عن الأسس التى يرتضيها البحث لمفهوم النظام اللغوى ، منها أنه بنى تصوره على أساس الفصل بين ما يسمى باللغة وما يسمى بالكلام ، وهو أمر لا يسلم به البحث ولا يتبناه ، ومنها أنه يشترط فى النظام أن يصلح للجدوله بحيث يكون للجدول بعد رأسى وبعد أفقى (انظر صـ ٣١٣ من العربية معناها ومبناها) ، وحين لم ير المعجم صالحاً لذلك لم يعتده نظاماً ، وشىء طبعى ألا يماثل المعجم الأنظمة الأخرى فى ذلك لأن البعدين الرأسى والأفقى يمكن التعرف عليهما فى النظام المعين من خلال تسييق الوحدات أما فى المعجم فيكون قبل وضع الوحدة اللغوية فى السياق الأمر الذى يجعل الجدولة على النحو الذى قام به غير مجدية فى اكتشاف قواعد المعجم بل إن الإجراء الكشفى الصوتى أو الإحصائى الرياضى هو الأنسب لاكتشاف هذه النظامية بالنسبة للمعجم خاصة . ونظامية الدلالية لا أدرى كيف ينفيها وهى مبنية على مجموعتين من القواعد ، الأولى قواعد وقوانين النظم الأخرى ، الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، وقواعد وقوانين الحال التى إذا لم تراع فسد المعنى وفهم على غير الوجه الصحيح .

وإذا تجاوزت الخلافات السابقة وارتضيت ما طرحته قبلُ من كون المعجم

---

١ – كان أستاذنا تمام حسان قد عَدَّ المعجم مجرد قوائم كلمات كما لم ينظر إلى المعنى بوصفه نظاماً من أنظمة اللغة . انظر العربية معناها ومبناها الفصل السابع والثامن .

نظاماً من أنظمة اللغة يعنى بدراسته فرع من فروع علم اللغة النظرى هــو علم المعجم ، فإن طبيعة هذا النظام كما أن موضوع هذا العلم فــى حــاجة إلى بعض بيان .

إن المعجم مصطلح لغوى قد يطلق ويقصد به النظام المعجمى ، وحينئذ يكون مقصوداً به المعجم الذهنى أو العقلى المتراكم فى ذهن الجماعة اللغوية ، أو هو المخزون اللغوى المعرفى الذى يمتلكه ابن اللغة والخاص بمفرداتها (١) . وبه يتعرف أبناء اللغة على كلمات لغتهم من خصائص بنيتها التى ألفوها ، وهو الذى يوجه قدرتهم الخلاقة على نسج كلمات تمتلك نفس السمات وذات المقومات فتقيس قياساً فطرياً على ما وعت من كلمات اللغة ، فتأتى الكلمات خاضعة لنفس النظام ومتفقة مع ذات السنن الذى يميز معجم أبناء هذه الجماعة من معجم سواها .

والعلم الذى يقوم بدراسة أسرار الكلمة فى النظام المعجمى على النحو السابق هو علم المعجم Lexicalogy ، والذى يتصدى للبحث فى إطار هذا العلم هو العالم اللغوى Linguists ، والوحدة فى المعجم الذهنى هى الكلمة word .

وقد يطلق لفظ معجم على ما يعرف بعلم صناعة المعجم Lexicogrophy أو فن صناعة المعجم وهو فرع من فروع علم اللغة التطبيقى Applied linguistics ، يعنى بصناعة القاموس Dictionary بوصفه قائمة من المفردات vocabulary مبوبة أو مصنَّفة بطريقة ما ، ومشفوعة ببيان الطريقة الصحيحة لكتابة الكلمة ونطقها وتصريفها ، وشرح معناها أو معانيها ، وعلى الباحث الذى يقوم بصناعة المعجم والذى يعرف بالمؤلف المعجمى Lexicographer أن يبحث فى طرائق أو أساليب التبويب المعجمى ، محاولاً الارتقاء بالصناعة المعجمية بهدف تيسير مهمة الباحثين فى المعجم ، ويدخل فى صميم عملة آنئذ كل الوسائل الممكنة لتحقيق هذا

١ - انظر اللسانيات واللغة العربية ص ٣٦٧ وما بعدها . وانظر كذلك المعجم العربى نماذج تحليلية جديدة ص ٢٤ .

الهدف لتحديد أفضل وسائل الإيضاح من لوحات وصور ، كذلك محاولة الإستفادة من إمكانات الطباعة من تنويع فى اللون وحجم الخط ، وكل ما من شأنه أن يسهل مهمة شداة المعجم بوصفه قائمة مفردات . وتتقاس كفاءة هذا العمل بمدى ما وصل إليه واضع القاموس من تبسيط فى إجراءات الكشف عن المفردة ، وفى الإحاطة والشمول والاستقصاء لمادة اللغة ، وفى تدارك المعانى الأصلية والفرعية للصيغة .

والفرق إذن بين عالم اللغة الذى يتصدى لنظرية المعجم من جانب وبين المؤلف المعجمى الذى يصنِّف القاموس يشبه الفرق بين عالم الرياضيات النظرى وعالم الرياضيات التطبيقى أو بين المهندس الذى يصمم ، والمعمارى الذى ينفذ التصميم .

واللغويون المحدثون يعون تماماً الفرق بين الدراسة اللغوية النظرية – ومنها دراسة نظرية المعجم – وبين الدراسة اللغوية التطبيقية – ومنها صناعة المعجم [1] .

فإلى أى الصنفين من الدراسة المعجمية ينتمى عمل الخليل المعجمى ؟ ... يتمثل جهد الخليل فى مجال المعجم فى كتاب (العين) ، وهو عند جمهرة الدراسين أول معجم Dictionary وضع فى اللغة العربية [2] . وإن كان بعض

---

١ – انظر فروع الألسنية ٢٠٦ من كتاب الألسنية علم اللغة الحديث . وانظر كذلك فى علم اللغة التطبيقى صـ ١٢ وما بعدها ، وانظر كذلك علم اللغة وصناعة المعجم صـ ٩ وانظر فقه اللغة لمحمد أبو الفرج صـ ١٢٦ .

٢ – كان (العين) معجما غير معروف حتى منتصف القرن الثالث الهجرى إلى أن جىء به من خراسان ، ودار جدل عريض بين العلماء حول نسبته للخليل ، أفاض السيوطى فى عرضه فى مزهره ، وقد رجح أكثر الدراسين نسبته إليه ، وفندوا دعاوى المنكرين ، ولمزيد من التفصيل فى هذا الجانب راجع :

المزهر ٧٧/١ وما بعدها ، والمعاجم العربية صـ ٥٦ – ٦٨ ، والمعجم العربى ٢٧٩/١ – ٢٩٦ ، والبحث اللغوى عند العرب ١٦٤ – ١٧٠ .=

الدراسين يرون أن الجيم لأبى عمرو الشيبانى أسبق منه .

ويكاد يجمع القدماء على أن المقدمة أو التأسيس المجمل فى صدر (العين) هى للخليل ، على حين أنهم انقسموا بين مؤيد ومعارض لنسبة الكتاب إلية ، ويعنينى من أمر ذلك هو اتفاقهم على نسبة المقدمة للخليل ، أو اتفاق أغلبهم ، فالأزهرى صاحب التهذيب وهو من أشد المنكرين لنسبة الكتاب للخليل ، وأكثر المتحاملين على الليث بن المظفر الذى إليه تنتهى رواية العين يقول عن المقدمة : « ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المجمل فى أول كتاب العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه ، وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه ، فرأيت أن أحكيه بعينه لتتأمله ، وتردد فكرك فيه ، وتستفيد منه ما بك الحاجة إليه ، ثم أتبعه بما قاله بعض النحويين مما يزيد فى بيانه وإيضاحه (١) .

ويكفينى هذا النص فيما أنا بصدده ، فالتأسيس الذى يكاد يجمع الباحثون قديماً وحديثاً (٢) . هو أهم أجزاء الكتاب لدىّ . ففى تلك المقدمة طرح الخليل نظرية

= وقد نشر الأب أنستاس الكرملى جزءاً منه فى بغداد سنه ١٩١٤ ولم يتمه ، ثم قام أستاذنا الدكتور عبد الله درويش بنشر الجزء الأول محققاً تحقيقاً علمياً فى بغداد أيضاً سنه ١٩٦٥ ولم تصدر بقية الأجزاء ، وقد قام أخيراً الدكتوران مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى بتحقيق الكتاب كاملاً ونشر فى ستة أجزاء من الحجم المتوسط ، فى بغداد أيضاً سنه ١٩٨٠ م ، وعلى النسخة الأخيرة كان اعتمادى فى هذا البحث ، عند حديثى عن العين خاصة . وقد رمزت إلى إحالتى إليه بالرمز (ع) على حين رمزت إلى إحالتى إلى التهذيب بالرمز (هـ) .

١ — هـ : ٤١/١ .

٢ — ذكر Haywood « أننا لسنا متأكدين من أن الخليل كتب كتاب العين ولكن هناك شكاً أقل فى أن المقدمة تمثل فكر الخليل » اهـ ولعل وجود بعض الشك حتى فى المقدمة راجع إلى تيار الاتهام الذى تعرض له العين إجمالاً ». انظر Arabic Lexicography, B 28 .

علمية متكاملة تكشف عن وعى وبصر بأسرار نظام المعجم العربى ، تماثل فى اكتمالها وانضباطها كل أعمال الخليل المتفردة بالنضج ، والمتسمة بالاكتمال ، كإبداعه فى العروض ، وتأسيسه للنحو .

أما الجزء المشكوك فى أمره فهو الجانب من الكتاب الذى يمكن أن نطلق عليه مصطلح معجم أو قاموس Dictionary ، ولن يكون اعتمادى فى هذا البحث على هذا الجزء من الكتاب ، اللهمَّ إلا فيما يمكن أن يدعم الفكرة النظرية بالمثال .

وإذا كان هذا البحث ينطلق من القناعة العلمية بأن الخليل من خلال كتابه العين أو من خلال مقدمته فقط إن أردنا الدقة إنما هو منظرٌ معجمى فليس يعيبه عندى ألا يكون مؤلفاً معجميا ، أو أن يكون باعه فى صناعه المعجم أقصر منه فى إبداعه التنظيرى . هذا إن سلمنا جدلاً – وهو غير ما أعتقد – أن متن العين جاء كما أراد الخليل ، أو على النحو الذى اختطه فى مقدمته ؛ لأن ثمة هنات وقعت فى المعجم ، أغلب الظن أنها من وضع آخرين ، وهو أمر متوقع إذا وضعنا فى الاعتبار أنه وضع فى فترة مبكرة من تاريخ البحث العلمى عند العرب ، وأن كثيراً من الأعمال المماثلة فى علوم كثيرة تعرضت لما تعرض له العين من تدخل فى النص ، أو خطأ فى النسخ ، أو غير ذلك من أسباب (١) .

المقدمة إذن أو التأسيس المجمل فى أول كتاب العين هو أكثر أجزاء الكتاب اقتراباً من الخليل ، وأدناها إليه من حيث المنهجية والدقة كما سيظهر من ثنايا البحث ، وهى موجودة فى النصّ المحقق من العين ، وموجودة بصورة مشابهة فى مقدمة التهذيب للأزهرى ، وهو بتحقيق أستاذنا المرحوم عبد السلام هارون ، وثمة نقول كثيرة عن الخليل فى المحكم ، والبارع ، ومختصر العين ، والمزهر ، وهى

١ – يقول ثعلب : إنما وقع الغلط فى كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يحشه ، ولو كان حشا ما بقى منه شىء، لأن الخليل رجل لم يُر مثله ، وقد حشا لكتاب أيضاً قوم علماء إلا أنه لم يؤخذ منهم رواية ، وإنما وُجد بنقل الوراقين فاختل الكتاب/انظر المزهر : ٨٢/١ .

كافية لبيان تصوره عن نظام المعجم ، وإبراز نظريته كما تخيلها .

وقبل أن نسقط مصطلح نظرية على عمل الخليل فى العين يجمل أن نتعرف ابتداء المقصود بالنظرية ونتعرف من خلال ذلك على طبيعة عمل الخليل ، وهل هو من قبيل التنظير اللغوى فى مجال المعجم . كما يفترض هذا البحث ، أم من قبيل الصنعة المعجمية ؟ فالذين نظروا لكتاب العين ولم يتفهموا حقيقة ما انطوى عليه من جهد تنظيرى حملوا على منهجه واتهموه بالصعوبة ورداءة التصنيف ، فهذا ابن منظور صاحب اللسان يحمل على التهذيب والمحكم وهما أكبر معجمين طبقا نظرية الخليل المعجمية قائلاً « غير أن كلاً منهما مطلب عسر المهلك ، ومنهل وعر المسلك ، وكأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً وجلاّهم عنه ، وارتاد لهم مرعىً مَرْبعاً ومنعهم منه ، وقد أخّر وقدّم ، وقصد أن يعرب فأعجم فرّق الذّهن بين الثنائى والمضاعف والمقلوب ، وبدّد الفكر باللفيف والمعتل والرباعى والخماسى فضاع المطلوب ، فأهمال الناس أمرهما ، وانصرفوا عنهما ، وكادت البلاد لعدم الإقبال عليهما أن تخلو منهما ، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب [1] » .

فهذا الهجوم الكاسح على منهج الخليل ومن لفّ لفّه لا يستقيم إلا لأن ابن منظور يقيمّ هذا المنهج من خلال الصنعة المعجمية ، أما إنه لو كان يمتلك القدرة على تقييم هذا المنهج من زاوية النظرية وهو العلم الذى لا يجيده كما سيثبت هذا البحث لغير حكمه ، ولا أريد أن أتقدم البحث فى إصدار الأحكام ، وإنما أترك لهذه الدراسة أن تكون حكماً بين عمل الخليل وبين أحكام ابن منظور ، وللأرقام التى لا تحابى فى النهاية كلمة .

---

١ — انظر مقدمة اللسان جـ ١ صـ ٧. وانظر بعضاً من النقد الذى وجه لمنهج الخليل فى الصحاح ومدراس المعجمات العربية صـ ٧٩ — ٨٠ .

مفهوم النظرية اللغوية :

حين يحاول اللغويون تحديد المقصود بالنظرية اللغوية – وفى إطارها تكون النظرية الصوتية أو النحوية أو المعجمية – فإنهم ينطلقون من تعريف النظرية لدى علماء الرياضيات ، وعليه فإن مفهوم نظرية عند اللغويين إنما هو مأخوذ من تعريفهم ، يرى بورباكى Bourboki أن النظرية هى « تكوين فرضى استنتاجى » وتتمثل عناصر هذا التكوين فى « عدد قليل من الكلمات التى لا تتبدل » وفى كون هذه الكلمات « تجتمع حسب نظام يتألف من عدد قليل من القواعد التى لا يمكن خرقها (١) » .

ومن خلال التعريف السابق يتبين لنا أن النظرية تقوم ابتداء على أساس كونها فرضية تم استنتاجها ، وهى محكومة بنظام من القواعد المطردة التى لا خلل فيها ، وحين ننتقل إلى اللغويين أنفسهم سنجد أنهم يدورون بالفعل فى نفس الفلك إذ النظرية عندهم هى « تفسير شامل يتناول المعطيات اللغوية ويتخطاها باتجاه تفسير التنظيم القائم ضمن هذه المعطيات ، وباتجاه التكهن بأن معرفة هذا التنظيم هى التى سوف تفسر كل المعطيات اللاحقة ، وترتبط صحة النظرية بمقدار صحة هذا التكهن (٢) » .

ويركز بعض اللغويين فى تحديده لمفهوم النظرية اللغوية على تحديد أهدافها أكثر من محاولة تعريفها ، وبناء على ذلك يرى موريس جروس أنه يجب على النظرية « أن تصل إلى وصف الكليات اللغوية (٣) » أما هلمسليف فيرى أن على النظرية اللغوية أن تضع « إجراءات قادرة على وصف أشياء معينة ذات طبيعة محددة وصفاً غير متناقض وشاملاً ، كما يجب أن تكون النظرية عامة ، بمعنى أن

---

١ – علم اللغة فى القرن العشرين صـ ٢١٢ .

٢ – الألسنية – النظرية اللغوية صـ ١١٥ .

٣ – السابق صـ ٢٣٠ .

تضع فى متناولنا مجموعة أدوات تتيح تمييز – ليس فقط – شىء محدد أو شىء سبق أن أخضعناه للتجربة ، بل كل الأشياء الممكنة والمفترضة من النوع نفسه ، ويجب أن تصلح الأدوات النظرية التى تستعلمها لكل الاحتمالات وليس فقط كما سبق أن التقيناه ... كما أن النظرية تختار بين هذه الإجراءات تلك التى تؤمن الوصف الأكثر بساطة ، ولئن أتاحت إجراءات متعددة أوصافاً تكون لنتائجها نفس الدرجة من حيث البساطة فهى تختار تلك التى تتبع الطريق الأكثر بساطة ، ندعو هذا المبدأ المستنبط من مبدئنا التجريبى مبدأ البساطة » ويضيف هلمسليف فى تحديده للنظرية اللغوية وأهدافها « باستطاعتنا إذن أن نقرر قيمة نظرية اللغة وتطبيقاتها من خلال التحقق من أن النتائج الحاصلة مع كونها تتوافر فيها متطلبات غير التناقص والشمول هى فى نفس الوقت أكثرها بساطة بقدر الإمكان ... ونشدد على المظهر الواقعى للمسألة من خلال البحث عن الطرق التى تنتج ضمان ملاءمة النظرة ، يجب لذلك إبراز مكونات كل بنية لغوية ، وتفحص النتائج المنطقية الناجمة عن إدخالها فى التعريف (١) .

من كل الطروحات السابقة سواء المتصل منها بتحديد مفهوم النظرية أم المتعلق ببيان أهدافها يتبين لنا أن النظرية اللغوية ليست سوى :

أ – فرضية استنتاجية تفسر الظاهرة اللغوية .

ب – يجب أن يكون التفسير كلياً ومطرداً ، ويتسم بالشمول .

جـ – يجب ألا يكون ثمة تناقض بين معطيات هذه الفرضية بل يحكم عناصرها الاتساق .

د – يحسن أن تكون ملتزمة بمبدأ البساطة فى المبادئ التى تتكئ عليها ، وفى إجراءات التطبيق كذلك .

هـ – أن تكون ملائمة كذلك للغة التى وضعت لها ، وهذا مظهر أساسى لقياس

---

١ – السابق صـ ٢٣١ .

كفاءة النظرية ، وإمكانية التحقيق من صحة الفرضية .

ولو تناولنا على سبيل المثال نظرية الفونيم عند أنصار حلقة براغ سنجد أنها نموذج لنظرية لغوية يتوافر لها كل العناصر التى سبقت الإشارة إليها من قدرتها على تفسير الظاهرة الصوتية واطرادها وشمولها وعدم التناقص فى عناصر الفرضية واتصافها بالبساطة ، وإمكانية التطبيق .

فهل جهد الخليل فى مجال المعجم هو من هذا القبيل ، هل قدم الرجل فرضية لغوية تفسر نظام المعجم ، وهل عناصر هذه الفرضية تتسم بالاطراد والشمول والبساطة ، وهل هى فرضية ملائمة للعربية ؟ وهل يمكن التأكد من صحة فرضية الخليل بشكل عملى ؟ هذا ما يسعى البحث جاهدا إلى التأكد منه .

أسس النظرية عند الخليل :

إن القراءة الهادئة لمقدمة العين ستكشف عن ركائز محددة أو أسس معينة لا يكاد يخطئها المتأمل ، ويشكل كل أساس منها عنصراً جوهرياً من عناصر المنهج ، وتتعاون هـذه العناصر أو الأسس الأخرى لتشكل فرضية علمية أحسبها قادرة على أن تقدم أفضل تصور منهجى لفلسفة المعجم العربى حين وضعت هذه الفرضية .

أما هذه الأسس فتنحصر فى أربعة هى :

١ – الأساس الصوتى .

٢ – الأساس الكمى .

٣ – الأساس التقليبى .

٤ – الأساس الجذرى .

وحسب مقومات النظرية عند المحدثين يجب أن تكون هذه الأسس قادرة على تفسير النظام المعجمى تفسيراً كلياً مطرداً . ومناسباً للغة العربية ، ويتسم

التفسير بالبساطة وإمكانية التحقق من كل ذلك .

وقبل أن نعرض لكل أساس من هذه الأسس بالتفصيل ، ونتعرف من خلال العرض على مدى انطباق ذلك على ما طرحه الخليل . فإن مسألة الأصالة فى نظرية الخليل قضية قد شغلت الدراسين قديماً وحديثاً ولابد أن عمل الخليل الفذ فى مجال المعجم قد لفت أنظار هؤلاء الباحثين ، فوجدوا فى محاولة الخليل نقلة منهجية فى مجال البحث المعجمى ، جعلت من العرب بسبب هذا العطاء الخليلى الذى يشبه الطفرة العلمية أمة من الأمم العظيمة فى هذا الميدان . الأمر الذى دفع باحثاً غربياً مثل Haywood إلى القول بأن العرب : « يحتلون مكان الصدارة فى مجال المعجم سواء فى الزمان أم المكان وبالنسبة للعالم القديم أم الحديث وبالنسبة للشرق أم العرب » (١) .

ولا أريد لهذا البحث أن يتجه هذه الوجهة من الحماس أو ينبرى لتأكيد أن عمل الخليل خاصة والإنتاج العربى فى مجال المعجم عامة أصيل ، ويتصدى بالدحض والتنفيذ لدعاوى من قال إنه تأثر بالهنود أو الإغريق فى هذا المجال (٢) . فآخرون حاولوا ذلك . وإنما هذا البحث سيركز على إظهار أن عمل الخليل فى مجال المعجم نظرية مكتملة بهذا المفهوم العلمى . وسيتناول بالتحليل نصوص الخليل لبيان هذا ، أما الأصالة وعدم الأصالة فتلك قضية خارجة عن اهتمام هذا البحث . أو يرى البحث أن الانشغال بها هو نوع من الحساسية التى تشغل بال البعض فليس يعيب الخليل فى شىء أن يكون أفاد فى بعض جوانب نظريته من هنا أو هناك ، فهذا عندى ليس سبه أو تهمة يجب التصدى لها ودحضها لنخلص فى النهاية إلى اعتبار عمل الخليل إبداعاً عربياً محضاً ، إن هذا ليس تفكيراً علمياً ، ولا

١ – انظر Arabic lexicography B.2 .

٢ – انظر فى ذلك تاريخ آداب اللغة العربية ١٢/٢ ، وتاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية صـ ١١٤ وما بعدها . وانظر كذلك البحث اللغوى عند العرب صـ ٣٣٩ وما بعدها ، والبحث اللغوى عند الهنود صـ ١٣٧ وما بعدها .

يجب أن يكون غاية ينفق الجادون جهداً أىَّ جهد لإثباتها أو نفيها ، وأكاد أقول إن إثباتها ربما يضيف للفكر العربى فضلا لا يقل عن فضل نفيها ، لأنه يؤكد أن العرب كانوا عنصراً فاعلاً فى صرح البناء المعرفى للإنسان وحلقة من حلقات العطاء المؤثر فى حضارته على امتداد التاريخ البشرى ، شأنهم فى ذلك شأن كل الأمم العظيمة التى تسهم بنصيب فى تشييد صرح الحضارة الإنسانية ، وهذا مالا نستفيده من اعتبار عمل الخليل مجرد ومحضه غير مسبوقة وغير متبوعة ، وليست ذات اتصال بتراث البشرية العلمى . فإن كانت محاولة الخليل إبداعاً تنظيرياً من بنات أفكاره فهو عالم عظيم ظهر فى أمة عظيمة ولا غرابة أن يبدع العظماء من العلماء فى أى زمان وأى مكان ، وإن يكن استفاد من بعض الأطر المعرفية فى تأسيس نظرية من هنا أو هناك ثم طورها ووضع للعربية نظريته التى تحمل فى طياتها كل ملامح النظرية العلمية المتسقة والملائمة للغة التى لها وضعت ، فهذا الصنيع فيه من الفضل ما يجعل من الخليل أحد العلماء الأفذاذ الذين أسهموا بنصيب فى بناء النظرية اللغوية عامة والمعجمية خاصة على مدى التاريخ الإنسانى لهذه النظرية أو تلك ، ففى النظرية التحويلية التوليدية – على سبيل المثال – عناصر بعضها عقلى يرجع إلى الإغريق وإلى همبولت الألمانى وبعضها وصفى يرجع إلى الهنود ودى سوسير السويسرى وبعضها رياضى وبعضها نفسى وبعضها منطقى ، فهل فكر أحد فى التصدى لشومسكى وإرجاع كل عنصر من عناصر نظريته إلى أصلها . وقتها لن يتبقى لصاحب النظرية إلا تهمة السرقة العلمية . وهو عكس ما يحظى به الرجل فى الدنيا كلها من اعتباره واحداً من ألف رجل صنعوا حضارة القرن العشرين .

الذى يستحق البحث إثباتاً أو نفياً أين نحن العرب المعاصرين من ركب الحضارة المعاصرة ، وما نصيبنا الذى نسهم به إن إبداعاً وإن مشاركة فى تشييد هذا الصرح الشامخ الذى تسهم فيه أمم كثيرة لسنا بحال أقل من كثيرين من المشاركين قدرة على العطاء ؟ إن تكن تهمة بالتقصير لا صواب فيها فما أحوجنا

لمن يدحضها حتى نستعيد ثقتنا فى أنفسنا وفى قدرتنا على العطاء الخلاق . وإن تكن سبة حقيقية فما أحوجنا لمن يحرك فينا النخوة لنسهم بالدور الذى علينا أن نقوم به لنكون صناع حضارة كغيرنا ، ونتبع الأولى التى قام بها أوائلنا العظام ومنهم الخليل بالثانية التى هى مسئولية المتقاعسين من أسلافهم .

أعود مرة أخرى إلى مفهوم النظرية اللغوية ، وإلى مدى انطباق هذا المفهوم على عمل الخليل فى مجال المعجم ، فأجد أن بقية فصول هذا البحث ستتولى الإجابة عن هذا . كما سيتبين لنا كذلك أنها مجموعة عناصر فريدة فى تشكيل نظريته ، فلم نقرأ أن أحداً أقام نظرية فى المعجم على أساس صوتى يتكئ على نظرة كمية ، ويوظف خلال ذلك المنهج الرياضى فى تصور مادة المعجم ، ويجعل من الجذر محوراً لربط المادة المعجمية ، إنها عناصر كما سنرى شديدة التداخل والتكامل ، وفيها بصر بجوانب خاصة بالعربية ، وسنرى مدى الاتساق والشمولية والبساطة فى كل عنصر على حدة ، وفى مجموعة العناصر حين تتداخل وتتكامل أيضاً .

الفصل الثاني

الأساس الصوتى



الأساس الصوتي

١ – ١ كان الأساس الصوتي ركيزة منهجية صلبة : في نظرية الخليل المعجمية ، وجاء كل حديثه عن أصوات العربية ومخارجها وصفاتها في معرض حديثه عن بنية المعجم العربي ، ومبلغ علمي أنه أول من وظّف الدرس الصوتي بوصفه أول مستوى من مستويات التحليل اللغوي في خدمة مستوى تالٍ من مستويات هذا التحليل ، وهو أمراتهم الدارسون القدماء – أوجلهم بعدم الالتفات إليه أو الاستفادة منه ، وعد تأخيرهم لمباحث الأصوات في نهاية مؤلفاتهم نوعاً من الإهمال أو عدم الوعي بقيمة الدرس الصوتي في خدمة مستويات التحليل الأخرى كالصرف والنحو والدلالة [1] .

ومن خلال الأساس الصوتي سيتبين لنا أن الرجل لم يقدم في كتاب العين دراسة صوتية خالصة ، وإنما كان يعالج إشكالية تفسير نظام المعجم العربي ، ومحاولة فهم أسرار البنية المعجمية للكلمة العربية أو التعرف على خصائصها التركيبية أو نسيجها الصوتي ، ونظراً لأن الكلمة في المعجم بوصفه نظاماً هي الكلمة المنطوقة ، وهي تتركب من وحدات صوتية أو ما أطلق عليه الخليل مصطلح (حروف) [2] ، ولم يكن يعني غير فونيمات اللغة ، ولم يكن يقصد تبعاً لذلك ما يسمى بالرموز الكتابية letters أو graphs ؛ لأنه لا يفكر في صناعة معجم كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل السابق . ولما كان يفكر في المعجم كنظام ووحدته الكلمة المنطوقة وهي تتركب من أصوات اتجه الرجل إلى أصوات اللغة إذ هي اللبنات التي منها تتشكل الكلمة ، هذا الاختيار إذن – أقصد الاختيار الصوتي – فرضته طبيعة الدراسة المعجمية التي هو بصددها ، ولم يكن له أن يأخذ

---

١ – انظر على سبيل المثال دراسات في علم اللغة ق ٢ صـ ٢٣ / وما بعدها .

٢ – وهكذا سار خالفو الخليل من النحاة على هذا الاصطلاح انظر دروس في علم أصوات العربية صـ ١٤٨ .

فى تصنيفه المعجمى بالأساسين الآخرين اللذين كانا مطروحين أمامه لعملية التصنيف وهما الأساس الألفبائى ، والأساس الأبجدى .

فهو لم يتجه للترتيب الألفبائي Alphabetical arrangement الذى وضعه نصر بن عاصم أ ب ت ث الخ الذى ظن الباحثون أنه كان أولى بالاتباع لسهولته ويسره لأن هذا الترتيب قائم على أساس وصف الرموز الكتابية ، بدليل أنه ترتيب قائم على أساس المجموعات المتشابهة فى الرسم الكتابى كما هو معروف وكما يظهر مما يلى : ب ت ث / ج ح خ / دذ / رز / س ش / ص ض / ط ظ / ع غ / ف ق / الخ وهى كما سبق القول حروف كتابية graphs وليست وحدات صوتية phancmes والأولى كما نعرف صورة والثانية هى الأصل ، والأولى قاصرة فى أغلب الأحوال عن تمثيل الثانية ، ولا يخفى أن رجلا يسعى إلى التعرف على الأعضاء التى يتركب منها جسم ما عليه أن يذهب إلى هذا الجسد ويشرحه ، ولو لجأ إلى صورة الجسم لما أدرك شيئاً ذا قيمة . وهذا هو حال الخليل حين اتجه إلى الترتيب الصوتى انطلاقاً من الغاية التى يسعى إليها وهى دراسة خصائص الكلمة المنطوقة فى النظام المعجمى ، وليس الأمر أمر سهولة وصعوبة من جانب كما أنه ليس فى حاجة إلى الإحالة إلى تبريز الخليل فى الأصوات ، أو اهتمامه الشخصى بها قياساً على اهتمامه وإبداعه فى الموسيقى والعروض من جانب آخر لأنه توجهه إلى النظام الصوتى كان لأسباب موضوعية فرضتها طبيعة الدراسة المعجمية التى يتصدى لها ، وإحالة الأمر إلى شخصية الخليل التى تتمتع بالحاسة الصوتية يجعل اختيار المنهج الصوتى راجعاً لسبب شخصى ذاتى لا موضوعى وهو خلاف الحقيقة ، ولئن كانت حاسته الصوتية قد ساعدته على تبين الطريق التى كان عليه أن يسلكها فإن هذا الأمر قد أعطاه فقط ميزة امتلاك أدوات المعالجة وساعدته على تحقيق أفضل النتائج العلمية وهذا أمر طبيعى حين يأخذ العالم المدرب الذى لديه الحاسة الصوتية المطلوبة والدربة الكافية بالمنهج العلمى الدقيق المناسب لموضوع بحثه ، والذى تفرضه طبيعة الموضوع الذى يتصدى له .

الترتيب الألفبائى إذن ليس هو الترتيب الملائم لموضوع البحث وهو خصائص الكلمة المنطوقة كما أنّ الترتيب الأبجدى السامى القديم : أبجد هوز حطى كلمن .. الخ هو الآخر ترتيب لرموز كتابية ابتدعها الفينيقيون وطوروها عن نظام الكتابة التصويرية الهيروغليفية – على أشهر الآراء – واختصروا اثنين وعشرين رمزاً كتابياً لاثنتين وعشرين صورة ، بدءاً بألف وتعنى الثور فى الفينيقية أو ألفا فى اليونانية أو ألف فى العربية ثم بيث وتعنى (بيت) فى الفينيقية وهى فيتا اليونانية أو الباء العربية ثم جيمل وتعنى (جمل) فى الفينيقية وهى جملا اليونانية أو (جيم) العربية ... الخ هذه الأبجدية [1] .

وكما لم يجد الخليل فى الألفبائية العربية سبباً موضوعياً ليتخذها أساساً للتصنيف لأنها كما سبق القول مجرد رموز كتابية تمثل الكلمة الصامتة فى القاموس ، ولا تصلح لتمثيل الكلمة المنطوقة فى النظام المعجمى ، نستطيع القول إنه لم يأخذ بالأبجدية السامية لنفس السبب .

١ – ٢ – اللجوء إلى جهاز النطق لحصر الوحدات الصوتية :

إن الجهاز المسمى تجاوزاً جهاز النطق هو الآلة التى تصدر أصوات الكلام ، وأى صوت يخرج عن غير هذا الجهاز لا يدخل فيما يسميه اللغويون بالصوت اللغوى . إن رجوع الخليل إلى مصدر إنتاج الصوت اللغوى هو إدراك مبكر لطبيعة هذا الصوت ، كما أن الالتفات إلى بداية إخراج الصوت اللغوى ونهايته فى هذا الجهاز تعكس ملمحاً منهجياً فى فكر الخليل اللغوى وأعنى به الشمولية فى النظرة فهو كما سنرى فى هذا البحث – بل وفى كل أعمال الخليل العلمية تقريباً – يأخذ بهذه الآلية فى التفكير فإذا كان عليه أن يحصر كل الأصوات فيمكنه أن يتتبع ذلك من أعمق الأصوات مخرجاً إلى آخرها مخرجاً وقتها لن يفوته صوت واحد ، وهذا

---

١ – انظر فى هذا تاريخ الأدب ص ٥٤ ، ٥٥ والفلسفة اللغوية صـ ١٦٥ ، واللغة (لفندريس) صـ ٣٩٧ وما بعدها وانظر تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين صـ ٧١ .

ما فعله الخليل الذى قام فضلاً عن ذلك بوصف الأصوات بعد أن وضعها فى مجموعات بحسب الاتفاق فى المخرج ، وهو عمل سيكون له قيمة فيما بعد عند تحليل الظواهر اللغوية والتعرف على السلاسل الصوتية الأكثر دوراناً والأقل تردداً ، وكذلك الأصوات التى يمكن أن تتبادل فيما بينها فى بنية الكلمة كحروف العلة أو أصوات الحلق الخ ... وليس ثمة اعتبار موضوعى لترتيب الأصوات يماثل فى الدقة الترتيب المخرجى ، وإن يكن المحدثون يبدءون بآخر مخرج وهو الشفة ، وينتهون بأول مخرج أو أعمق مخرج وهو الحنجرة وهذا عكس ما فعله الخليل وتلاميذه كسيبويه ومن جاءوا بعده كابن جنى فليس ذلك بعيب فى صنيع الخليل ومن لفَّ لفه ، إذ لا ميزة لأحد الأسلوبين فى وصف الأصوات على الآخر ، فالغاية فيهما واحدة ، وهى متحققة بأيهما بدأت ، والعبرة فى النهاية بدقة التحديد للمخرج وسلامة التوصيف لطبيعة الصوت .

نجح إذن الخليل فى اللجوء إلى الترتيب الصوتى ، ووفق كذلك فى الرجوع إلى جهاز النطق لحصر أصوات اللغة كنعصر من العناصر المنهجية التى تعينه على تحقيق مبدأ الكلية أو الشمولية فى الوصف وهو أمر أدركه بعض اللغويين . فهذا الأزهرى يعلق على فهم بعض العلماء فهماً غير دقيق لقول الخليل « هذا ما ألفه الخليل بن أحمد من حرف أ ب ت ث التى عليها مدار كلام العرب وألفاظها ، ولا يخرج شئ منها عنها » حيث فهم البشتى صاحب التكملة كلام الخليل فهماً خاطئاً فقال : « نقض الذى قاله الخليل ما أودعناه كتابنا هذا أصلاً ، لأن كتابنا يشتمل على ضعفى كتاب الخليل ويزيد ، وسترى تحقيق ذلك إذا حزت جملته ، وبحثت عن كنهه » فيعلق الأزهرى على ذلك قائلاً : « ولما قرأت هذا الفصل من كتاب البشتى استدللت به على غفلته وقله فطنته ، وضعف فهمه ، واشتففت أنه لم يفهم عن الخليل ما أراده ، ولم يفطن للذى قصده ، وإنما أراد الخليل رحمه الله أن حروف أ ب ت عليها مدار جميع كلام العرب ، وأنه لا يخرج شئ منها عنها ، فأراد بما ألف منها ، معرفة جميع ما يتفرع منها إلى آخره ، ولم يرد أنه حصل جميع

ما لفظوا به من الألفاظ على اختلافها ، ولكنه أراد أن ما أسس ورسم بهذه الحروف وما بين من وجوه ثنائيها وثلاثيها ورباعيها وخماسيها فى سالمها ومعتلها على ما شرح وجوهها أولاً فأول ، حتى انتهت الحروف إلى آخرها ، يعرف به جميع ما هو من ألفاظهم إذا تُتبع ، لا أنه تتبعه كله فحصّله ، أو استوفاه فاستوعبه من غير أن فاته من ألفاظهم لفظه ، ومن معانيهم للفظ الواحد معنى ، ولا يجوز أن يخفى على الخليل مع ذكاء فطنته وثقوب فهمه أن رجلاً واحداً ليس بنبى يوحى إليه يحيط علمه بجميع لغات العرب وألفاظها على كثرتها حتى لا يفوته منها شيء ، وكان الخليل أعقل من أن يظن هذا أو يقدره ، وإنما معنى جماع كلامه ما بينته فتفهمه ولا تغلط عليه »[1] اهـ .

ويعنينى من أمر النص السابق هذا الفهم الدقيق الذى وعاه الأزهرى من فلسفة طريقة الخليل وأن قصده باللجوء إلى هذه الطريقة النظرة الشاملة لحصر كلمات اللغة من خلال حصر الوحدات الصوتية التى منها تتشكل ، وأن أية كلمة فى لغة العرب لا تخرج عن أن تكون مؤلفة من هذه الوحدات التى أحصاها ووصفها . أما عَدّ الكَلمات المستعملة وجمعها فى معجم فتلك مهمة صناع المعاجم وهم يتفاوتون فى قدرتهم على الحصر وجمع الكلمات ، إن الخليل يشير إلى آلية منهجية نظرية تحصر إمكانيات توليد كلمات اللغة من أصوات بعينها لا تخرج الكلمة العربية عنها ، والبشتى يتكلم عن كمّ الكلمات التى جمعها وضمنها كتابه .. ومن هذا النص نفهم صراحة أن الخليل لم يكن يفكر فى جمع كلمات اللغة لفظة لفظة ووضعها فى قاموس ، بل كان همه الأول فهم أسرار المعجم وفك شفرته اللغوية كما سبق القول .

١ - ٣ البدء بالعين والتسمية به :

كما لجأ الخليل للترتيب الصوتى لأسباب موضوعية اقتضتها طبيعة

١ - هـ : صـ ١ / ٥٣ .

الدراسة ، نجد الخليل يفاجئنا بأمر آخر لم يكن – على ما يبدو – فى حسبان كثيرين وهو جعله بداية الأصوات حرف العين . والأمر لم يكن تخميناً بلا كان نتيجة تجربة علمية قام بها وتعرف من خلالها على طبيعة الأصوات ، وانتهى إلى اختيار العين ، ينقل لنا الليث ذلك بعبارة واضحة لا غموض فيها « فدبّر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق ، فصيّر أولاها بالابتداء أدخل حرف منها فى الحلق ، وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف . نحو ابْ ، اتْ ، اخ ، اعْ ، اغْ فوجد العين أدخل الحروف فى الحلق ، فجعلها أول الكتاب ، ثم ما قرب منها فالأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم (1) » ا هـ من النص السابق نفهم الأمور التالية :

١ – ٣ – ١ : أن اختياره للعين إنما جاء عن طريق الاختبار والذوق ، وهو أمر يحسب لصالح الخليل فى اعتماده على التجربة ، ويؤكد أصالة المحاولة الخليلية فهو يتحمل بناء على ذلك صواب النتيجة أو عدم ذلك .

١ – ٣ – ٢ : أنه كان يلجأ للتعرف على خاصية الصوت إلى وضع ألف كوسيط يعين على إحداث نوع من الوضوح السمعى Senority للصوت الذى يتذوقه وليس لنا اليوم أن نقول إن هذا الصنيع غير دقيق اعتمداً على وسائلنا الحديثة ، بل تظل المحاولة الشخصية لذوق الصوت مؤشراً للسبق العلمى فى مجال الدرس الصوتى التجريبى ، ويكاد الإجراء الخليلى أن يطابق نتائج الكيمو جراف والأوسيلو جراف والسبكتو جراف إلا فى عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من الأصوات الأرجح أن يرجع الخلاف بين الدرس الحديث وما قاله القدماء إلى طبيعة الأصوات التى وصفها القدماء ونصفها نحن اليوم ، فربما كان القدماء يصفون أصواتاً تنطق بطريقة أخرى غير نطقنا لها اليوم وبخاصة الضاد والظاء والقاف والجيم .

---

١ – ع : صـ ١ / ٤٧ .

١ - ٣ - ٣ : أنه وجد العين أعمق الأصوات ثم جاء بعدها بالأرفع فالأرفع ، ويبدو من ذلك أن قوة الوضوح السمعى فى نسيج الكلمة العربية كانت عاملاً مرجحاً بين مجموعة الأصوات التى تنتمى إلى مخرج واحد . ولم يكن الترتيب مخرجياً خالصاً . أى لم يكن قائماً على السبق المخرجى وحده . بدليل أنه لم يبدأ بالهمزة وهى عنده أسبق مخرجاً كما يظهر بوضوح من النصوص التالية :

- قال ابن كسيان : « سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالألف لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة لا فى اسم ولا فى فعل إلا زائدة ، أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الحيز الثانى وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت بها ليكون أحسن فى التأليف [1] » .

- وينقل الأزهرى عن الخليل قوله « والعويص فى الحروف المعتلة ، وهى أربعة أحرف الهمزة والألف اللينة والياء والواو ، فأما الهمزة فلا هجاء لها ، إنما تكتب مرة ألفاً ومرة واواً ومرة ياءً ، فأما الألف اللينة فلا صرف لها ، إنما هى جرس مدة بعد فتحة ، فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضعفت عن احتمالها ، واستنامت إلى الهمزة أو الياء أو الواو ، كقولك عصابه وعصائب كاهل وكواهل ، سعلاة وثلاث سعليات فيمن يجمع بالتاء ، فالهمزة التى فى العصائب هى الألف التى فى العصابة ، والواو التى فى الكواهل هى الألف التى فى الكاهل جاءت خلفا منها والياء التى فى السعليات خلف من الألف التى فى السعلاة ، ونحو ذلك كثير ، فالألف اللينة هى أضعف الحروف المعتلة والهمزة أقواها متنا ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين [2] » اهـ .

- ويجلو الخليل مخرج الهمزة أخيراً فيقول : « وأما الهمزة فمخرجها من أقصى

١ - المزهر : ١ / ٩٠ .
٢ - هـ : ١ / ٥١ .

الحلق مهتوتة ، مضغوطة فإذا رُفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف من غير طريق الحروف الصحاح »[1] .

من النصوص السابقة نفهم ما يلى :

- أن الهمزة عنده هى أول الحروف مخرجاً ، فهى من أقصى الحلق ، فى الحيِّز الأول وكذلك الهاء أما العين ففى الحيز الثانى ، مما دعاه إلى الاعتذار عن عدم البدء بها .

- أنه لا يقوم بالترتيب المخرجى للأصوات كإجراء وصفىّ هو هدف فى حد ذاته بل إنه يقوم به توطئه لفهم خصائص التركيب الصوتى للكلمة ، الأمر الذى جعله فى ضوء هذا الهدف يضع فى اعتباره أىّ الأصوات أكثر دورانا ، وأكثرها ثباتاً واستقراراً فى بنية الكلمة ، كما حداه أن يطوّع إجراءه الصوتى لخدمة غايته المعجمية .

- فى ضوء ما سبق لا غرابه أن يتخلى عن الهمزة والهاء اللتين تسبقان العين لأسباب موضوعية تفرضها طبيعة المعالجة ، وهى أن الهمزة أقل ثباتاً فى بنية الكلمة وأقل وضوحاً من الناحية السمعية « فهى مهتوته مضغوطه » وأكثر تغيراً « فإذا رُفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريق الحروف الصحاح » هذه طبيعتها فى نسيج الكلمة حين تسهل تصير فى ذئب (ذيب) وفى أؤمن (أو من) وفى رأس (راس) ، فالقرابة بين هذه الأصوات فى تشكيل الكلمة معجمياً واضحة وإمكانية انقلاب أحدهما إلى الآخرة واضحة ، فضلاً عن أن نسبة تردد هذه المجموعة الصوتية فى الكلمة العربية من أقل النسب .

ففى الدراسة التى قام بها الدكتور على حلمى موسى لجذور معجمى الصحاح واللسان نجد أن نسبة تردد حروف العلة والهمزة فى ذيل القائمة كما يظهر من المقارنة التالية مثلاً :

---

٣ – ع : صـ ١ / ٥٢ .

الصوت	جذور الصحاح (١)		جذور اللسان (٢)	
	عدد التردد	نسبة التردد ٪	عدد التردد	نسبة التردد ٪
ر	١٤٧٠	٨,٢٨٧	٢٤٠٨	٧,٨٣٣
ع	٩٠٥	٥,١٠٢	١٥٧٥	٥,١٢٣
و	٦٢٠	٣,٤٩٥	٨٦٠	٢,٧٩٨
ء	٥١٣	٢,٨٩٢	٧٥٠	٢,٤٤٠
ى	٢٩٧	١,٦٧٤	٤٨٠	١,٥١٦
ا	٤٢٦	٢,٤٠٢	٥٣٣	١,٧٣٤

من الجدول السابق يتبين أن وضع العين فى صدر المعجم جاء من ملاحظة أنها أكثر حروف المقدمة دوراناً فى الكلمة العربية ، وأنصعها من حيث قوة الوضوح السمعى بالقياس إلى الهمزة والهاء ، كما أن وضع حروف العلة فى مجموعة واحدة فى آخر المعجم جاء كذلك تعبيراً عن نفس الخاصية التى جعلت العين فى المقدمة ، فهى أقل الأصوات تردداً فى بنية الكلمة ، وأضعفها من حيث قوة الثبات النسبى الراجع إلى تقلبها فيما بينها . وهو ما يؤكد ما أسلفت الإشارة إليه من أن الخليل لم يقدم هذا الترتيب المخرجي بوصفه ترتيباً صوتياً خالصاً بل هو ترتيب صوتى فى سياق خاص هو التعرف على نسيج الكلمة الصوتى . وهذا ما يفسر المعلومات التى تبدو نشاذاً فى هذا المقام فى حديث الخليل عن الصحة والاعتلال ، وحديثه عن النصاعة وحديثه عن الأرفع فالأرفع ، وحديثه عن علّيه انصرافه عن الهمزة وهى فى المقدمة وكذلك الهاء وذلك لكونها مهتوته مضغوطة ، ولا يرفع هذا الغموض وذلك الاضطراب الظاهرى إلا إعادة فهم الغاية التى من أجلها طرح هذه المعلومات الصوتية الصرفية ، إذ هو يقدمها خدمة لهدفه الأساسى فى تفسير البنية المعجمية .

---

١ – إحصاءات الصحاح : صـ ١٠٩ .

٢ – إحصاءات اللسان : صـ ٨٣ .

ويبدو أن ثمة اعتبارات أخرى يتميز بها حرف العين أحسها الخليل وأحسها وأسجلها كذلك بوصفها انطباعات شخصية من ذلك :

- أن العين التى اختارها الخليل صدراً لأبجدية العربية هى نفسها صدرٌ للعَلَم الذى أطلق على الأمة صاحبة هذه اللغة وأقصد بذلك كلمة عرب ، ولا أحسب أن بعض ما انتهى إليه الدرس الإحصائى فيما يخص هذه الكلمة كان يغيب عن هذا الحس الخليلى ، فأكثر الحروف مجيئاً بعد العين فى العربية هو الراء ، كما أن أكثر الحروف مجيئاً فى العربية بعد حرف الراء هو الباء [1] . فهل هذا كان يغيب عن إحساس الخليل ؟ .

- أن كلمة عرب استخدمت فى الدلالة التى أشار إليها الخليل فيما يتصل بحرف العين ، وأعنى مفهوم الإبانة والوضوح .

- أن اسم هذا الحرف وهو كلمة (عين) هو من أكثر الألفاظ إفادة للمعنى أو إفادة لمعان عدة كما هو معروف مثل : الدلالة على الباصرة ، وعين الشمس وعين الركبة ، والجاسوس ، وعين الماء ، وغيرها ولا يغيب عن البال أن الدلالة الأخيرة (عين الماء) لصيقة بحياة العربى ابن الصحراء ولابد أن تكون لصيقة وذات خصوصية فى لغته . ولا أعرف شيئاً أكثر قرباً إلى نفس العربى وعقله من لغته . وللعين الصدر من أصوات هذه اللغة . ولابد أن الخليل أعمل فكرة فى هذه الوجوه جميعاً حين اختار العين ، ولعل من اللافت للنظر أن عبارة أعمل فكره لم ترد إلا فى هذا الموضع أقصد اختيار العين صدراً لترتيبه الصوتى .

١ - ٤ : موقف الخليل من الألف :

إن موقف الخليل من الألف فى حاجة إلى فضل نظر ، وقدر من التدبر ، فعبارة الخليل تعنى أنه كان من الممكن أن يبدأ بالألف ، ولكنه انصرف عنه لأنه

---

١ - انظر إحصاءات الصحاح صـ ٢٤١ و صـ ٢٩ .

حرف معتل لا يأتي في بداية الاسم والفعل إلا زائداً . وهو ما يمكن أن يفيد ضمناً أنه تصور الألف على أنه صوت صامت Consonant . فما هي حقيقه هذا الصوت عند الخليل . هل هو حركة طويلة Vowel أم صوت صامت ؟ لا أظن أن أحداً أحق أن يجلو لنا هذا الأمر من الخليل نفسه . فماذا قال عن هذا الصوت ؟ .

قال الليث ؛ قال الخليل ؛ في العربية تسعة وعشرون حرفاً : منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف جوف ، وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة ، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، إنما هي هاوية في الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، وكان يقول كثيراً : الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء [1] .

وقال الأزهري : وروى غير المظفر عن الخليل بن أحمد أنه قال : الحروف التي بنى منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً ، لكل حرف منها صرف وجرس ، أما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف ، وأما الصرف فهو حركة الحرف [2] .

من النصين السابقين يتبين لنا ما يلي :

١ - ٤ - ١ : أن هناك خمسة وعشرين صوتاً صامتاً حسب ترتيب الخليل تبدأ بالعين وتنتهي بالميم . لا خلاف في كونها صامتة وهي بحسب الترتيب الألفبائي الأصوات من الباء حتى الهاء وهي : ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ .

١ - ٤ - ٢ : ثمة صوتان - هما الواو والياء يعدان صامتين في مثل قَوْل

---

١ - انظر ع : ١ / ٥٧ ، هـ : ١ / ٤٨ .
٢ - انظر هـ : ١ / ٥٠ .

وصـوم ، عينَ وبَيْت . فيكون مجموع الصوامت بهذين الصوتين سبعة وعشرين صامتاً .

١ - ٤ - ٣ : يبقى من جملة الأصوات التسعة والعشرين صوتان عما الهمزة والألف وهما فى حقيقة الأمر ليسا سوى صوت واحد ، غير أن ثمة خلطاً فى التسمية هو الذى أدى إلى كل هذا الاضطراب فى فهم كلام الخليل . فمن المعروف أن لفظ ألـف كان يطلق اسماً على الصوت المعروف بالهمزة أو الوقفة الحنجرية Glotal stop ، وأن كلمة همزة كاسم على هذا الصوت هى اصطلاح حديث نسبياً ، وثمة أدلة كثيرة على هذا لا مجال لسردها (١) .

والخليل فى نصه السابق فى العربية تسعة وعشرون ،حين ذكر الألف كان يقصد شكلاً من أشكال الهمزة ، ولم يكن يقصد الألف التى هى حرف مد فى مثل قال وباع وهو يدرك ذلك تماماً ونراه حين يقصد الأخيرة ينعتها بلفظ لين فيقول ألف اللين أو الألف اللينة . أما إذا أراد بالألف ما يفيد الهمزة فيقول : ألف فقط دون أى نعت وقد أدرك الخليل إمكانية إساءة فهم مصطلح ألف فقام بوضع رأس عين (ء) على الألف حين يقصد به الهمزة ، وجرد صورة الألف التى هى للمد واللين من هذه العلامة . ومعلوم أن رأس العين هى الرمز الكتابى للهمزة أو الوقفة الحنجرية كما هو معروف .

مما سبق يتبين لنا أن الكلمتين ألف وهمزة فى نص الخليل واقعتان على صوت واحد هو المعروف بالوقفة الحنجرية ، ويكون التعارض الظاهرى بين النص السابق فى العربية تسعة وعشرون والنص اللاحق (الحروف التى بنى منها كلام العرب ثمانية وعشرون) قد زال . وإنما فصَّل فى نص تسعة وعشرين ، لأنه إنما يرمى بالألف شكلاً من أشكال الهمزة وهى الهمزة المسهلة فى مثل راس ، وذيب ،

---

١ - انظر فى تفصيل ذلك سر صناعة الاعراب ١ / ٤٧ ، وتاريخ الأدب صـ ٢٨ ، ودراسات فى علم اللغة ١ / ٤٩ وما بعدها .

ويرمى بمصطلح همزة الهمزة المحققة فى مثل رأس وذئب . هذا التداخل بين الهمزة والألف هو الذى أدى إلى هذا الفصل وحين يتغاضى عنه يعدهما صوتاً واحداً فيقول : « والحروف الثمانية والعشرون على نحوين : معتل وصحيح ، فالمعتل منها ثلاثة أحرف : الهمزة والياء والواو . قال وصورهن ما ترى (اوى) ، قال واعتلالها تغيرها من حال إلى حال ، ودخولها بعضها على بعض واستخلافها بعضها من بعض ، وقال وسائر الحروف صحاح لا تتغير [1] » .

فهو هنا طرح مصطلح ألف ورجع إلى المصطلح الأصلى [2] لصوت الوقفة الحنجرية وأعنى به كلمة (همزة) وحديثه عن صنفى الصوامت ، وكونها مجموعة صحيحة لا تتغير فى بنية الكلمة ، ومجموعة تتغير تأكيد آخر على أنه لا يقدم كلامه الصوتى هنا الا لغاية معينة وهى معرفة طبيعة هذه الأصوات وأحوالها فى بنية الكلمة معجمياً ، وليس من قبيل اللغو أو الخلط وهو فى معرض الحديث عن خصائص الأصوات فى تشكيل الكلمة أن يقول : إن بعض هذه الأصوات ثابت وبعضها يتغير ، فالحديث الصوتى ليس صوتياً خالصاً ، وليس مقصوداً لذاته كما سبق القَول مراراً .

وإذا كانت طبيعة الهمزة أو صورتها المسهلة التى كان يطلق عليها ألف فقط هى عدم الثبات والاستقرار فى تشكيل الكلمة ، فقد نحاها ووضعها فى مكانها من حيث الأثر والدوران فى بنية الكلمة أعنى ضمها مع نظائرها فى نفس الخاصية وأعنى الواو والياء وهى مجموعة جاءت كما سبق القول فى ذيل ترتيب الخليل ، وأكدت الإحصاءات ذلك كما سبق ، وعليه جاء ترتيب الخليل كما صاغه المعافرى [3] :

---

١ – انظر هـ : ١ / ٥٠ .

٢ – أقصد بالأصلى الأساسى الشائع على هذا الصامت المعروف بالوقفة الحنجرية ، ولا أقصد الأصل التاريخى ، وإلا فمصطلح ألف أقدم من مصطلح همزة لا مشاحة .

٣ – انظر المزهر ٨٩ – ٩٠ .

والـلام والنون ثم الفاء والباء　　　　والميم والواو والمهموز والياء

والمهموز هنا هو الهمزة بصوريتها المحققة والمسهلة (أو الألف) بدون وصف . وعِدّةُ الحروف بناء على هذا ثمانية وعشرون . ولا يمكن أن يكون المقصود بالهمزة هنا بحال ألف المد أو الألف اللينة لأن الخليل يقول : إن لكل حرف من الثمانية والعشرين صرفاً والصرف هو حركة الحرف والذى يقبل الحركة هو الصامت أما ألف المد فهى نفسها حركة طويلة كما هو معروف .

وبناء على ما سبق فإن كلمة ألف عند الخليل جاءت بشكلين ودلالتين :

الشكل الأول : ألف : وهى الهمزة المسهلة فى مثل راس وذيب ولعل هذا هو ما فهمه ابن جنى حين قال : « أعلم أن الألف التى فى أول حروف المعجم هى صورة الهمزة وإنما كتبت الهمزة واواً مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز فى التخفيف » انظر سر الصناعة ١ / ٤٦ ، وإلى قريب من هذا أيضا ذهب أستاذنا د. إبراهيم أنيس فى تعليل ذكر سيبويه لكلمة ألف بعد الهمزة فقال : فربما أراد بكلمة ألف تفسير المقصود من كلمة همزة ... ثم يضيف « ولعل مما يستأنس به لهذا التوجيه أن سيبويه ومن جاءوا بعده كانوا يذكرون فى موضع آخر نوعاً ثانياً من الألف ويسمونه بألف المد [1] » والصواب أن الخليل سبق بذكر هذه الألف الثانية وسماها الألف اللينة كما سبق القول .

الشكل الثانى : الف لين (أو الألف اللينة) وهى حركة طويلة كما فى قام وصام ، وليست هذه الألف من الصوامت عند الخليل سواء فى نص (تسعة وعشرين) أم فى نص (ثمانية وعشرين) . وهذا ما عبر عنه ابن جنى قائلاً : « فأما المدة التى فى نحو قام وسار وكتاب وحمار فصورتها أيضاً صورة الهمزة المحققة التى فى أحمد وإبراهيم وأترجة ، إلا أن هذه الألف (يقصد ألف قام

---

١ – انظر الأصوات اللغوية صـ ١١٥ .

وأخواتها) لا تكون إلا ساكنة ، فصورتها وصورة الهمزة المتحركة واحدة ، وإن اختلف مخرجاهما [1] » .

١ — ٥ موقف الخليل من الهاء :

حديث الخليل عن الهاء هو الآخر فى حاجة إلى وقفة أخرى لنتبين طبيعة هذا الصوت عنده ونتعرف مخرجة كما رآه ، فالنص المشهور عن الخليل وهو نص العين يضع الهاء فى مخرج لاحق أو تال لـلعين والحاء ، كما أن ثمة نصوصاً أخرى فى العين أيضاً يفهم منها صراحة أنه يدرك أن الهاء سابق مخرجياً على العين ، وثمة نصوص منسوبة للخليل فى غير العين تؤكد هذا ، فما الحقيقة ، ولماذا لم يبدأ بالهاء وتركها كما ترك الهمزة من قبل وبدأ بالعين ؟ لنترك الخليل نفسه ومن خلال النصوص المنسوبة إليه يوضح الأمر ويجلوه .

أما أشهر النصوص التى تفيد أن الهاء تالية للعين والحاء فقوله فى أول المقدمة « وهذا تأليفه : ع ، ح ، هـ خ ، غ ، ق ... [2] » .

والترتيب السابق هو المعتمد عند جمهرة من تبع الخليل من العلماء كالأزهرى فى تهذيبه وابن سيدة فى محكمه [3] ، وهو الذى شاع عن الخليل حتى فيما رواه الناظمون لهذا الترتيب من أمثال سلمه بن عبد الله المعافرى حين قال :

يا سائلى عن حروف العين دونكها ... فى رتبة ضمها وزن إحصاء
العين والحاء ثم الهاء والخاء ... والغين والقاف ثم الكاف أكفاء [4]

ولكنْ ثمة نصوص أخرى فى العين نفسه وفى سواه يفهم منها صراحة أن الخليل يرى الهاء أسبق من العين مخرجاً كما سبقت الإشارة . ففى العين والتهذيب

١ — انظر سر الصناعة ١ / ٤٨ .
٢ — ع : ١ / ٤٨ ، هـ : ١ / ٤١ .
٣ — المحكم : ١ / ١٦ .
٤ — المزهر : ١ / ٨٩ .

فـى مـعرض توزيعه للأصوات عـلى مخارجها مخرجاً مخرجـاً قـال : « فالعين والحاء والخاء والغـين حلقية لأن مبدأهـا من الحلق (١) » وليس فـى النص السـابق أيَّةُ إشارة إلى الهاء كما هو واضح وهو نصٌ موجود فى جميع النسخ التى اعتمد عليها المحققان .

وفـى نـصٍّ آخر يقـول : « وأما مخـرج العين والحاء والهـاء والخاء والـغين فالحلق (٢) » وفى هذا النص ذكـرت الهاء غير أن المحققين أشارا إلى أن الـهاء سقطت من النسختين (ى) و (ك) وأنهما أضافاها اعـتماداً على ورودها فى بعض النسخ الأخرى ، وبشـىءٍ من التأمـل فى نصّ ٥٨ المـتفق عليـه ، ونصّ ٥٢ المختلـف حوله ، يتـبين أن نصّ ٥٨ المتفق عـلى عدم وجود الهـاء فيه أقرب إلى القبول بدليـل وجود بـعض النسخ فـى نصّ ٥٢ خالية من الهـاء ، وهـو ما يتـفق مع النص الأول المتفق عليه .

وفى نـص ابن كيـسان فيمـا حكى الـسيوطى قال : سمعـت من يذكـر عن الخليـل أنه قال : لـم أبدأ بالهـمزة ؛ لأنها يـلحقهـا النقص والـتغيير والحذف ، ولا بالألف لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة لا فى اسم ولا فى فعل إلا زائدة أو مبدلة ولا بالهاء لأنها مهموسة خفيةٌ لا صوت لهـا ، فنزلت إلى الحيز الثانى وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت بها ليكون أحسن فى التأليف (٣) » .

وهذا النص من الوضوح بحيث يفهم منه صراحة ما يلى :

- أن الهمزة أسبق الأصوات مخرجاً يليـها الهاء ، وهما معاً من مخرج واحد أو حيز واحد هو الحيز الأول .
- أما العين فتلى الهاء فى المخرج وأن مخرج العين من الحيز الثانى ويليها الحاء .

١ – ع : ١ / ٥٨ .
٢ – ع : ١ / ٥٢ .
٣ – المزهر : ١ / ٩٠ .

– أنه لم يبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ، وأنها مهتوته مضغوطة أى غير واضحة فى السمع كما قال ذلك فى نص آخر . ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها أو لهتتها وعدم وضوحها السمعى كذلك . وقد عبر عن ذلك بصراحة فى أكثر من موضع فى العين والتهذيب حين قال « ولولا هتة فى الهاء وقال مرة ههة لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء[1] » .

فلا غموض ولا خفاء فى كون الخليل يدرك تماماً أن ترتيب الأصوات من حيث السبق المخرجى هو الهمزة يليها الهاء يليها العين فالحاء . وأن تأخيره للهمزة والهاء إنما جاء لأسباب صوتيه معجمية معاً ، فهما صوتان ليس لهما الوضوح السمعى الذى للعين وهما كذلك أقل تردداً ودورنا فى نسيج الكلمة من العين أيضاً . وكما أثبتت الدراسات الإحصائية من قبل أن الهمزة أقل تردداً فى بنية الكلمة من العين ، فهى تثبت نفس الحقيقة إذا ما قورنت الهاء بالعين وإليك ثلاثة الأصوات فى مقارنة إحصائية :

الصوت	إحصاءات الصحاح [2]		إحصاءات اللسان [3]	
	مجموع التردد	النسة المئوية	مجموع التردد	النسبة المئوية
ع	٩٠٥	٪٥,١٠٢	١٥٧٥	٪٥,١٢٣
ء	٥١٣	٪٢,٨٩٢	٧٥٠	٪٢,٤٤٠
هـ	٥٩٠	٪٣,٣٢٦	١٠٣٨	٪٣,٣٧٧

١ – ع : ١ / ٥٧ ، هـ : ١ / ٤٨ ، ويقول أستاذنا الدكتورعبد الله درويش نقلاً عن الخليل : « ولولا هته فى الهاء لأشبهت الهمزة » ولا أدرى من أين جاء بهذا النص انظر المعاجم العربية صـ ٧٥ .

٢ – إحصاءات الصحاح جدول ٣٠ صـ ١٠٩ .

٣ – إحصاء اللسان جدول ٢٥ صـ ٨٣ .

إلى جانب ما سبق عرضه عن الأساس الصوتى كعنصر منهجى فى نظريته ، فإن جوانب هامة سوف تظهر لهذا الأساس مبثوثة فى تضاعيف عرض الأسس الأخرى وبشكل يعكس تداخل الأسس وتكاملها .

الخليل والمحدثون :

لقد تناول عدد من الدراسين المحدثين جهد الخليل فى كتابه العين وبخاصة الجانب الصوتى بالنقد الذى يصل إلى حد الاتهام بالعجز أو عدم القدرة على التعبير عن أفكاره أو الخطأ الصراح ، كما سلبت كثير من أفكار الخليل الأصيلة والرائدة ونسبت لغيره ، وهو أمر يعالجه البحث هنا لا من قبيل الدفاع عن شخص الخليل ، بل من زاوية استكمال فهم فلسفة الأساس الصوتى عنده ، وتأصيل المباحث الصوتية التى جاء بها بوصفها عنصراً بارزاً فى تشكيل النظرية الخليلية .

وسوف أختص من بين هؤلاء الباحثين ثلاثة كنموذج لهذا التناول الخاص لجهد الخليل أما الأول فأستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس ، ويبدو أن جلّ ما قاله هنا كان قبل تحقيق كتاب العين ونشره . يقول سيادته « ومن النتائج التى حققها المحدثون أن اللام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً ، وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين [1] » .

وليس يخفى أن النصّ المحقق الثابت النسبة إلى الخليل فيه ما يدحض هذه الدعوى ويثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الخليل أول من أدرك قوة الوضوح السمعى لهذه الأصوات ومعها الراء والفاء والباء وأطلق على سته الحروف مصطلح حروف الذلاقة أو الحروف الذلق أو الذولقية ، أى التى تخرج من ذلق اللسان أى طرفه يقول الخليل : « اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهى : ر ل ن ، ف ب م ، وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة فى المنطق إنما هى بطرفة أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة منها ثلاثة ذلقية (ذولقية) ر ل ن ،

١ – الأصوات اللغوية صـ ٢٧ .

تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم ، وثلاثة شفوية : ف ب م . مخرجها من بين الشفتين خاصة ، لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط ، ولا ينطلق اللسان إلا بالراء واللام والنون (١) » .

فهذه الذلاقة أو الطلاقة أو الوضوح السمعي الذى تتسم به هذه المجموعة هى خاصية مميزة تنفرد بها من دون بقية الحروف الصحاح ، وهى الخاصية التى جعلتها تتمتع بأعلى نسبة تردد فى كل جذور اللغة وهو أمر قرره الخليل قائلا « فلما ذلقت الحروف السته ومذل بهن اللسان ، وسهلت عليه فى المنطق كثرت فى أبنية الكلام (٢) » .

ونصّ الخليل السابق يعطينا حكماً دقيقاً عن هذه الحزمة الصوتية فقد مذل بهن اللسان أى انطلق وهو ما يعنى أنها تتميز بالوضوح ، وسهلت عليه فى المنطق تحمل خاصية السهولة ، وقوله كثرت فى أبنية الكلام تعنى الشيوع ، والوضوح والسهولة والشيوع خواصّ معلومة بالنسبة للحركات الطويل منها والقصير ، والسهولة والشيوع أمران مؤكدان للحركات فالحركة أسهل نطقاً من الصامت ، وهى كذلك أكثر شيوعاً لخفتها حسب قانون الجهد (٣) ، وفى دراسة إحصائية حديثة أجريت على عينات لغوية من نصوص عربية مختارة استهدفت معرفة نسبة شيوع الفونيمات فى الكلمات (لا الجذور) تبين أن هناك علاقة بين الخواص اللغوية التالية :

١ – الشيوع .
٢ – الثبات .
٣ – السهولة .

---

١ – ع : ٥١ / ٥٢ .
٢ – ع : ١ / ٥٢ .
٣ – انظر دراسة الصوت اللغوي : صـ ٣٣٩ .

« فكلما زاد شيوع الفونيم زاد ثباته ، وكلما قل شيوعه قل ثباته ، وقد يرتبط المتغيران (الشيوع والثبات) بمتغير ثالث هو السهولة فكلما زادت سهولة الفونيم في النطق زاد شيوعه ، وكلما قلت سهولة النطق قل شيوعه [1] » .

وقد جاءت نتائج هذه الدراسة التي شملت الحركات والصوامت مؤكدة أمرين :

الأول : تقدم الحركات على بقية الصوامت Consonants [2] .

الثاني : تقدم اللام والنون والميم على بقية الصوامت [3] .

وهذه القرابة في الشيوع والسهولة والثبات بين الحركات من جانب وهذه الأصوات الذولقية من جانب آخر تطابق ما انتهى إليه الخليل من ملاحظة هذه المجموعة من الصوامت وتطابق كلام الخليل كذلك إحصائيات الصحاح واللسان لنسبة تردد هذه الصوامت في جذور المعجمين السابقين كما يتضح من الجدول التالي :

---

١ – الأصوات اللغوية (للخولي) ص ١٠٨ .

٢ – السابق ص ١١٧ .

٣ – جاءت اللام رقم ٣ بعد الفتحة والكسرة القصيرتين ، وجاءت النون رقم ٧ بعد الفتحة الطويلة والتاء والضمة القصيرة ، ومجئ الفتحة الطويلة والتاء هنا إنما هو بسبب طبيعة الدراسة التي تدرس الكلمات لا الجذور ، وقد جاءت الميم رقم ٨ وهو ما يعني أن هذه الصوامت الثلاث تشترك في الشيوع مع الحركات . انظر السابق نفس الصفحة .

مسلسل	الصوت	إحصاءات الصحاح (١)		إحصاءات اللسان (٢)	
		مرات التردد	النسبة المئوية	مرات التردد	النسبة المئوية
١	ر	١٤٧٠	٨,٢٨٧	٢٤٠٨	٧,٨٨٣
٢	ل	١٠٧٥	٥,٩٢٥	١٩٠٨	٦,٢٠٣
٣	ن	٩٢٥	٥,٢١٥	١٨٨٧	٦,١٣٨
٤	ب	١٠١٥	٥,٧٢٢	١٨٢٥	٥,٩٣٧
٥	م	١٠٧٥	٦,٠٦٠	١٧٧٢	٥,٧٦٤
٦	ف	٧٦٧	٤,٣٢٤	١٢٨٥	٤,١٨٠

وليس الامر مجرد صدفة أن تأتى أحكام الخليل الدقيقة فى إدراك خواص هذه الأصوات مطابقة للإحصاءات ولتدعم سبقه فى ذلك ، وقرابة هذه المجموعة فى الأثر مع الحركات بكثرة التردد فى بنية الكلمة إنما هى صدى لقرابة فى الخواص النطقية . ويكون بذلك الخليل هو الأسبق فى الملاحظة من المحدثين .

وانطلاقاً من كون أستاذنا أنيس على ما يبدو ليس من المعترفين بنسبة العين للخليل فها هو ينسب إلى ابن جنى مصطلح الذلاقة قائلاً « تلك الحروف التى سماها ابن جنى فى كتابه سر صناعة الإعراب بحروف الذلاقة (٣) .

وليس يخاف من النصوص السابقة أن المصطلح الصوتى الدقيق هو من تسمية الخليل وليس ابن جنى . بل إن سيادته إنطلاقاً من نفس الأساس الذى لا

---

١ - إحصاءات الصحاح ١٠٩ ، ولاحظ ترددها فى كل جذر على حدة صـ ٥٩ ، صـ ٧٥ ، صـ ٩٣ .

٢ - إحصاءات اللسان صـ ٨٣ ، ولاحظ ترددها فى كل جذر على حده صـ ٢٥ ، صـ ٤٧ ، صـ ٦٣ ، وانظر صـ ٩٥ لترى مقارنة بين إحصاءات الصحاح واللسان فى كل الجذور وهى تدعم نفس النتيجة .

٣ - الأصوات اللغوية صـ ١٠٩ .

يعترف فيه بنسبة المصطلح للخليل يعود فينسب أيضاً خاصية هذه المجموعة أو السلسلة الصوتية إلى ابن جنى فيقول « ويبدو أن ابن جنى حين لا حظ كثرة شيوع هذه الأصوات فى اللغة العربية بحيث لا تكاد تخلو منها كلمة رباعية أو خماسية فى أصولها وضع لها هذه التسمية ، واعتبر غيرها من الحروف مصمتة [1] » .

والذى لاحظ ذلك هو الخليل وليس ابن جنى وقد سبق اقتباس قول الخليل « فلما ذلقت الحروف الستة ومذل بهن اللسان ، وسهلت عليه فى المنطلق كثرت فى الكلام ، فليس شىء من بناء الخماسى التام يعرى منها أو من بعضها [2] » ويضيف الخليل بعد ذلك قائلاً : « وأما بناء الرباعى المنبسط فإن الجمهور الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذلق أو من بعضها إلا كلمات نحواً من عشر جئن شواذّ ومن هذه الكلمات العسجد والقسطوس والقداحس والدعشوقة والهدعة والزهزقة وهى مفسرة فى أمكنتها [3] » .

وبعد أن ينسب ذلك إلى ابن جنى يلجأ إلى الاعتراض عليه واتهامه بالتكلف والتعسف حين حاول الأخير أن يفسر خروج بعض الكلمات عن هذه القاعدة مثل العسجد [4] ، وأمْرُ شذوذِ هذه الأمثلة العربية الفصيحة هو حكم الخليل كما يظهر من النصّ السابق لأن جذور الرباعى والخماسى التى تصل عدتها كما فى إحصاءات اللسان إلى ٢٧٣٥ جذرا [5] بكل ما يمكن أن يتولد عنها من كلمات تصل إلى عشرات الألوف حين يوجد نحو عشر كلمات تخرج عن قانون تخضع له هذه النسبة الهائلة فهل وصفها بالشذوذ فى حاجة إلى تقليل سواء أكان متكلفاً

---

١ – السابق نفس الصفحة .
٢ – ع : ١ / ٥٢ .
٣ – ع : ١ / ٥٣ ، هـ : ١ / ٤٥ .
٤ – الأصوات اللغوية : صـ ١٠٩ .
٥ – تبلغ الجذور الرباعية ٢٥٤٨ والخماسية ١٨٧ ، انظر إحصاءات اللسان صـ ٢٩ .

أو غير متكلف ؟ .

ثم يأتى أستاذنا أنيس ليسلب الخليل إبداعه لطائفة من المصطلحات الخاصة بالمجموعات الصوتية ، والتى هى وليدة نظرته الخاصة التى أراد أن يوظف فيها نظرته الصوتية فى دراسته للخصائص التركيبية للكلمة العربية معجمياً ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك . فهو الذى أطلق مصطلح أسلية ونِطْعية ، وشجرية ، ولهوية وذلقية ، « قال الليث : قال الخليل :

فالعين والحاء والخاء والغين حلقية ، لأن مبدأها من الحلق ، والقاف والكاف لهوتيان لأن مَبدأهما من اللهاة ، والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أى مفرج الفم ، والصاد والسين والزاى أسلية ، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهى مستدق طرف اللسان ، والطاء والتاء والدال نِطْعية لأن مبدأها من نِطْع الغار الأعلى والظاء والذال والثاء لثوية (لأن مبدأها من اللّثه ، والراء واللام والنون ذلقية) لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفى ذلق اللسان ، والفاء والباء والميم شفوية ، وقال مرة شفهية لأن مبدأها من الشفة ، والياء والواو والألف والهمزة هوائية فى حيز واحد ، لأنها لا يتعلق بها شئ ، فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذى يبدأ منه [1] » .

هذا النص الخليلى الواضح الصريح والذى يرجع تاريخه إلى منتصف القرن الثالث حوالى ٢٥٠ هـ سواء نسب إلى الخليل أم إلى تلاميذه والذى ترددت مصطلحاته فى أعمال خالفيه من المعجمين بعده كابن دريد والأزهرى والزُّبيدى والقالى ، كما شاعت عند القرّاء ، وهم ينسبون ذلك صراحة للخليل [2] .

بعد كل ذلك يأتى أستاذنا رحمه الله فيقول : « نستطيع بعد هذا أن نقر –

١ – ع : ١ / ٥٢ .
٢ – النشر فى القراءات العشر : ١ / ١٩٩ – ٢٠١ .

ونحن مطمئنون أن هذه المصطلحات قد ظهرت فى أوائل القرن الرابع الهجرى [١] »
ثم يضيف سيادته بعد ذلك « ولكن الذى لا يحتمل النزاع أو الشك أن نسبة هذه المصطلحات للخليل نسبة غير صحيحة ، وإلا فقد كنا نتوقع أن نجد لها صدى فى كلام سيبويه [٢] » .

إذن كل حجة سيادته فى دفع نسبة هذه المصطلحات عن الخليل هو كونها لم ترد فى كتاب سيبويه ، ومن المعلوم أن العين لم يظهر إلا بعد وفاه سيبويه بنحو ثلثى قرن فكيف سيرددها ؟ ، ثم إن العين عمل معجمى فكر فيه الخليل فى أواخر حياته ، وأتمّة الليث أو جمعه فى فترة تقارب الفترة التى توفى فيها سيبويه علما بأن الليث وسيبويه توفيا تقريباً فى نفس الفترة ١٨٠ هـ فمن الطبعى ألا تشيع عند الأخير ، وإذا لم تكن هذه المصطلحات للخليل فلمن هى إذن فلم يدّع أحد أنها له ، والذولقية أحد هذه المصطلحات التى نسبها سيادته لابن جنى موجودة فى مؤلفات المعجميين والقراء قبله . فالقضية فى النهاية أن الذين آمنوا بنسبة العين للخليل نسبوها للخليل وأن الذين لم يؤمنوا بنسبة العين للخليل ومنهم ابن جنى أخذوا ما يحلو لهم وتركوا مالا يريدون أخذه ، فالأمر فى النهاية لم يكن فى حاجة إلى هذه الأحكام القاطعة بنفى نسبة هذه المصطلحات للخليل ، ونسبتها إلى بعض تابعيه ولا أحسب بعد الدراسات الوافية عن العين ونشره محققاً إلا أن نقول إن الخليل فى القرن الثانى هو صاحب هذه المصطلحات ، وهى تعكس فكر الخليل الصوتى المتميز ، وهى جزء من منهجه الدقيق فى دراسة المعجم .

أما أستاذنا الدكتور كمال بشر فقد تناول بالمناقشة بعض أحكام الخليل ، وأصدر عليها بعض الأحكام التى هى فى حاجة إلى إعادة نظر ، وأخصّ هنا حكمين اثنين من أحكامه على جهد الخليل الصوتى :

---

١ – الأصوات اللغوية : صـ ١١٠ .

٢ – السابق : صـ ١١١ .

الأول : أنه أورد ترتيب الخليل الصوتي ثم أردف قائلاً : « فهذا يشير بوضوح إلى أن الخليل قد سوى في الخواص والميزات بين الهمزة وحروف العلة وهو حكم جانبه الصواب [1] » .

والذي يراه البحث أن الخليل على المستوى الصوتي الخالص ، وكما سبق القول كان يعي تماماً أن الهمزة صوت له من الخواص والميزات الصوتية ما يميزه بشكل جوهري عن كل من الألف والواو والياء ، فهي عنده أول الأصوات الصامتة مخرجاً ، وهي أقوى من ثلاثة الأصوات الثلاثة متناً [2] ، أما بقية الخواصّ التي يشتركون فيها معاً والتي يشير إليها سيادته ، فهي الخواص والميزات على مستوى الأثر في بنية الكلمة معجمياً ، ولا شك أن هذه الأصوات على هذا المستوى الصوتي المعجمي تشترك في مجموعة خواصّ ، وهي السبب الذي دعا الخليل إلى ضمها معاً في مجموعة واحده انطلاقاً من هذه الزاوية ، والخليل محقّ في التسوية بينها على هذا المستوى فمما يجمعها أنها في بنية الكلمة تتسم باعتلالها وتغيرها من حال إلى حال ودخولها بعضها على بعض واستخلافها بعضها من بعض كما قال [3] وكما سبقت الإشارة لذلك ، فالتخطئة إنما جاءت من قراءة نصّ الخليل قراءة صوتية خالصة ، مع أن الرجل يقدم هذا البيان الصوتي في معرض فهم أسرار البنية المعجمية والتشكيلات المؤثرة صوتياً في هذه البنية ومن الخواص المشتركة التي تجمع هذه الأصوات معاً كذلك الضعف النسبي في كم التردد في هذه البنية ، وهو ما أكدته الإحصاءات وسبقت الإشارة إليه .

الثاني : أما الحكم الثاني فقول سيادته : « أما الأمر الثاني الذي يؤكد عدم الدقّة في النظر إلى الهمزة فيظهر في الحكم عليها بأنها لا تنسب إلى أي جزء

---

١ – دراسات في علم اللغة : ١ / ١٠٧ .

٢ – انظر هـ : ١ / ٥١ .

٣ – هـ : ١ / ٥٠ .

من السان أو الحلق أو اللّهاة وأنها تصدر من حيث تصدر الألف اللينة والواو والياء[1] » .

والحقيقة فى ذلك أن للخليل مجموعتين من النصوص تتعلقان بأمر الهمزة المجموعة الأولى تجعل الهمزة صوتاً لا حيز له أو لا مخرج له ، وأخرى تنسب الهمزة إلى مدرجة من مدارج النطق ، وحيز محدد من مخارج الأصوات والأمر فى النهاية لا يحتاج إلا إعادة قراءة نصوص الخليل ، الأمر الذى سيجلو لنا الحقيقة كاملة .

أما عن النصوص التى لم ينسب فيها الهمزة لمخرج معين فقوله « وأربعة أحرف جوف وهى : الواو والياء والألف اللينة والهمزة ، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، إنما هى هاوية فى الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، وكان يقول كثيراً : الألف اللينة والواو والياء هوائية أى أنها فى الهواء[2] » .

وقال فى موضع آخر : « ثم الألف والواو والياء فى حيزٍ واحد والهمزة فى الهواء لم يكن لها حيِّز تنسب إليه[3] » .

وقال بعد ذلك أيضاً : « والياء والواو والألف والهمزة هوائية فى حيِّز واحد لأنها لا يتعلق بها شئ[4] » .

والنصوص السابقة كما أفهم من كلام الخليل وذلك من خلال السياق الذى وردت فيه أنه يتكلم عن الهمزة التى قال عنها : إذا رفِّة عنها صارت الواو والياء والألف عن غير طريق الحروف الصحاح[5] » وقوله إنها تصبح حرفاً غير الحروف

١ – دراسات فى علم اللغة : ١ / ١٠٩ .
٢ – ع : ١ / ٥٧ .
٣ – ع : ١ / ٥٨ .
٤ – ع : نفس الصفحة .
٥ – ع : ١ / ٥٢ .

الصحاح فى الخواص تعنى أنه يتكلم عن صوت أقرب إلى الألف والواو والياء فى الخواص النطقية العامة وهى حرية مرور الهواء من جانب والجهر من جانب آخر ، وأليست هذه طبيعة الهمزة المسهلة فى مثل راس ، وذيب ، أو من ؟ إنها « أشبه بأصوات العلة [1] » .

أما النصوص التى نسب فيها الهمزة لمخرج محدد فمنها قوله « فالألف اللينة هى أضعف الحروف المعتلة ، والهمزة أقواها متناً ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين [2] » ويقول فى موضع آخر « وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوته مضغوطة [3] » .

وقال فى موضع آخر : « والياء والواو والألف اللينة منوطات بها (يقصد بالهمزة) ومدارج أصواتها مختلفة ، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى ، ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين ، وأصلهن من عند الهمزة ، ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن همزهن ، كقولك للمرأة افعلئ وتسكت ، وللاثنين افعلأ وتسكت ، وللقوم افعلؤ وتسكت ، فإنما يهمزن فى تلك اللغة لأنهن إذا وقف عندهن انقطع أنفاسهن فرجعن إلى أصل مبتدئين من عند الهمزة [4] » .

وليس من العسير أن نفهم من مجموعة النصوص الأخيرة أنه إنما يتكلم عن الهمزة التى هى صوت صامت أو ما يعرف بالوقفة الحنجرية Glotal stop ، وهى لا مشاحة صوت له حيِّز ومخرج هو أقصى الحلق ، وإذا فهمنا الحلق على أنه منطقة

---

١ – انظر مناهج البحث فى اللغة صـ ١٢٥ ودراسات فى علم اللغة : ١ / ١٠١ .
٢ – هـ : ١ / ٥١ .
٣ – ع : ١ / ٥٢ .
٤ – هـ : ١ / ٥١ .

أوسع مما نفهم الآن بحيث تشمل الحنجرة (١) يكون كلام الخليل هنا قد طابق من حيث تحديد مخرج الهمزة ما انتهى إليه المحدثون .

وإذا كان ذلك كذلك فلا تناقض فى نصوص الخليل التى لم يذكر فيها للهمزة مخرجاً ونصوصه التى ساقها ونسب فيها الهمزة لحيز معين ، لأن نصوصه الأولى سبقت لغرض وهو وصف الهمزة المسهلة ونصوصه الثانية سيقت لغرض آخر وهو وصف الهمزة المحققة .

أما الأستاذ الدكتور حسين نصار ، وهو صاحب دراسة متخصصة فى المعاجم العربية فيقول عن الخليل إنه « اضطرب فى حروف العلة ، ولم يرتبها ، ولكن جمعها معاً دون تمييز ، وتخلّص بهذه الطريقة من مشكلة عويصه واجهته فيها ، فهو شاعر بأن الهمزة مختلفة عن بقية حروف العلة ولكنه لا يستطيع أن يصوغ هذا الشعور صياغة واضحة (٢) » .

وأنا لم أقرأ لأحد لا فى القديم ولا فى الحديث أنه وصف الخليل بعدم القدرة على التمييز ، ولا بالعجز العلمى الذى يهرب به من المشكلات التى يعالجها ، ولا بالعى الذى يعيقه عن التعبير عما يدرك كما وصفه سيادته . فالخليل لم يجمع حروف العلة ومعها الهمزة معاً جمعاً عشوائياً ودون تميز كما تصور الباحث بل إنه جمعها ووضعها فى ذيل القائمة من المجموعات الصوتية التى انقسمت إليها أبجديته ، لأن هذا هو مكانها الطبيعى بوصفها وحدات صوتية تلعب دوراً متماثلاً فى تشكيل بنية الكلمة العربية معجمياً ، فهى أضعف أصوات اللغة ثباتاً فى هذه البنية وأقلها تكراراً ، والذى فعله الخليل بهذه المجموعة هو ما انتهت إليه الدراسات الإحصائية ، وقد سبقت الإشارة إلى الأرقام التى سجلت لهذه الأصوات (٣) ، وليس أدق من لغة الأرقام قيلا .

١ – انظر دراسات فى علم اللغة : ١ / ١١٢ .

٢ – معاجم العربية : ١ / ٢٤٢ و ٢٤٥ .

٣ – انظر هذا البحث صـ ٣٩.

وفى النهاية ليس البحث بصدد الدفاع عن شخص الخليل ، وإنما أرمى من وراء هذه السطور فى حوارى مع أساتذتى أن أدفع ظلماً وقع على الخليل تارة بالنظر إلى جهده على أنه مجرد تصنيف مبتسر لعمل معجمى ، ومرة بسلبه إبداعه ونسبته لسواه حتى لو كان عن غير قصد وتارة ثالثة بفهم نصوصه على نحو ما وتوظيفها توظيفاً لم يقصده ، وهو أمر أحسب أن من واجب البحث أن يشير إليه وأن يضع عمل الخليل حيث ينبغى له أن يوضع ، ومن أسفٍ أن هذا المنظر العربى النابه قد ظلم قديماً وظلم حديثاً مع الاعتراف النظرى من الأولين والآخرين بأصالته وعلوّ كعبه .

الفصل الثالث

الأساس الكمي



الفصل الثالث : الأساس الكمي

١ — إن حديث الخليل عن كمية الكلمة في تقديمه لنظريته نال منه الخالفون على تفاوت في الدرجة بينهم جميعاً ، فبعض من جاءوا بعده اقتصروا على تعديل التصنيف الكمي بهدف تسهيل مهمة الدارسين في الاستفادة من المعاجم التي يصنفونها ومن هؤلاء مثلا القالي في البارع والزُبيدى في مختصر العين وتبعه في ذلك ابن سيدة في المحكم وابن دريد في الجمهرة وابن فارس في مجملة ومقاييسة وبعض آخر طرح فكرة الأساس الكمي من تصنيفه كالجوهرى في الصحاح ومن تبعه في منهجه كابن منظور في اللسان والفيروزبادى في القاموس المحيط والزَبيدى في تاج العروس . وبهذا أدار صناع المعاجم ظهرهم لفكرة الأساس الكمي دون أن يلتفت أحد ممن جاء بعد الخليل إلى فلسفة هذا الأساس سواء الذين عدلوا الفكرة أم الذين لم يأخذوا بها كلية لأن الجميع تصور أن الخليل كان يرمى من وراء فكرته إلى تقديم إجراء تصنيفى ، وهو أمر يفترض هذا البحث أنه دون حقيقه الفكرة كما قفزت إلى ذهن الرجل ، إنه خطوة منهجية يتكىء عليها للوصول إلى أمرين معاً .

الأمر الأول : أنه الخطوة الأولى لحصر المادة اللغوية بشكل منظم ، ومن خلالها سيطبق فكرة التقاليب ، وبدون خطوة المعالجة الكمية يصبح الإجراء التقليبى الذى نتعرف من خلاله على طاقة اللغة في بناء مفرداتها والتعرف على المستعمل والمهمل هدفاً لا يمكن تحقيقه ، وليس بالضرورة بعد أن نتعرف على هذه الطاقة أن يعتمد التصنيف المعجمى على أيٍ من هذين الأساسين ، فبمعرفة أصناف الكلمة كمياً أستطيع أن أنطلق إلى تطبيق الأساس التقليبى ، وبهما معاً يتحقق الإجراء الحصرى وهو إجراء تنظيمى منهجي لابد منه لأى منظر معجمى .

الأمر الثانى : أن هذا الإجراء سيكمل الإجراء السابق — الإجراء الصوتى — فى التعرف على طبيعة الكلمة معجمياً ، وأى الجذور أكثر تردداً وأيها أقل تردداً ، وهو أمر تبدو أهميته البالغة فى لغة اشتقاقية كالعربية ، ولا شك أن قوانين الاشتقاق تختلف فى التعامل مع الجذور الثلاثية عنها مع الجذور الرباعى ،

وهنا تظهر قيمة الحديث عن الصحيح والمعتل فى داخل التقسيم الكمى لما يترتب على ذلك من أثر فى قواعد التصريف إذ يختلف قانون إستاذ الفعل مثلاً إلى الصحيح عن إسناده الى المعتل .

فالمنظر المعجمى الذى يلتفت إلى فلسفة الأساس الكمى فى النظرية المعجمية لا يشتت الفكر ولا يبدو الجهد ويرهق الذهن بين الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى والمعتل والصحيح كما تخيل ابن منظور ، بل هذا أمر من لوزام النظرة إلى فلسفة النظام المعجمى ، حتى لو لم يكن – وهو غير ما أعتقد – له قيمة على مستوى التصنيف المعجمى ، أو كان عنصراً معيقاً لمن يتعامل مع القاموس .

واللافت للنظر فى كلام الخليل عن فكرة الكمية أنه يصوغها صياغة محكمة من جانب ، وفيها تعميم وطرد بشكل يشبه القانون اللغوى من جانب آخر ، فهو حين عرض لأنواع الكميات حصرها فى أربعة قائلاً « كلام العرب مبنى على أربعة أصناف على الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى [1] » .

فليس فى كلام العرب بناءً على هذه القاعدة كلمة أقل من حرفين ، كما لا توجد كلمة عربية مبنية فى الأصل على أكثر من خمسة أحرف إنه كلام أشبه بالقاعدة اللغوية أو القانون الذى يتسم بالحصر والشمول ، فهل تم خرق هذا القانون فى ضوء الإجراء الإحصائى لمعجمى الصحاح واللسان ؟ أما إحصاءات اللسان فتقول[2] :

أ – ليس هناك جذور أقل من حرفين .

ب – الجذور الثنائية يقل عددها عن عشرين جذراً ، وهى تمثل قرابة جزء من خمسمائة جزء من جذور اللسان .

---

١ – انظر ١ ع / ١ / ٤٨ ، هـ : ١ / ٤١ .

٢ – انضر إحصاءات اللسان صـ ٩ .

جـ – ما زاد على خمسة أحرف حوالى ست عشرة كلمة وهى فى الغالب من أصل غير عربى .

د – الجذور الثلاثية والرباعية والخماسية الواردة بلسان العرب تمثل ٩٩,٦ ٪ من جملة جذور المعجم .

وحين نتقدم نحن إلى الخليل – ولا أقول نرجع – لنرى بعض ما يضىء ذلك نجده يقول : « وليس للعرب بناء فى الأسماء ولا فى الأفعال أكثر من خمسة أحرف ، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرفٍ فى فعلٍ أو اسم ، فاعلم أنها زائدة على البناء ، وليست من أصل الكلمة مثل : قر عبلانة إنما أصلها قرعبل ، ومثل عنكبوت ، إنما أصل بنائها عنكب » .

ثم يضيف قائلاً : الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف مثل سعد وعمر ونحوهما بُدىء بالعين (يقصد فى مثال عمر) وحشيت الكلمة بالميم ووقف على الراء ، فأما زيد وكيْد فالياء متعلقة لا يعتد بها [1] » .

وكان الخليل حريصاً على أن يقدم وصفاً دقيقاً لكل نوع منها ، وتتسم عبارته بالحساسية الشديدة ، فهى مرنة فى بعض الأحيان حين تكون المادة واسعة لا يمكن إخضاعها لقاعدة ، وتكون صارمة قاطعة طابع القانون حين تكون الظاهرة مما يمكن أن يخضع للضبط والتقعيد .

وسوف يتناول البحث كلام الخليل عن كل نوع منها بالتفصيل ، لنتعرف مجموعة الأحكام التى انتهى إليها من ملاحظة المادة المعجمية .

٢ – الثنائى :

بدأ الخليل كلامه عن الثنائى بالتمثيل له قائلا « فالثنائى على حرفين نحو :

١ – ع : ١ / ٤٩ .

قد ، لم ، هل ، لو ، بل ، ونحوه من الأدوات والزجر [1] ، فالثنائى الذى لا تتجاوز نسبته ٠٤ , ٪ أو هو بدقه ٠,٣٧٢ ٪ [2] محصور فى الحروف والأدوات وأسماء الأصوات [3] . والأمثلة التى قدمها الخليل للثنائى تعكس وعيه التام بأنه أقل الأنواع الأربعة فى اللغة ، وأنه ليس الأصل بالنسبة للكلمة العربية .

وإذا كان ذلك كذلك فإن دعوى ثنائية الأصل اللغوى للكلمة العربية التى ذهب إليها نفر من الباحثين قديماً كالراغب الأصبهانى وحديثاً كالأب أنستاس مارى الكرملى والأب مرمرجى الدومنيكى هى دعوى لا يدعمها الواقع اللغوى ويبدو أن منطلق الخليل فى رصد المادة اللغوية وإصدار الأحكام عليها يختلف عن منطلق دعاة الثنائية . فعلى حين يعتمد الخليل على منهج يمكن وصفه بأنه منهج وصفى استقرائى يرصد مادة اللغة الواقعية الفعلية ، ويصل من خلال هذا الواقع إلى أحكامه ، على حين نجد أن دعاه الثنائية يلجئون إلى منهج آخر يمكن وصفه بأنه منهج تاريخى يعتمد على أساس مفترض ، وعلى حين يدعم الواقع اللغوى نتائج الخليل ومن لَفَّ لفه ، نجد أن كلام أنصار الثنائية يعتمد على التخمين الذى يفتقد إلى الدليل ، وعلى المستوى العلمى البحت فإن ما يمكن التدليل عليها وإثباته أدعى إلى القبول من فرضية لا يمكن التدليل عليها بيسر . وحتى على المستوى التاريخى المنظور فإن الدرس السامى المنهجى انتهى إلى القول بثلاثية الأصل عند المحققين من العلماء الذين أسهموا بجهدهم فى هذا الميدان [4] . وسوف نعود إلى هذه النقطة ببعض التفصيل فى الفصل الأخيرة إن شاء الله .

---

١ – ع : ١ / ٤٨ .

٢ – إحصاءات الصحاح صـ ٥١ .

٣ – هذا ما فهمه أستاذنا عبد الله درويش من كلمة (الزجر) عند الخليل انظر صـ ٣ من الجزء الذى حققه .

٤ – انظر مثلاً تاريخ اللغات السامية صـ ٢١٤ ١٦ ، اللغات السامية صـ ٩ ، دروس اللغة العبرية ١٩ ، فصول فى فقة اللغة صـ ٤٥ .

ولعل هذا الحكم المتواضع ، والذى يترتب عليه أن يكون للثنائى دور متواضع كذلك على مستوى مادة المعجم وتشكيل فلسفتها العامة تجد الدراستين الإحصائيتين تغضان الطرف عن هذا الثنائى وتطرحانه من نتائج الإحصاءات كما فعلت نفس الشيء بالنسبة للكلمات الزائدة عن خمسة أحرف [1] .

ونظراً لهذا الدور المحدود للمادة الثنائية فى المعجم العربى ، فإن الأحكام التى أصدرها الخليل عنه قليلة ، وتكاد تنحصر فى إشارة تدخل فى إطار طرد القانون ، وذلك حين تحدث عن أن الكلمة الثنائية لا تكون اسماً ، وإذا جيء منها باسم خضعت لقانون اللغة العام فى ذلك وهو أن تبنى من ثلاثة أحرف ويشير إلى ذلك قائلاً : فإن صيرت الثنائى مثل قدْ وهَلْ اسماً أدخلت عليه التشديد فقلت : هذه لوٌّ مكتوبة ، وهذه قَدٌّ حسنة الكِتْبة ، زدت واواً على واو ، ودالاً على دال ، ثم أدغمت وشددت فالتشديد علامة الإدغام ، والحرف الثالث كقول أبى زبيد الطائى

ليت شعرى وأين منى ليتٌ   إن ليتاً وإنَّ لوّاً عناءُ

فَشدد (لوّاً) حين جعله اسماً .

قال ليث : قلت لأبى الدقيش هل لك فى زُبد ورطب ؟ فقال : أشدُّ الهلّ وأوحاه . فشدد اللام حين جعله اسماً [2] » .

فهو فى هذه الإشارة : طرد القانون اللغوى الذى صاغه من كون الاسم يُبنى فى حده الأدنى على ثلاثة أحرف ، وبعض الكلمات المكونة من حرفين إذا أريد أن تدخل مجال الأسماء خضعت لنفس القانون ، ولا يترك ما ذهب إليه مجرد فرض نظرى بل شفعه بالدليل اللغوى من استعمال العرب أنفسهم ، وهكذا الخليل دوماً لا يصدر فى أحكامه إلا من الواقع اللغوى .

---

١ – إحصاءات اللسان ص ٩ .

٢ – ع : ١ / ٤٨ ، ٥٠ .

٣ – ١ : الثلاثي :

أما عن المادة الثلاثية فقد أشار إليها فى أكثر من موضع ، غير أن كلامه عنها اتسم بالحرص فلم يكثر من الأحكام العامة ، خلافاً لما حدث مع الرباعى والخماسى الذى أصدر عدة أحكام تتصل بهما ، ويبدو أن طبيعة المادة الثلاثية الغزيرة ، والتى تمثل نحو ٧٠ ٪ من مادة اللغة قد جعلته حريصاً على هذا التحفظ فى إصدار الأحكام إذ ليس من السهولة أن يُخضع الباحث هذه المادة للرصد الدقيق الذى يمكنه من الخلوص إلى ظواهر تخص البنية من ذلك النوع الذى يمكن وصفه بالعموم .. وقد بدأ حديثه عن الثلاثي بالتمثيل للكلمة الثلاثية فقال « والثلاثى من الأفعال نحو قولك ضرب [١] ، خرج ، دخل مبنى على ثلاثة أحرف ، ومن الأسماء نحو عمر وجمل وشجر مبنى على ثلاثة أحرف [٢] » .

وكلام الخليل هنا يعنى الأمور التالية :

– أن الكلمة الثلاثية لا تكون إلا اسماً وفعلاً فقط ، ولا تكون تأسيساً على ذلك حرفاً أبداً ، وينبغى أن ينظر إلى الحرف الذى يرد على أكثر من حرفين على أنّ فيه زيادة مثل : لعل ، وليت ، أو أنه مركب مثل ربما ، وإنما .

– أنه ذكر ثلاثة أمثلة للاسم ومثلها للفعل ، وهو ما يفهم منه ضمناً أن نماذج الثلاثى من الأسماء والأفعال كثيرة فلا ميزة لأحدهما على الآخر من حيث الكم . وتبدو هذه الملاحظة بدهية لا تستحق هنا التسجيل ، ولكنها ذات قيمة سلبية حين نتناول الأنواع الأخرى كالخماسى مثلاً . حيث سنقف أمام الخماسى لنتبين من خلاله حقيقة وجود أفعال خماسية الأصل أم لا .

---

١ – حين نقل Haywood هذ النص ذكر خرب Kharaba بدلاً من ضرب ، وهو خطأ فى قراءة النص – العربى ، وقد تكرر من نظائر هذا الخطأ كثير من الأمثلة ، سأشير إلى بعضها فى حينه انظر Arabic Lexicography, P - 29 .

٢ – ع : ١ / ٤٨ ، هـ : ١ / ٤٢ .

- إذا كان الثلاثي هو أكثر مادة اللغة من جانب ، وهو تبعاً لذلك أصل هذه المادة والطبيعة الاسمية والفعلية متساوية في هذه المادة الأصل . إذا دعوى فعلية الأصل أو اسميته أقرب إلى الفرض التخميني منه إلى الحقيقة العلمية التي يمكن التحقق منها .

٣ - ٢ - ومما قاله عن الثلاثي أيضاً تميزه بين نوعي الثلاثي من حيث الصحة والاعتلال « وتفسير الثلاثي الصحيح أن يكون ثلاثة أحرف ولا يكون فيها واو ولا ياء ولا ألف (لينة ولا همزة) في أصل البناء ، لأن هذه الحروف يقال لها حروف العلل ، فكلما سلمت كلمة على ثلاثة أحرف من هذه الحروف فهي ثلاثي صحيح مثل ضرب ، خرج ، دخل ، والثلاثي المعتل مثل : ضرا ضرى ، ضــرو ، خلا ، خلى ، خلو ، لأنه جاء مع الحرفين ألف أو واو أو ياء فافهم [١] » ويلفت نظرنا في هذا النص ما يلي :

- أنه النص الوحيد الذي تعرض فيه لخاصية الصحة والاعتلال ، وهو ما يعني أنها خاصية من خصائص البنية المعجمية خلافاً لبعض الخصائص الكثيرة التي تخصُّ بنيتها الصرفية كالتعدي واللزوم والبناء للمعلوم أو المجهول ، وتوكيد وعدم التوكيد بالنون وغيرها .

- أنه اقتصر في حديثه عن هذه الخاصية على الكلمة الثلاثية ، وهو ما يعني ضمنا أنه يؤمن أن الكلمة الثلاثية هي الأصل ، وأن المعتل من غير الثلاثي خاصة أصله ثلاثي مثل حوقل ، جورب رهوك بيطر ونظائرها . وعليه فلم يُقَعِّد لظاهرة الصحة والاعتلال فيما زاد على ثلاثة .

- قوله (ولا همزة) زيادة أضافها المحققات عن التهذيب وهي عندي مهمة في فهم علّه ذكر خاصية الصحة والاعتلال ، إذ الهدف هو التعرف على قضية

---

١ - ع : ١ / ٦٠ .

انقلاب أحرف العلة بعضها من بعض في بنية الكلمة ، والهمزة في هذه الناحية تشارك هذه الحروف ، وإن لم تكن من حروف العلة بدليل أنه لم يذكر لها مثالاً في آخر النص ، مع حرصه على ذكر مثالين لكل من الألف والواو والياء . وهو دليل على أمرين مهمين .

الأول : أنــه يعني أنها تختلف عن الواو والألف والياء في خاصية الصحة والاعتلال ، فالهمزة صحيح وثلاثتها علل .

الثاني : أنه تأسيساً على الأمر الأول فإن الهمزة تختلف من حيث طبيعتها النطقية عن هذه الثلاثة حين تكون مداً . فالهمزة صامت ، وهذه الثلاثة حين تكون مداً مثل قال — يصوم ، يبيع فهي حركات وهذا تأكيد لما سبق معالجته عن الهمزة والألف في الفصل السابق .

ولكن ثلاثة الحروف مع الهمزة في هذا السياق تشترك في أمرين مهمين كذلك :

الأول : الإعلال وانقلاب بعضها من بعض ، وعليه فهي من أضعف الأصوات ثباتاً في بنية الكلمة .

الثاني : اتفاقها معاً في الضعف النسبي في نسبة التردد في هذه البنية ، وهو ما سبقت الإشارة إليه من خلال الإحصاءات في الفصل السابق .

٣ — ٣ : وتعرض الخليل في موضع آخر لأمر يخص الثلاثي ، وهو بعض أشكال الاشتقاق من الكلمة الثلاثية فيقول « والعرب تشتق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المثقل بحرفي التضعيف ، ومن الثلاثي المعتل ، ألا ترى أنهم يقولون : صَلَّ اللجام يصل صليلاً ، فلو حكيت ذلك قلت : صَلَّ تمد اللام وتثقلها ، وقد خففتها في الصلصلة وهما جميعاً صوت اللجام ، فالثقل مَدٌّ والتضاعف ترجيع يخفّ فلا يتمكن لأنه على حرفين ، فلا يتقدر للتصريف حتى

يضاعف أو يثقل فيجيء كثير منه متفقاً على ما وصفت لك ، ويجيء منه كثير مختلفاً نحو قولك : صَرَّ الجندب صريراً ، وصرصرا لأخطب صرصرة ، فكأنهم توهموا في صوت الجندب مداً ، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعاً ، ونحو ذلك كثير مختلف . وأما ما يشتقون من المضاعف من بناء الثلاثي المعتل ، فنحو قول العجاج :

ولو أنخنا جمعهم تنخنخوا

وقال في بيت آخر :

لقَحلنا إن سَرَّه التنوُّخ[1]

ولو شاء قال في البيت الأول ، (ولو أنخنا جمعهم تنوخوا) ولكنه اشتق التنوُّخ من تنوخنا ها فتنوخت ، واشتق (التنخنخ) من أنخناها ، لأن أناخ لما جاء محققاً حسُن إخراج الحرف (المعتل) منه ، وتضاعف الحرفين الباقيين في (تنخنخنا تنخنخاً) ولما تقل قويت الواو فثبتت في التنوخ فافهم [2] » .

يشير الخليل في هذا النصّ إلى شكلين من أشكال الاشتقاق ، وظفهما العربي ليكون لكل منهما دور يناسب دلالته .

الشكل الأول : الاشتقاق مما سماه الثلاثي المثقل بحرفي التضعيف أو ما يسميه الصرفيون بالثلاثي المضعف مثل صَلَّ ، وصَرَّ وقد لاحظ الخليل في هذا النوع :

أ – أن العرب تشتق في كثير من كلامها من نماذج هذا الشكل فتقول : صل صليلاً ، وصَرَّ صريراً ، ورأى أن المد في الكلمة المشتقة (صليل ،

---

١ – البيت الأول والثاني ليسا سوى شطرتي بيت واحد كما أشار إلى – ذلك أستاذنا هارون في التهذيب مُحيلا إلى ديوان العجاج انظر هـ ١ / ٤٧ .

٢ – ع : ١ / ٥٦ / ٥٧ .

وصرير) فيه مناسبة للمعنى الذى تعبر عنه الكلمة أو يعبر عنه صوت الكلمة .

ب – كما أنهم يشتقون كذلك من هذا النوع بكثرة على مثال صَلّ صلصلة ، وصَرّ صَرصرة ، وذلك بتخفيف صَلّ وصَرّ لتصير صَلْ ، وصَرْ ، ثم يضاعفون الكلمة فيصير بناؤها مناسباً للترجيع ، فإن شاء العربى – كما قال الخليل « اكتفى بها مرة ، وإن شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك فقال : صَلْ صَلْ صَلْ فيتكلف من ذلك ما بدا له [1] » ، فأمر الترجيع أو التكرار إنما هو تعبير عما يحسه العربى من كون الصوت يناسب الحركة التى يعبر عنها وإلى ذلك يشير « وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبهها : يتوهمون فى حسن الحركة ما يتوهمون فى جرس الصوت ، يضاعفون لتستمر الحكاية على وجه التصريف [2] » ثم يفسّر الخليل هذا المدّ وذلك التضعيف كسلوك لغوى قائلاً :

« كأنهم توهموا فى صوت الجندب مَدّاً ، وتوهموا فى صوت الأخطب ترجيعاً [3] » ، كأن العربى إنما يشتق بعض الكلمات محاكياً الصوت الذى تعبر عنه الكلمة ، وهى إشارة ذكية ومبكرة لتلك الظاهرة المعروفة بمحاكاة أصوات الطبيعة Onomatopoea ، ويأتى إدراك الخليل لها من جانب وتعبيره الدقيق عنها آية على منهج خليلى متميز بالحساسية العلمية والقدرة على وصف الظاهرة بعبارة دقيقة من ذلك قوله « فيجىء كثير منه متفقاً على ما وصفت لك (يقصد نموذج صل صليلاً وصرصريراً) ويجى كثير منه مختلفاً (يقصد نموذج صل صلصلة وصّرصرة) . وفى

---

١ – ع : ١ / ٥٥ .

٢ – السابق نفسه الصفحة .

٣ – ع : ١ / ٥٦ .

ذلك اعتراف بوجود الظاهرة فى اللغة ولكنه لا يتخذ من وجودها أساساً يبنى عليه أحكاماً ، أو يفسر موضوع النشأة اللغوية على نحو ما فعل غيره من اللغويين قديماً وحديثاً . إذ اكتفى الخليل برصد الظاهرة ويكاد موقفه منها لا يتجاوز موقف المحققين من علماء اللغة المحدثين من الظاهرة ، حين سلموا بوجود أمثلة منها فى كل اللغات لكنها ليست قانوناً مطرداً يفسر نشأة اللغة البشرية .

وهنا تجمل الإشارة إلى الفرق الجوهرى بين الخليل وبين خالفيه فى رصد الظواهر اللغوية ، إنه عالم لغة يرصد الظاهرة ، ويصفها كما هى موجودة فى الواقع اللغوىّ ، ولا يبنى على الظاهرة أحكاماً إلا إذا اتسمت بالشمول والاطراد . على حين يلتقط خالفوه الظواهر التى سجلها ويبنون عليها أحكاماً تتسم فى بعض الأحيان بالغلو والاعتساف ، بل فى كثير من الأحيان تنسب إليهم ، فعلى الرغم من أن ابن جنى فصَّل القول فى أمثلة هذه الظاهرة ، فقد أقرَّ بأنه ليس أول من أدركها وسجلها قائلاً « اعلم أن هذا موضع شريف لطيف ، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته قال الخليل : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومداً فقالوا صرّ وتوهموا فى صوت البازى تقطيعاً فقالوا صرصر (١) » كما يشير إلى أن سيبويه سلم بما قال به أستاذه فى الظاهرة حين ذكر « أن المصادر التى جاءت على الفعلان إنما تأتى للاضطراب والحركة نحو النقزان والغليان والغشيان فقابلوا بتوالى حركات المثال توالى حركات الأفعال (٢) » بالرغم من هذا الاعتراف الصريح بأن رائد العلماء العرب فى ملاحظة الظاهرة هو الخليل فإن الاستاذ صبحى الصالح يقول : « إن ابن جنى يظل رائد اللغويين القدامى الذين لاحظوا الظاهرة وقرروها (٣) » ويبدو أن كثيراً من أفكار الخليل فى مجال النظرية

١ – الخصائص ٢ / ١٥٢ / ١٥٣ .
٢ – السابق نفس الصفحة .
٣ – دراسات فى فقة اللغة ١٥١ .

اللغوية قد سلبت ونسب أكثرها لابن جنى ، وقد سبقت الإشارة إلى شىء من ذلك فى الفصل الأول ، وسوف يشير البحث إلى بعض آخر فى مواضع تالية من هذا البحث . على الرغم من أن ملاحظة ابن جنى للظاهرة التى نحن بصددها - ولسواها كذلك على ما يبدو - تتسم فى أكثر الأحيان بالغلو خلافاً لمنهج الخليل الاستقرائى الوصفى للظاهرة ، وأحكامه الموضوعية الدقيقة التى لم تتجاوز تفسير الظاهرة والتسليم بوجودها وشتان بين هذا الموقف وموقف ابن فارس وابن جنى بل وعباد الصيمرى[1] الذى يؤمن بطبيعيّة العلاقة بين اللفظ والمدلول ذلك الاتجاه الذى تصل أحكامه إلى حد الانفلات العلمى .

٤ - ١ : أما عن بناء الرباعى ، فإن الخليل قد أشار إليه بشىء من التفصيل ، وأصدر من خلال ملاحظة مادته عدّة أحكامه تخصه ، ويبدو أن ثمة أموراً ساعدته على ذلك ، منها وجود ظواهر مطردة فى المادة الرباعية ، كما أن كمّ هذه المادة محدود نسبياً [2] بالقياس إلى الثلاثى ، الأمر الذى ساعده على إمكانية الملاحظة الدقيقة ، وإصدار الأحكام العامة .

٤ - ٢ : أما أولّ ما صرح به عن الرباعى فقوله : « والرباعى من الأفعال نحو دحرج هملج ، قرطس . مبنى على أربعة أحرف ، ومن الأسماء نحو عبقر وعقرب ، وجندب وشبهه [3] » .

---

١ - انظر رأية فى المزهر ١ / ٤٧ .

٢ - يبلغ مجموع الجذور الرباعية ٢٠٤٨ جذراً حسب إحصاءات اللسان صـ ٢٩ بنسبة ٢٧,٥٪ من جملة جذور المعجم ، وقد ذكر صـ ٢١ أن مجموع الرباعى ٢٤٥٨ ، وهو خطأ مطبعى والصواب هو الرقم الأول الذى ذكره صـ ٢٩ لأن مجموع الجذور صـ ٢٩ هو ٩٢٧٣ منها ٦٥٣٨ للثلاثى و ١٨٧ للخماسى ومجموعهما معاً ٦٧٢٥ فيكون الباقى هو مجموع الرباعى وهو ٢٠٤٨ .

٣ - ع : ١ / ٤٨ ، ونقل Haywood كلمة عبقر فقال (عبجر) abgar وهو خطأ - على ما يبدو كتابى انظر Arabic Lexicography, P - 29 .

ومن نص الخليل السابق نفسهم ما يلى :

– أن الكلمة الرباعية إمّا أن تكون اسماً أو فعلاً ولا تكون بالضرورة حرفاً أبداً .

– أنه مثل للفعل بثلاثة ومثل للاسم بثلاثة كذلك وهو ما يعنى ضمنا أن الصنفين شائعان فى الرباعى ، ولا مزية لأحد الصنفين على الآخر من حيث الكم فى اللغة .

– قوله : مبنى على أربعة أحرف يفهم منه أن العرب تبنى الكلمة فى اللغة على هذا العدد بكثرة ، وهو حكم مخالف لما قال به بعض اللغويين كابن فارس وسواه من أن « الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب (ضِبَطْر) من (ضبط) و (ضبر) وفى قولهم (صهصلق) أنه من (صهل) و (صلق) وفى (الصلدم) أنه من (الصلد) و (الصدم) [1] .
وهو أمر سنعود له بشىء من التفصيل ، غير أننا نشير هنا إلى أن الخليل هو رائد من قال بالنحت ولكنه وضع الظاهرة كذلك فى حجمها الطبيعى من اللغة ، كما أنه هنا يشير إلى أن العرب يبنون كثيراً كلمات رباعية الأصل ، وهو ما يدعمه الواقع وتدعمه كذلك الإحصاءات الدقيقة ، فإذا كان حجم الكلمات المنحوته عند بعضهم حوالى ثلاثين أو ستين أو ثمانين كلمة ولا يتجاوز ثلاثمائة كلمة عند المغالين فى حصرها [2] فإن مجموع الجذور الرباعية حسب إحصاءات اللسان تصل إلى ٢٥٤٨ جذراً يمكن أن تولد عشرة أضعاف هذا الرقم من الكلمات الرباعية . الأمر الذى يعنى أن المنحوت منها هو نسبة لا تصل إلى ١ ٪ إذا سلمنا بصحة أعلى الأرقام التى سجلت الأمثلة المنحوتة .

---

١ – انظر الصاحبى صـ ٤٦١ والمقاييس ١ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

٢ – انظر المزهر : ١ / ٤٨٢ وفقه اللغة للثعالبى ٥٧٨ ، ودراسات فى فقه اللغة صـ ٢٤٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، وانظر العربية الفصحى الحديثة صـ ١١٨ .

٤ — ٢ : ويتابع الخليل حديثه عن الكلمة الرباعية فى اللغة فيقفنا على خاصية صوتية بارزة تتميز بها الكلمة الرباعية وتشاركها نفس الخاصية — كما سيأتى — الكلمة الخماسية يقول الخليل « فإذا ورد عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلق أو الشفوية ، ولا يكون فى تلك الكلمة من هذه الحروف حرف أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ، ليست من كلام العرب ، لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر [١] » .

ويضيف إلى ذلك ملمحاً يتصل بنفس الظاهرة ونفس البناء فيقول : « وأما الرباعى المنبسط فإن الجمهور الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذلق أو من بعضها إلا كلمات نحواً من عشر جئن شواذ . ومن هذه الكلمات : العسجد ، والقسطوس والقداحس والدعشوقة ، والهدعة ، والزهزقة وهى مفسرة فى أمكنتها [٢] » .

من النصين السابقين نتعرف على تقرير علمى ميدانى عن المادة الرباعية فى اللغة العربية وهو كلام يحتاج إلى وقفة هادئة كما يحتاج إلى تحقق من صدق النتائج التى وصل إليها فمنه نعرف ما يلى :

- أن النتيجة التى وصل إليها هى من متابعة الكلمة المنطوقة فى اللغة (لست واجداً من يسمع من كلام العرب) وهو سبق منهجى فى الاعتماد على اللغة الحية شفاهة وليس الأمر وصفاً لكلمات مروية أو مكتوبة ، إنه يحيلنا إلى الواقع اللغوى المستعمل بالفعل لنتحقق من صدق النتيجة التى وصل إليها .
- أن العربى له طريقة خاصة فى بناء كلماته ، وقد تكيف جهازه النطقى على نمط من الأداء الفسيولوجى يجعل هذا الجهاز يصدر الأصوات بطريقة خاصة ، كما أن له خصوصية فى اختيار سلاسل صوتية معينه فى كلماته يمكن تمييزها

١ — ع : ١ / ٥٢ .
٢ — ع : ١ / ٥٢ .

والتعرف عليها . وهذا الفهم الخليلي رائد في إدراك خصوصية اللغة التي هي انعكاس لخصوصية المجتمع الذي ينتمي إليه ، والفكر الذي يعبر عنه كذلك ، فكما أن لكل مجتمع عاداته وتقاليده وأعرافه وآدابه الاجتماعية التي تميز مجتمعاً من مجتمع آخر ، فإن في اللغة التي هي من بنات الاجتماع البشري نفس الخصوصية المستقلة ، وذات البصمة اللغوية المتميزة التي هي صدى للاستقلال والتميز المعرفي لشعب دون شعب ، ولابد أن يظهر ذلك على تفاوت في مدى الوضوح – على كل مستريات التحليل اللغوي ابتداءً من المستوى الصوتي فالمعجمي فالصرفي فالنحو فالدلالي ، ويترتب على ذلك أنه يمكن اعتبار اللغة في ضوء هذا « فهرساً لحضارة المجتمع المعين ، تتأثر به وتؤثر فيه بحيث يصبح الفصل بينهما أمراً متعذرا [1] » .

– أن الاعتماد على وجود سلاسل صوتية معينة كثيرة التردد في بنية الكلمة ، وسلاسل معينة هابطة أو منخفضةنسبياً ، أو عدم وجود سلاسل معينة أو مقاطع صوتية بعينها هو إجراء فحصي يدخل في إطار القياس الكمي للكلام لاكتشاف خواص معينة به يسبق الخليل هذا اللون من ألوان الدرس الإحصائي الرياضي الذي يباهي به المحدثون ، وليس الأمر مجرد سبق في الإجراء والتصور فحسب ، بل نحن في حاجة إلى التأكد من صحة النتائج التي انتهى إليها الخليل من خلال ما يتوفر لدينا من إحصاءات دقيقة عن طبيعة التشكيلات الصوتية المتميزة والممتنعة في مادة المعجم العربي كما تظهر في إحصاءات الصحاح واللسان . وفي الجدول التالي محاولة لتقديم تتبع لترددات الأصوات الأكثر تردداً في جذور الصحاح ثم نتبعها بجدول مماثل في جذور اللسان ، مع قراءة لنصوص الخليل ومؤشرات الدراسة الإحصائية معاً .

---

١ – اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها صـ ١٢٢ .

أولا : الكلمة الرباعية – سلاسل صوتية عالية التردد فى إحصاءات الصحاح [1] .

المسلسل	صفة الحرف	الحرف	مرات التردد	النسبة المئوية[2]	نسبة الحرف إلى الكلمة[3]
١	الذولقية	ر	٤٤٣	١٤,٤٥٨	
٢		ل	٢٢٧	٧,٤٠٩	
٣		م	٢٢٥	٧,٣٤٣	
٤		ب	٢١٦	٧,٠٥٠	
٥		ف	١١٨	٣,٨٥١	
٦		ق	٩٧	٣,١٦٦	
	مجموع الذولقية		١٣٢٦	١٣,٢٧٦	١,٧٣١
٧	النصاعة	ع	٢١٣	٦,٩٥٢	
٨		ق	١٦٣	٥,٣٢٠	
٩		د	١٦١	٥,٢٥٥	
١٠		س	١٦١	٥,٢٥٥	
	مجموع النصاعة		٦٩٨	٢٢,٧٨٢	٠,٩١١
	مجموع العشرة الكبار		٢٠٢٤	٦٦,٠٥٧	٢,٦٤٢

سبق أن أشار البحث إلى أن الخليل قد ذكر أن الكلمة الرباعية لا تخلو من حرف أو أكثر من حروف الذلاقة ، وسوف يذكر بعد ذلك أصواتاً أخرى تتمتع بنفس الخاصية هى المجموعة التى وصفها بالنصاعة وهى على الترتيب (ع ق د س) .

١ – إحصاءات الصحاح جدول ١ صـ ٥١ لنسبة الجذور ، وجدول ١٣ صـ ٧٥ لترددات ونسب الحروف .

٢ – تحددت النسبة المئوية على النحو التالى : $\frac{\text{مرات التردد} \times ١٠٠}{\text{مجموع التردد}}$

٣ – المقصود بهذا المصطلح كمية حروف معينة إلى مجموع حروف الكلمة . وتحديد هذه النسبة على النحو التالى $\frac{\text{النسبة المئوية} \times ٤}{١٠٠}$ ورقم أربعة هو عدد حروف الجذر الرباعى .

وفى الجدول السابق المأخوذ من الدراسة الإحصائية لجذور الصحاح يتبين أن حروف الذلاقة الستة (ر ل م ب ف ن) هى أكثر حروف الأبجدية الصوتية الخليلية تردداً فى الكلمة الرباعية التى يبلغ مجموع جذورها ٧٦٦ [1] جذراً وعدد حروفها ٣٠٦٤ حرفاً [2] ، ونسبتها إلى جملة جذور المعجم ١٣,٥٨٤ ٪ .

ويتبين من الجدول السابق ما يلى :

- أن مجموع تردد حروف الذلاقة فى الجذر الرباعى ٤٣,٢٧٦ ٪ من جملة ترددات جميع حروف هذا الجذر قارن الرقم ٣٠٦٤ إلى الرقم ١٣٢٦ .
- أن ١,٧٣١ حرف ذولقى من بين حروف الجذر الأربعة أى أن حرفاً وثلاثة أرباع الحرف من حروف الجذر الرباعى هى من حروف الذلاقة ، وهذا يعنى استحالة أن يخلو الجذر الرباعى من حرف أو أكثر من هذه الحروف .
- ذكر الخليل فى مواضع أخرى أن الكلمة إذا عرت من حروف الذلاقة يقل ورودها وتنزر فى اللغة مثل دعشوقة وجلاهق « ولولا مالزمهن من العين والقاف ما حسن على حال ، ولكن العين والقاف لاتدخلان فى بناء إلا حسنتاه ، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً ، فإذا اجتمعا أو أحدهما فى بناء حسن البناء لنصاعتهما [3] » .

وما أعجب نصَّ الخليل حين يختار بعد حروف الذلاقة العين والقاف كأصوات تتسم بالنصاعة أو الطلاقة مما يجعل البناء سائغاً عند العربى وهو ينسخ كلماته ، والغريب هو قوله العين والقاف ولم يقل القاف والعين ، لاحظ ترتيب هذين الصوتية بعد حزمة حروف الذلاقة بل لاحظ كذلك الحرية الموقعية للعين التى

١ – انظر إحصاءات الصحاح جدول ١ صـ ٥١ .

٢ – هذا الرقم جاء من ضرب ٧٦٦ × ٤ وهو عدد حروف الجذر الرباعى – انظر السابق نفس الصفحة .

٣ – ع : ١ / ٥٣ .

هى أسبق الحروف وروداً فى الجذر الرباعى خاصة يليها القاف [1] ، أقصد مجىء العين كحرف أول (فاء الجذر الرباعى) يليه القاف كحرف ثان (عين الجذر الرباعى) .

ثم يتابع الخليل رصده المدهش فيقول : عن أكثر الحروف بعد العين والقاف « فإن كان البناء اسماً لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف ، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء فحسنت ، وصارت حال السين من مخرج الصاد والزاى كذلك ، فمهما جاء من بناء اسم رباعى منبسط معرى من الحروف الذلق والشفوية فإنه لا يعرى من أحد حرفى الطلاقة أو كليهما (يقصد العين والقاف) ومن السين والدال أو أحدهما ، ولا يضر ما خالف من سائر الحروف الصُتّم ، فإذا ورد عليك شىء من ذلك فانظر ما هو من تأليف العرب وما ليس من تأليفهم نحو : قعثج ونعثج ودعثج لا ينسب إلى عربية ولو جاء عن ثقة لم ينكر ولم نسمع به ، ولكن ألفناه ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل[2] » .

تلك هى الحروف الأربعة (ع ق س د) واللافت للنظر أنه تارة يقدم فيقول السين والدال وتارة أخرى يبدأ فى التعليل بالدال ثم السين وهو ما يعنى تساويهما فى ذلك وهذا ما تقوله الإحصاءات فهما يترددات ١٦١ مره لكل منهما بنسبة واحدة طبعاً ٥,٢٥٥ ٪ والحروف الأربعة تتردد فى الجذور الرباعية ٦٩٨ مرة بنسبة ٢٢,٧٨٢ ٪ وهناك قرابة حرف من هذه الأربعة (٠,٩١١ ح ك) من بين حروف الجذر الرباعى .

أما مجموع العشر الكبار ، أو الأكثر ترددا فى الجذر الرباعى (حروف الذلاقة وحروف النصاعة) فهو ٢٠٢٤ من مجموع حروف جذور الرباعى البالغة

---

١ – انظر إحصاءات الصحاح جدول رقم صـ ٧٣ .
٢ – ع : ١ / ٥٤ .

٣٠٦٤ بنسبة ٦٦,٠٥٧ ٪ أو ٢,٦٤٢ حرف من كل أربعة حروف ، وهذا يعنى أن حوالى ثلاثة أحرف إلا قليلا من هذه الحروف العشرة تدخل فى تشكل الجذر الرباعى ، والباقى يتوزع على ١٨ حرفاً أو بقية الحروف الثمانية والعشرين .

إن هذه النتائج الإحصائية التى تطابق كلام الخليل ، أو تؤكد صحته هى شهادة على أن هذه الإحصاءات دقيقة لأن أحداً لا يعرف عن الخليل إلا أنه أذكى العرب ، وأنه كما وضع بحور الشعر فلم يخرج عنه نغم ، فها هو يعطى الإحصاءات شهادة الدقة ولا أقول تعطيه هى الشهادة على أن ما جاء به هو الصواب . وأضيف فأقول إن ذلك دليل آخر على أن هذا العمل الكبير لا يصدر إلا عن مثل الخليل .

ما سبق من قراءة الجدول هو فى جوانب الاتفاق فيما يتصل بالحروف العشرة الأكثر تردداً فماذا عن السلاسل الشاذة التى أشار إليها الخليل فى مثل قعثج ونعثج ودعثج ؟ .. بالرجوع إلى الجداول [1] تبين ما يلى :

لم ترد كلمة رباعية تنتهى بالمقطع (ثج) فى إحصاءات الصحاح ، وجاء ذلك مرة واحدة فى إحصاءات اللسان ، وهذا يعنى أن مثل هذه الكلمات تخالف النسيج الصوتى للكلمة العربية تماماً كما قال الخليل .

أن الخليل هنا قام بنفس ما يقوم به المحدثون [2] من قياس كمية الأصوات

---

١ – راجع جدول ١٥ صـ ١٨ من إحصاءات الصحاح ، وجدول ١٣ صـ ٥٩ من إحصاءات اللسان .

٢ – فى الفصل الخامس الذى كتبه (هدسون) فى كتابه المترجم إلى العربية بعنوان علم اللغة الاجتماعى ، يشير إلى أن ظهور ترددات صوتية معيّنة فى الكلمات أو النصوص أو ظهور مقاطع صوتية معينة أو متغير صوتى معين يساعد على التمييز بين لغة ولغة أو مستوى لغوى ومستوى لغوى معين أو طبقة إجتماعية وطبقة إجتماعية أخرى ، وهو تقريباً نفس الإجراء الذى طبقه الخليل قبل وليام لابوف ١٩٧٢ وترودجل وماكولى ١٩٧٨ . راجع المصدر السابق الفصل الخامس .

ووجود ترددات صوتية معينة ذات تميز واضح أو متغير صوتى معين Phonlogical variables لإثبات عربية الكلمة أو لمعرفة ما إذا كانت الكلمة أصيلة أو دخيلة وهو نفسه يشير بوضوح إلى غايته من هذا الإجراء حين يؤكد فى أكثر من موضع على أن ما يخالف قواعده ليس من كلام العرب « قال الليث : قلت للخليل فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشىء من هذه الحروف ؟ فقال : نحو الكشعثج والخضعثج والكشعطج وأشباههن . فهذه مولدات لا تجوز فى كلام العرب ، لأنه ليس فيهن شىء من حروف الذلق والشفوية فلا تقبلن منها شيئاً ، وإن أشبه لفظهم وتأليفهم ، فإن النحارير منهم ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت[1] » .

وكلمة مولدة فى النص السابق مهمة جداً فى هذا السياق لأنها تعنى أن الخليل يقصد أن مواصفات الكلمة الرباعية (أو الخماسية) على ما ذكر إنما هى خاصة بالكلم العربى فى فترة معينة ، وأن اللغة قد يوجد بها مولدات متجنسات بخصائص وراثية جديدة إن صح التعبير مخالفة للخصائص الأصلية التى أوردها ، وهو أمر يمكن الالتفات إليه ، ودراسة الخصائص الجديدة للعربية للتأكد من حجم التغييرات التى طرأت على طبيعة البنية الصوتية للكلمة العربية كما سجلها الخليل ، وطبيعة هذه البنية فى فترات لاحقة . وهو أمر أتمنى أن أقوم به أو يقوم به سواى من الباحثين ولعل من المناسب الآن أن ينتقل البحث إلى إحصاءات اللسان للتعرف على النتائج الإحصائية لمادة أغزر ، فهل ستظل النتائج كما هى أم أن ثمة فروقاً ، وما مغزاها إن وجدت ؟ .

أما عن إحصاءات اللسان الخاصة بالجذور الرباعية فتستخلص منها النتائج التالية للمجموعات الصوتية الأكثر تردداً وذلك على النحو التالى :

١ - ع : ١ / ٥٣ ، هـ ١ / ٤٥ والأمثلة التى ذكرها ستعالج فى نماذج الخماسى أقصد الكشعثج وأخواتها .

٢ - راجع جدول ٣٠ صـ ٩٣ لنسب الرباعى الخاصة بكمية الرباعى ونسبتها إلى مجموع الجذور .

المسلسل	صفة الحرف	الحرف	مرات التردد[1]	النسبة المئوية[1]	نسبة الحرف إلى الكلمة
١	الذلاقة	ر	١١٠٢	١٠,٨١٢ ٪	
٢		ل	٧٩٣	٧,٧٨١	
٣		ب	٧٥٤	٧,٣٩٨	
٤		م	٦٥١	٦,٣٨٧	
٥		ن	٦٤٩	٦,٣٦٨	
٦		ف	٤١٣	٤,٠٥٢	
	مجموع حروف الذلاقة		٤٣٦٢	٤٢,٧٩٨ ٪	٥ : ١,٧١١
٧	النصاعة	ع	٦٥٨	٦,٤٥٦	
٨		ق	٥٧٧	٥,٦٦١	
٩		د	٥١٥	٥,٠٥٣	
١٠		س	٤٦٩	٤,٦٠٢	
	مجموع حروف النصاعة		٢٢١٩	٢١,٧٧٢ ٪	٥ : ٠,٨٧٠
	مجموع العشرة الكبار		٦٥٨١	٦٤,٥٧٠	٥ : ٢,٥٨٢

من مراجعة إحصاءات اللسان خاصة يتبين ما يلى :

- أن مجموع جذور الرباعى تبلغ كما سبق القول ٢٥٤٨ بنسبة ٢٧,٤٧ ٪ من مجموع الجذور[2] .
- أن عدد حروف الرباعى حوالى ١٠١٩٢ حرفاً وهو ناتج ضرب عدد الجذور فى ٤ وهو عدد حروف الجذر الرباعى .
- أن عدد حروف الذلاقة فقط ٤٣٦٢ من مجموع الحروف ١٠١٩٢ بنسبة ٤٢,٧٩٨ ٪.

---

١ – راجع جدول ٢٣ صـ ٧٩ ، وجدول ٧ صـ ٤٧ .

٢ – راجع جدول ٣٠ صـ ٩٣ لنسب الرباعى الخاصة بكمية الرباعى ونسبتها إلى مجموع الجذور .

– أن عدد حروف النصاعة فقط ٢٢١٩ من مجموع الحروف ١٠١٩٢ بنسبة ٢١,٧٧٢٪.

– أن مجموع حروف العشر الكبار ٦٥٨١ من مجموع الحروف ١٠١٩٢ بنسبة ٦٤,٥٧٠٪.

وأحسب أنه من المفيد أن تقدم الإحصاءات مقارنة بين جذور الرباعى فى الصحاح ونظائرها فى اللسان ومنها نتبين مدى صحة الحكم العام الذى أصدره الخليل .

المسلسل	البيان	الصحاح	اللسان
١	مجموع الجذور الرباعية	٧٦٦	٢٥٤٨
٢	نسبة الجذور الرباعية إلى جملة جذور المعجم	١٣,٥٨٤ ٪	٢٧,٤٧ ٪
٣	مجموع حروف الجذور الرباعية	٣٠٦٤	١٠١٩٢
٤	مجموع حروف الذلاقة	١٣٢٦	٤٣٦٢
٥	مجموع حروف النصاعة (ع ، ق ، د ، س)	٦٩٨	٢٢١٩
٦	مجموع حروف العشرة الكبار	٢٠٢٤	٦٥٨١
٧	نسبة حروف الذلاقة إلى مجموع حروف المعجم	٤٣,٢٧٦ ٪	٤٢,٧٩٨ ٪
٨	نسبة حروف النصاعة إلى مجموع حروف المعجم	٢٢,٧٨٢	٢١,٧٧٢
٩	نسبة حروف العشرة الكبار إلى مجموع حروف المعجم	٦٦,٠٥٧	٦٤,٥٧٠
١٠	نسبة حروف الذلاقة فى الكلمة الرباعية الواحدة	١,٧٣١	١,٧١١
١١	نسبة حروف النصاعة فى الكلمة الرباعية الواحدة	٠,٩١١	٠,٨٧٠
١٢	نسبة حروف العشرة الكبار فى الكلمة الرباعية الواحدة	٢,٦٤٢	٢,٥٨٢

من الجدول السابق يتبين لنا ما يلى :

– أن الجذور الرباعية فى اللسان تزيد عن ثلاثة أضعاف مثيلتها فى الصحاح .

– برغم الفارق الهائل فى الكم فإن النسب تكاد تتطابق بين المعجمين مما يؤكد أن التطابق هو ظاهرة لغوية مطردة وثابتة فى الجذور الرباعى فى اللغة العربية .

- نسبة حروف الذلاقة فى المعجمين واحدة تقريباً وهى ٤٣ ٪ من جملة حروف الرباعى .
- نسب حروف النصاعة تقل فى اللسان عن مثيلتها فى الصحاح ١ ٪ فقط .
- نسبة الحروف العشرة إلى جملة حروف الكلمة الرباعية تقل فى اللسان عن الصحاح نحو ١/٢ ٪ ، ٠٥,٠ ٪ .
- أما كمية الحروف العشرة إلى جملة حروف الكلمة الرباعية فهى تقريباً متطابقة ٢,٦ حرف من بين كل أربعة أحرف .

والسؤال الآن هل جاء الكمبيوتر بحقيقة جديدة تخالف ما نصَّ عليه الخليل فيما يتصل بالبنية الصوتية للكلمة الرباعية فى اللغة ؟ .

الجواب أنه فيما يتصل بالحروف السابقة أو العشرة الكبار لا خلاف بين ما نصّ عليه الخليل وما انتهت إليه إحصاءات الكمبيوتر ، لكن ماذا عن بقية أحرف العربية ، هل جاء فى كلام الخليل من الأحكام المطردة ما يسمح بالتحقق من ملاحظاته المنهجية عن طبيعة البنية الصوتية للكلمة ؟ .

هناك لمحتان خلا ما سبقت الإشارة إليه يجمل ألا يفوت البحث تسجيلهما بوصفهما حكمين آخرين مطردين . أما الحكم الأول فهو متصل بالهاء ، وهى الحرف الذى خصه الخليل بالذكر بعد حديثه عن العشرة الكبار فقال « وأمام ما كان من رباعى منبسط معرى من الحروف الذّلق حكاية مؤلفة نحو دهداق وزهزاق وأشباهه فإن الهاء والدال المتشابهتين مع لزوم العين والقاف مستحسن ، وإنما استحسنوا الهاء فى هذا الضرب للينها وهشاشتها وإنما هى نفس لا اعتياص فيها » .

وإذا كانت الحكاية المؤلفة غير معراة من الحروف الذلق فلن يضر كانت فيها الهاء أولا نحو الغطمطمة وأشباهها ، ولا تكون الحكاية مؤلفة حتى يكون حرف

صدرها موافقاً لحرف صدر ما ضم إليها فى عجزها ، فكأنهم ضموا (ده) إلى (دق) فألفوهما ، ولولا ما جاء فيهما من تشابه الحرفين ما حسنت الحكاية فيهما لأن الحكايات الرباعيات لا تخلو من أن تكون مؤلفة أو مضاعفة ، فأما المؤلفة فعلى ما وصفت لك وهو نزر قليل ، ولو كان الهخع من الحكاية لجاز فى بناء تأليف العرب ، وإن كانت الخاء بعد العين ، لأن الحكاية تحتمل من بناء التأليف مالا يحتمل غيرها بما يريدون من بيان المحكى ، ولكن لما كان الهخع فيما ذكر بعضهم اسماً خاصاً ، ولم يكن بالمعروف عند أكثرهم ، وعند أهل البصر والعلم منهم ردّ ولم يقبل [1] » .

من النصّ السابق نفهم الأمور التالية :

- أنّ الهاء صوت يحسن فى الكلمات التى جاءت فى شكل (حكاية مؤلفة) ومثّل لذلك بكلمتى : دهداق وزهزاق . وفسر الحكاية المؤلفة بقوله أن « يكون حرف صدرها موافقاً لحرف صدر ما ضم إليها فى عجزها ، فكأنهم ضموا (ده) إلى (دق) فألفوهما ، ولولا ما جاء فيهما من تشابه الحرفين ما حسنت الحكاية فيهما » .

وهذا يعنى أن الهاء إذا ألفت على هذا النحو مع أصوات متشابهة كالدال وركبت مع أحرف نصاعة كالقاف أو العين شاع ذلك واستحسنوه . وقد عدت إلى جداول الثنائيات وهى التى تشير إلى أكثر الأصوات تركباً مع غيره فى شكل ثنائى فوجدت أن أعلى الثنائيات هى المركبة من الحروف العشرة الكبار فيجى الثنائى (بر) [2] أعلى ثنائى فى الجذور الرباعية ويأتى ١٢٧ مرة فى كل المواقع ، كما يأتى الثنائى (قر) ٦٥ مرة فى أول الجذر الرباعى ، والثنائى (نب) ٧٨ مرة فى منتصف الجذر ، والثنائى (بل) ٤٨ مرة فى آخر الجذر ، وتمثل كل من هذه

---

١ – انظر ع : ١ / ٥٤ – ٥٥ .

٢ – انظر إحصاءات اللسان جدول ١٤ صـ ٦١ .

الثنائيات أقوى ثنائياً فى موضعه [١] .

أما الهاء فهى تأتى فى ثنائى (هر) ٥٥ مرة والثنائى (هم) ٤٦ مرة والثنائى (هل) ٣٨ مرة والثنائي (هذ) ٣٧ مرة وهى نسب عالية ويلاحظ أنها كلها مع حروف من العشرة الكبار ، فأين موقع الهاء التى تحسن فى الحكاية المؤلفة من هذه الثنائيات ؟ إن الهاء تظهر كحرف تالٍ مباشرة للحروف العشرة الكبار ، ويظهر ذلك من خلال الجدول التالى [٢] :

مسلسل	الحرف	حرف أول	حرف ثان	ثنائيات التتابع التى يرد فيها	النسبة المئوية لعدد ثنائيات تتابعه
١	ر	١٦٧٤	٢٠٣٣	٣٧٠٧	٨,٦٣٤ ٪
٢	ن	١٣٣٥	١٤٤٨	٢٧٨٣	٦,٤٨٢
٣	ل	١١٤٥	١٦٠٨	٢٧٥٣	٦,٤١٢
٤	ب	١٢٥٨	١٣٥١	٢٦٠٨	٦,٠٧٤
٥	م	١٠٥٣	١٤٢٧	٢٤٨٠	٥,٧٧٦
٦	ع	١١٧٢	٩٧٤	٢١٤٦	٤,٩٩٨
٧	د	٩٧٣	٩٣٣	١٩٠٦	٤,٤٣٩
٨	ق	٩٦٧	٨٨٦	١٨٥٣	٤,٣١٦
٩	ف	٨٩٠	٩٢٣	١٨١٣	٤,٢٢٣
١٠	س	٧٨٥	٨١٤	١٥٩٩	٣,٧٢٤
١١	هـ	٨٨٠	٦٥٨	١٥٣٨	٣,٥٨٢

من الجدول السابق يتبين أن الهاء هى الحرف الحادى عشر الذى يرتفع بعد العشرة الكبار فى الخاصية التى أشار إليها الخليل وهى التأليف مع حروف أخرى فى شكل ثنائيات يمكن أن تتألف منها الحكاية المؤلفة فى مثل دهداق وزهزاق وغيرها ومن الجدير بالملاحظة أن الثنائيات السابقة خاصة بكل ثنائيات المعجم وليس الرباعى وحده ، والحكاية المؤلفة والأخرى المضاعفة قد تكون أكثر من أربعة

١ – انظر جدول ١٤ صـ ٦١ من إحصاءات اللسان وانظر السابق صـ ٢٢ .

٢ – انظر جدول ٢٩ صـ ٩١ من المصدر السابق .

كالغطمطمة التى أشار إليها الخليل .

اما الحكم الثانى الذى يستفاد كذلك عن لمحات الخليل عن الرباعى غير ما يتعلق بالهاء فهو ظاهرة التنافر فى تتابعات صوتية معينة ، وقد أشار فى النصّ السابق إلى أن الحكاية المؤلفة قد تجيز ما لا يقبل فى الظروف العادية « لأن الحكاية تحتمل من بناء التأليف ما لا يحتمل غيرها » ومن هذه المتنافرات، التى لا تتردد فى الكلمة العربية .

أ — الخاء بعد العين .

ب — العين بعد الهاء .

جـ — العين بعد الخاء [1] .

وكل ذلك يتمثل فى نموذج (هعخع) . غير أن إشارة الخليل أوسع من مثال هعخع بحيث تمثل شكلاً من أشكال التقنين اللغوى لتنافر الحروف فى الكلمة العربية . لأنه يربطها بآلية النطق الخاصة بالعربى تلك الآلية التى لا تسمح بتتابعات صوتية معينة « ألا ترى أن الضاد والكاف إذا ألفتا فبدئ بالضاد فقيل « ضكّ » كان تأليفاً لم يحسن فى أبنية الأسماء والأفعال إلا مفصولا بين حرفية بحرف لازم أو أكثر من ذلك الضنك والضحك وأشباه ذلك وهو جائز فى المضاعف نحو الضكضاكة من النساء ، فالمضاعف جائز فيه كل غث وسمين من الفصول والأعجاز والصدور [2] » .

وكما رأينا ابن جنى وسواه يتلقفون بعض لمحات الخليل ، فإن البلاغيين قد

---

١ — بمراجعة إحصاءات اللسان وجدت أن الخاء بعدها عين غير موجود فى المعجم جدول ١١ / صـ ٥٥ وأن العين بعدها خاء غير موجود كذلك السابق نفس الصفة ، وأن الهاء بعدها عين غير موجود أيضاً السابق نفس الصفحة .

٢ — ع : ١ / ٥٦ .

لحــوا ملاحظة الخـليل وقامــوا بتوظفـها فى حديثهم عن شروط الـفصاحة فــى الكلمة (١) ، غير أن ثمة فرقاً بـين كلام الخليل اللغوى العام ، وبين توظـيف البلاغيين للظاهـرة ، فكلام البلاغيين يـرجع عدم فصاحة الكلـمة فى بعض جوانبـها إلى سوء ترتـيب حروف الـكلمـة ، على حـين أن كلام الخـليل لا صلـة بالحسـن والقبـح فى التأليف ولا بالفصـاحة أو عدم الفصاحة فى الترتيب ، بل هو حـديث عن التركيب الذى لا يستسيغه الـعربى بوجه عام فى بناء كلماته ، بحيث لـو جاءت كلمة طبقاً لهذا النسق حكمنا على الكلمة بأنها ليست من كلمهم ، إنه حكم يتصل بميكانيزم العملية النطقيـة عند العرب ، وآلية النطق التى تجعله يكثر مما يـستسهله نطقاً ، ويقل مما يعسر علـيه نطقاً ، الأمر الذى مكن لغـوياً كالخليل أن ميز بين ما هـو من كلمهم وما ليـس منه . فالـعربى حين يـجد صوتين يـعسر علـى جهازه الـنطقى أن يجـمع بينهـما يلجأ لآلية جديـدة هى إيجاد فاصل بحرف أو حـرفين للتخلص من الـتنافر الذى يستثقله جهـازه النطقى أو الـسمعى ، وعلـى ذلك نجده يتعامـل مع « ضك » فبدلاً من الضادو الكاف اللذين يكادان يـتصافعان يقول ضنك أو ضحك ، هذا هو المخرج ، لكن الـعرب فى الحكاية المـضاعفة يجد أنـها قامت بفض الخـصام وحدها دون حاجة إلى فاصل وذلك فى مثل قولنا : ضكـضك حبطقطق وقضقض وغيرها مما أجازه العـربى وفقاً لآلية المـضاعفة التى أشـار إليها الخليـل وعرضنا لها فـى ثنايا البـحث من قـبل . وأحسـب أن تكرار المـقطع المـركب من صـوتين متـنافريـن هذا التكرار يحـدث تجنيساً صوتياً فـى الكلمة يدغدع التـنافر المشار إليه فى كـل مقطع الأمر الذى يحيل الخشونة فى النطق ويذهـب السماحة التى كانت تحسها الأذن قبل المضاعفة ، وهذا هو ما جـعل هذا النوع يقبل مالا يقبله غيـره من المتنافرات أو كما عبر عن ذلك الخليل « فالمضاعف جائـز فيه كل غث وسمين من الفصول والأعجاز والصدور » .

---

١ - انظر دلائل الاعجاز صـ ٣٦ وانظر علوم البلاغة صـ ١٧ .

٥ - ١ : الخماسي :

جاء كلام الخليل عن الخماسي مختلطاً بحديثه عن الرباعي في أكثر من موضع بحيث يمكن القول : إن أكثر الأحكام التي عرض لها فيما يخص الرباعي تنسحب على الخماسي وتنطبق عليه ، ويظهر الخماسي في مواضع أخرى من كلام الخليل مستقلا بالحديث مما يعني أنه قد ينفرد وحده ببعض الأحكام .

فبعد أن ذكر أن الكلم في العربية مبني على أربعة أصناف ، قال فيما يخص الخماسي من حيث أنواعه « والخماسي من الأفعال نحو اسحنكك [1] واقشعر ، واسحنفر واسبكرّ مبنى على خمسة أحرف ، ومن الأسماء نحو سفرجل وهمرجل وشمردل وكنهبل وقرعبل وعقنقل وقبعثر وشبهه » .

ومن النصّ السابق نفهم :

أن الكلمة الخماسية تأتي فعلاً ، وتأتي أسماً ، وهو قول ينفرد به الخليل تقريباً إذ إن الصرفيين يرون أن الخماسي لا يكون فعلاً البتة ، وسنعود إلى هذا الخلاف بشيء من التفصيل في الفصل الخامس من هذا البحث . وقد مثل للفعل بأربعة أمثلة على حين مثل للاسم بسبعة وهو رقم يعني في كلام العرب الكثرة المطلقة ، فكأن الخماسي عنده أكثره من الاسماء وليس جمعيه كما ذهب الصرفيون .

٥ - ٢ : ثم أضاف الخليل مفسراً طبيعة الأمثلة التي أوردها للخماسي فقال : « والألف التي في اسحنكك واقشعّرا واسحنفر واسبكر ليست من أصل البناء ، وإنما أدخلت هذه الألفات في هذه الأفعال وأمثالها لتكون الألف عماداً وسلماً للسان إلى حرف البناء لأن اللسان لا ينطق بالساكن من الحروف فيحتاج إلى ألف وصل .... اعلم أن الراء في اقشعر واسبكرّ هما راءان أدغمت واحدة في الأخرى ،

---

١ = انظر العين ١ / ٤٨ والتهذيب ١ / ٤٢ ، وقد وضع Haywood كلمة اسمنكل ismankala بدلا من - اسحنكك ishankaka ، ونماذج هذه الأخطاء عنده كثيرة انظر . Arabic lexicography p. 29

والتشديد علامة الإدغام [1] » .

والخليل في النص السابق يقفنا على الأمور التالية :

- أن الكلمة الخماسية قد تأتى مبدوءة بهمزة وصل (أو ألف وصل كما قال) مزيدة وأن العربي إنما أتى بهذه الهمزة ليتخلص من خاصية نطقية لا يستسيغها ولم يتكيف عليها جهازه النطقى وهى النطق بالساكن فى أول الكلمة ، فكان مجيئه بالهمزة فى أول الكلمة هو تخلصاً من هذه العادة التى لا يألفها الأمر الذى به يتمكن من نطق الكلمة كما اعتاد أن ينطق . وهو كلام صريح على أنه يدرك أن هذه الألف (أو الهمزة) فى أول الكلمة ليست من أصل البناء وإنما هى صوت مجلوب لتسهيل النطق ، ويسقط فى الوصل حيث لاضرورة .
- أن الكلمة الخماسية قد تأتى مشددة اللام مثل اقشعرّ واسبكرّ ، واسبطرّ وغيرها وليست اللام فى هذه الأمثلة ، إلا حرفان أدغم أحدهما فى الآخر . ويفهم من كلام الخليل ضمنا أن الراءين فى هذه الأمثلة أصلان وليست إحداهما أصلية والأخرى مزيدة كما يذهب الصرفيون . وسنعالج ذلك فى موضع آخر من البحث .

٥ — ٣ : والكلمة عند الخليل لا يمكن أن تأتى فى العربية مبنية فى الأصل على أكثر من خمسة أحرف « فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف فى فعل أو اسم فاعلم أنها زائدة على الفاء وليست من أصل الكلمة ، مثل قرعبلانة إنما أصل بنائها : قَرَعْبَل ، ومثل عنكبوت إنما أصل بنائها عنكب [2] » .

وكلام الخليل فى النصّ السابق يطرح فكرتين أساستين :

الأولى : أنه ليست هناك كلمات عربية بناؤها الأصلى على أكثر من خمسة

١ — السابق : نفس الصفحة والتى تليها .
٢ — السابق : ١ / ٤٩ .

أحرف وهى فرضية علمية تدعمها إحصاءات الصحاح واللسان ، فطبقاً لإحصاءات اللسان ليس هناك أكثر من ١٦ كلمة تزيد عن خمسة أحرف ، أغلب الظن أنها من أصل غير عربى كما تقول الدراسة الإحصائية [١] » .

الثانية : أن الخليل ألمح إلى فكرة الأصل والفرع ، فقرعبل هى أصل وقرعبلانة فرع ، وعنكب أصل وعنكبوت فرع ، وهى فرضية منهجية سيكون لها فى التفكير اللغوى عند العرب أبعاد ذات شأن فى فهم النظام اللغوى والتقعيد له .

٥ - ٤ - ١ : ثم أورد الخليل بعد ذلك بعض الخواصّ التى يشترك فيها الخماسى مع الرباعى ، من ذلك ارتفاع نسبة تردد الأصوات الذولقية « فلما ذلقت الحروف الستة ، ومذل بهن اللسان وسهلت عليه فى المنطق كثرت فى أبنية الكلام ، فليس شىء من بناء الخماسى التام يعرى منها أو بعضها [٢] » ..... ثم أضاف

---

١ - إحصاءات اللسان صـ ٩ .

٢ - ع : ١ / ٥٢ . وانظر « كتاب العين وموقعه فى آثار الدراسين » وهو بحث مخطوط القاه أستاذنا الدكتور كمال بشر على طلاب الفرقة الثانية ١٩٧١ - ١٩٧٢ م . وقد حظى مصطلح « الذلاقة » بعرض مستفيض فى هذا البحث . وقد عرض لمصطلحات الأصوات الذلق الذلاقة والذلقية عند الخليل وعند خالفية ومنه يتضح أن الخليل كان يستخدم هذه المصطلحات تارة بمعنى خاص فيراد بها ثلاثة الأصوات التى تخرج من ذلق اللسان أو طرفه وهى الراء والنون واللام ، وتارة بمعنى عام فيراد بها مجموعة الأصوات الستة « مر بنفل » التى تتسم بالخفة والسهولة فى النطق وهى تتوزع عنده على مدرجتين أو مخرجين ثلاثة ذلقية (الراء والنون واللام) وثلاثة شفوية هى (الفاء والباء والميم) . والحقيقة أن الصفة النطقية لهذه الأصوات كانت الخاصية التى التفت إليها الخليل وركز عليها لما لها من أثر واضح فى شيوع تلك السلسلة الصوتية فى بنية الكلمة معجمياً ، فهذه المصطلحات إذن على المستوى الصوتى المعجمى مقصود بها صفة نطقية عند الخليل تتميز بها هذه المجموعة فى بنية الكلمة ، وأعنى بذلك شيوعها وبروزها الواضح فى الكلمات الرباعية والخماسية ، أما الخاصية المخرجية فهى دلالة عارضة وجزئية فى السياق الذى وردت فيه هذه المصطلحات .

قائلاً : فإذا ورد عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من الحروف الذلق أو الشفوية ولا يكون فى تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب ؛ لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر » .

قال الليث : قلت فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشىء من هذه الحروف ؟ فقال : نحو الكشعثج والخضعثج والكشعطج وأشباههن ، فهذه مولدات لا تجوز فى كلام العرب ، لأنه ليس فيهن شىء من حروف الذلق والشفوية فلا تقبلن منها شيئاً ، وإن أشبه لفظهم وتأليفهم فإن النحارير منهم ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت [1] » .

والنص السابق هو تقرير علمى آخر يخص نتائج البحث الاستقرائى الذى قام به الخليل فيما يخص الكلمة الخماسية ، ولا يخفى أن كم الكلمة الخماسية فى اللغة المحدود نسبياً قد ساعد الخليل على الوصول إلى توصيف دقيق لخصائص البنية الصوتية لكلمات هذا البناء ، ويجمل فى ضوء هذا التقرير أن نرجع إلى إحصاءات الصحاح واللسان لنتثبت من مدى صحة النتائج التى انتهى إليها الخليل .

٥ — ٤ — ٢ : وأول هذه الخواصّ أن الكلمة الخماسية — كالرباعية — لا تخلو من حرف أو أكثر من حروف الذلاقة ، وهى ملاحظة أكدت صحتها الإحصاءات بالنسبة للرباعى وأحسب أن إيراد نتائج إحصاءات الصحاح واللسان بالنسبة للكلمة الخماسية ، ومقارنة الإحصاءيتين كما فعلنا مع الرباعى هو الإجراء المناسب للتأكد من سلامة ما انتهى إليه الخليل .

١– ع : ١ / ٥٣ .

وتلك نتائج إحصاءات الصحاح الخاصة بالعشرة الكبار فى الجذور الخماسية :

المسلسل	صفة الحرف	الحرف	مرات التردد(١)	النسبة المئوية(١)	نسبة الحرف إلى الكلمة
١	الذولقية	ر	٢٤	١٢,٦٣٢	
٢		ل	١٨	٩,٤٧٤	
٣		ب	١٦	٨,٤٢١	
٤		م	١٠	٥,٢٦٣	
٥		ن	٩	٤,٧٣٧	
٦		ف	٨	٤,٢١٠	
	مجموع الذولقية		٨٥	٣٩,٩٩٧	٥ : ١,٩٩٩
٧	النصاعة	ق	١٨	٩,٤٧٤	
٨		د	١٦	٨,٤٢١	
٩		ع	١٢	٦,٣١٦	
١٠		س	٩	٤,٧٣٧	
	مجموع حروف النصاعة		٥٥	٢٨,٩٤٨	٥ : ١,٤٤٧
	مجموع العشرة الكبار		١٤٠	٦٨,٩٤٥	٥ : ٣,٤٤٦

من الجدول السابق نسجل ما يلى :

- أن مجموع الجذور الخماسية فى معجم الصحاح هى ٣٨ جذراً ونسبتها إلى جملة جذور الصحاح نحو ٠,٦٧٤ ٪ [٢] ، وعدد حروف الجذور الخماسية هى ١٩٠ حرفاً تمثل حوالى ١ ٪ من مجموع حروف الجذور [٣] .

- أن مجموع الحروف الذولقية فى الخماسى هى ٨٥ حرفاً من جملة حروف الخماسى ١٩٠ حرفاً بنسبة هى ٣٩,٩٩٧ ٪ أو هناك ١,٩٩٩ من حروف الذلاقة من بين خمسة الأحرف التى يتكون منها الجذر الخماسى .

---

١ – انظر إحصاءات الصحاح جدول ٢٢ صـ ٩٣ .

٢ – انظر السابق صـ ٣١ .

٣ – انظر السابق نفس الصفحة .

- أن مجموع حروف النصاعة الأربعة فى الخماسى هى ٥٥ حرفاً من جملة الحروف ١٩٠ بنسبة مئوية هى ٢٨,٩٤٨ ٪ أو هناك ١,٤٤٧ من الحروف الأربعة من بين كل خمسة أحرف يتكون منها الخماسى .
- مجموع الحروف العشر الكبار فى الخماسى هى ١٤٠ حرفاً من بين مجموع الحروف الخماسى ١٩٠ بنسبة مئوية هى ٦٨,٩٤٥٪أى أن هناك ٣,٤٤٦ من الحروف العشرة من بين كل خمسة أحرف فى الجذر الخماسى أو ثلاثة أحرف ونصف تقريباً من حروف العشرة الكبار والحرف ونصف الحرف المتبقية هى متوزعة على ١٨ حرفاً (ثمانية عشر حرفاً) المتبقية من صوامت العربية . وهذه الأرقام تطابق نصّ الخليل « فلست واجداً فى جميع كلام العرب خماسياً بناؤه بالحروف المصمته خاصة [1] » وقوله فى موضع آخر « ولا يضر ما خالف من سائر الحروف الصتم [2] » ، والحروف الصتم عنده هى ما عدا حروف الذلاقة من الحروف الخمسة والعشرين الصحاح فى اللغة العربية .

فماذا عن الخماسى فى إحصاءات اللسان ؟ وهل خرجت عن هذه المؤشرات التى حملتها إلينا إحصاءات الصحاح ؟ فى الجدول التالى الجواب عن هذا السؤال .

---

١ - انظر التهذيب صـ ١ / ٥١ .
٢ - انظر العين : صـ ١ / ٥٤ .

نتائج إحصاءات اللسان الخاصة بالعشرة الكبار فى الجذور الخماسية :

المسلسل	صفة الحرف	الحرف	مرات التردد	النسبة المئوية	نسبة الحرف إلى الكلمة
١	الذولقية	ن	١٠٣	٪ ١١,٠	
٢		ر	١٠١	١٠,٨	
٣		ل	٨٤	٩,٠	
٤		ب	٦٦	٧,١	
٥		م	٣٩	٤,٢	
٦		ف	٣٢	٣,٤	
	مجموع الذولقية		٤٢٥	٪ ٤٥,٤٥٤	٥ : ٢,٢٧٢
٧	النصاعة	ق	٦٩	٪ ٧,٤	
٨		س	٥٥	٪ ٥,٩	
٩		د	٥٠	٥,٣	
١٠		ع	٤٩	٥,٢	
	مجموع النصاعة		٢٢٣	٢٣,٨٥٠	٥ : ١,١٩٢
	مجموع العشرة الكبار		٦٤٨	٦٩,٣٠٤	٥ : ٣,٤٦٥

من الجدول السابق يتبين أن إحصاءات اللسان تكاد تطابق إحصاءات الصحاح وذلك كما يظهر من القراءة التالية للجدول .

- فمجموع الجذور الخماسية فى إحصاءات اللسان هى ١٨٧ جذراً ونسبتها إلى جملة جذور اللسان هى ٢,٠٢ ٪ ، أما مجموع حروف الخماسى فهى فى اللسان ٩٣٥ حرفاً .(٣)

- أن الحروف الذولقية تتردد ٤٢٥ مرة من جملة حروف الخماسى ٩٣٥ بنسبة ٤٥,٤٥٤ ٪ أى أن هناك حوالى ٢,٢٧٢ من حروف الذلاقة فى كل خمسة

---

١ – انظر التهذيب ص ١ / ٥١ .

٢ – انظر العين ص ١ / ٥٤ .

٣ – انظر إحصاءات اللسان ص ٢٣ ، وجدول ٣٠ ص ٩٣ .

أحرف يتكون منها الجذر الخماسي .

– أن حروف النصاعة تتردد ٢٢٣ مرة من بين جملة حروف الخماسي ٩٣٥ بنسبة هي ٢٣,٨٥٠ ٪ أى ١,١٩٢ من حروف النصاعة فى كل جذر خماسي .

– وهذا يعنى أن الحروف العشرة تتردد ٦٤٨ مرة من بين مجموع حروف الخماسي ٩٣٥ بنسبة مئوية هى ٦٩,٣٠٤ ٪ أو هناك ٣,٤٦٥ من الحروف العشرة والباقى وهو حوالى حرف ونصف تمثلها الثمانية عشر حرفاً المتبقية من صوامت العربية فى الجذر الخماسي ولعل هذا الكلام أن يكون ذا قيمة أكبر فيما لو وضعت إحصاءات الصحاح واللسان معاً فى مقارنة تكشف عن مؤشرات هذه الحروف العشرة فى الخماسي عموماً .

المسلسل	الخاصية موضوع المقارنة	الصحاح	اللسان
١	مجموع جذور الخماسي	٣٨	١٨٧
٢	نسبة جذور الخماسي إلى جملة الجذور	٪,٦٧٤	٪٢,٠٢
٣	مجموع حروف الخماسي	١٩٠	٩٣٥
٤	مجموع الذولقية فقط	٨٥	٤٢٥
٥	مجموع النصاعة فقط	٥٥	٢٢٣
٦	نسبة الذولقية إلى جملة الحروف	٪ ٣٩,٩٩٧	٪ ٤٥,٤٥٤
٧	نسبة النصاعة إلى جملة الحروف	٢٨,٩٤٨	٪ ٢٣,٨٥٠
٨	مجموع العشرة الكبار	١٤٠	٦٤٨
٩	نسبة العشرة الكبار	٦٨,٩٤٥	٪ ٦٩,٣٠٤
١٠	نسبة الحروف الذولقية إلى حروف الجذور	٥ : ١,٩٩٩	٥ : ٢,٢٧٢
١١	نسبة حروف النصاعة إلى حروف الكلمة	٥ : ١,٤٤٧	٥ : ١,١٩٢
١٢	نسبة العشرة الكبار إلى حروف الكلمة	٥ : ٣,٤٤٧	٥ : ٣,٤٦٥

تكشف المقارنة بين نتائج إحصاءات الصحاح ونظائرها فى إحصاءات اللسان عن الحقائق التالية فيما يخص الجذور الخماسية :

- أنه بالرغم من الفارق الهائل بين عدد الجذور الخماسية فى المعجمين حيث تصل فى الصحاح إلى ٣٨ جذراً على حين أنها تبلغ ١٨٧ فى اللسان أى أكثر من أربعة أضعاف ما هو موجود فى الصحاح فإن خصائص البنية الصوتية لجذور الخماسى فى المعجمين تكاد تتطابق .

- فالحروف الذولقية تمثل فى المتوسط حوالى ٤٠ ٪ من نسيج الكلمة الخماسية أو بمتوسط حرفين من كل خمسة أخرى .

- أن مجموع العشرة الكبار يمثل فى المتوسط حوالى ٦٩ ٪ من نسيج الكلمة الخماسية أو بمتوسط ثلاثة أحرف ونصف من كل خمسة أحرف .

وهى نتيجة تؤكد أن خاصية كل من حروف الذلاقة وحروف النصاعة هى الارتفاع الواضح فى تشكيل بنية الخماسى صوتياً وهو كلام يؤكد صحة ملاحظات الخليل فى هذا الصدد . ولابد أن يكون الرجل قد سلك نفس السلوك وطبق ذات الإجراء الإحصائى للوصول إلى نفس النتيجة ، إذ يستحيل أن يكون الاتفاق فى النتائج على هذا النحو من قبيل الصدفة أو هو خبط عشوائى بدون قصد . بل لابد أن يكون عمل الخليل الرائد جهداً علمياً منضبطا فى إطار مشروع تنظيرى محكم أمكن التحقق من سلامته .

٥ - ٤ - ٣ - من المفيد أن نعود لنصّ الخليل الذى جمع فيه الرباعى والخماسى معاً فى حكم واحد هو اتفاقهما فى ظاهرة شيوع الحروف الذولقية وشيوع حروف النصاعة ، أو شيوع العشرة الكبار عموماً ، ومن الجداول السابقة كل على حدة ثبت أن الحروف العشرة تتميز ببروز ظاهرة فى نسيج المكلمة الرباعية والخماسية وهو ما يطابق قول الخليل « فإذا وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون فى تلك الكلمة من هذه الحروف حرف أو اثنان

أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ، ليست من كلام العرب ، لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذَّلْق والشفوية واحداً أو اثنان أو أكثر » (١)

هذا الكلام قد تم التأكد منه فى الرباعى على حده ، وفى الخماسى منفرداً كذلك لكن الجمع فى الحكم ، أو الإشراك يقتضى منهجياً أن توضع نتائج الرباعى والخماسى فى إحصاءات الصحاح بإزاء نظائرها فى إحصاءات اللسان ، الأمر الذى يبرز علّيه ضم الخليل النوعين فى الحكم ، لأنه قطعاً قد فعل نفس الشىء حين طرد الحكم من الرباعى إلى الخماسى ، وتلك مقارنة شاملة بين النتيجتين الخاصتين بالرباعى والخماسى معاً فى إحصاءات الصحاح واللسان .

المسلسل	الخاصية موضوع المقارنة	الصحاح		اللسان	
		الرباعى	الخماسى	الرباعى	الخماسى
١	مجموع الجذور	٧٦٦	٣٨	٢٠٤٨	١٨٧
٢	نسبة الجذور إلى جملة جذور المعجم	٪ ١٣,٠٨٤	٪ ٠,٦٧٤	٢٧,٤٧	٪ ٢,٠٢ ٪
٣	مُجموع حروف الجذور	٣٠٦٤	١٩٠	١٠١٩٢	٩٣٥
٤	مجموع الحروف الذولقية	١٣٩٦	٨٥	٤٣٦٢	٤٢٥
٥	مجموع حروف النصاعة	٦٩٨	٥٥	٢٢١٩	٢٢٣
٦	مجموع العشرة الكبار	٢٠٢٤	١٤٠	٦٥٨١	٦٤٨
٧	نسبة حروف الذلاقة إلى جملة حروف الجذور	٪ ٤٣,٢٧٦	٪ ٣٩,٩٩٧	٪ ٤٢,٧٩٨	٪٤٥,٤٥٤
٨	نسبة حروف النصاعة إلى جملة حروف الجذور	٪ ٢٢,٧٨٢	٪ ٢٨,٩٤٨	٪ ٢١,٧٧٢	٪ ٢٣,٨٥
٩	نسبة العشرة الكبار إلى جملة حروف الجذور	٪ ٦٦,٠٥٧	٪ ٦٨,٩٤٥	٪ ٦٤,٥٧٠	٪ ٦٩,٣٠٤
١٠	نسبة عدد حروف الذلاقة إل جملة حروف الجذر الواحد	٥:١,٧٣١	٥:١,٩٩٩	٥:١,٧١١	٥ : ٢,٢٧٢
١١	نسبة عدد احروف النصاعة إلى جملةحروف الجذر الواحد	٥:٠,٩١١	٥:١,٤٤٧	٥:٠,٧٨	٥ : ١,١٩٢
١٢	نسبةعدد العشرة الكبار إلى جملة حروف الجذر الواحد	٥:٢,٦٤٢	٥:٣,٤٤٧	٥:٢,٥٨٢	٥ : ٣,٤٦٥

---

١ - ع ١ / ٥٢ .

من الجدول السابق يتبين لنامجموعة من المؤشرات البارزة ذات الدلالة العلمية من هذه المؤشرات :

- أن مجموع الرباعى فى الإحصائيتين أكبر من مجموع الخماسى .
- نسبة حـــروف الذلاقة فى الرباعى فى المعجمين تدور حول مستوى ٤٣ ٪ تقريباً . على حين أنها تصل إلى ٤٠ ٪ فى خماسى الصحاح وأكثر من٤٥ ٪ فى خماسى اللسان . وهو ما يعنى بوجه عام أن نسبة حروف الذلاقة فى الرباعى أقل منها فى الخماسى .
- تقل نسبة حروف النصاعة فى الرباعى فى المعجمين عنها فى الخماسى بوجه عام .
- نسبة العشرة الكبار فى الرباعى تقل عنها فى الخماسى فى المعجمين كذلك .

وإذا حاولنا أن نفسر هذه الظاهرة تفسيراً علمياً فإن السرّ – من وجهة نظر هذا البحث – يكمن فى ميكانيزم العملية النطقية لكل من الرباعى والخماسى ، فمن المعروف أنه كلما كثر عدد حروف الكلمة اقتضى ذلك جهداً عضلياً فيما يتصل بفسيولوجياجهاز النطق الأمرالذى يحتاج معه الناطق إلى اللجوء إلى تضمين مثل هذه الكلمة حروفاً أكثر من تلك الحروف التى يستسهلها فى النطق ، ولما كانت المؤشرات تؤكد أن الحروف العشرة الكبار هى التى تتمتع بخاصية السلاسة فى النطق والاستساغة فى الأداء ، فإن العربى قد لجأ إلى تضمين الكلمة الرباعية قدراً يخفف من صعوبة النطق بها يوازى هذا الكم من الحروف نظراً لأن نطق الخماسى يقتضى جهداً يزيد ٢٠ ٪ عن نطق الرباعى ، الأمر الذى رفع نسبة العشرة الكبار فى الخماسى عنها فى الرباعى . ولعل مما يدعم هذا التفسير أن نقوم بمقارنة نسبة العشرة الكبار فى الثلاثى بنظائرها فى الرباعى والخماسى ، ومن المفترض فى ضوء هذا التفسير أن تقل هذه النسبة فى الثلاثى عنها فى الرباعى عنها فى الخماسى وقد قمت

بمقارنة العشرة الكبار في هذه الأنواع الثلاثة من خلال إحصاءات اللسان . وهذا جدول يبرز هذه النسب .

المسلسل	الحرف	الثلاثي (١)		الرباعي (٢)		الخماسي (٣)	
		عدد التردد	نسبة التردد	عدد التردد	نسبة التردد	عدد التردد	نسبة التردد
١	ر	١٢٠٥	٦,١٤٤ ٪	١١٠٢	١٠,٨ ٪	١٠١	١٠,٨
٢	ن	١١٣٥	٥,٧٨٧	٦٤٩	٦,٣٦٨	١٠٣	١١
٣	م	١٠٨٢	٥,٥١٦	٦٥١	٦,٣٨٧	٣٩	٤,٢
٤	ل	١٠٣٠	٥,٢٥١	٧٩٣	٧,٧٨١	٨٤	٩
٥	ب	١٠٠٥	٥,١٢٤	٧٥٤	٧,٣٩٨	٦٦	٧,١
٦	ع	٨٦٨	٤,٤٢٥	٦٥٨	٦,٤٥٦	٤٩	٥,٢
٧	ف	٨٤٠	٤,٢٨٣	٤١٣	٤,٠٥٢	٣٢	٣,٤
٨	د	٨٢٠	٤,١٨١	٥١٥	٥,٠٥٣	٥٠	٥,٣
٩	ق	٧٨٦	٤,٠٠٧	٥٧٧	٥,٦٦١	٦٩	٧,٤
١٠	س	٧٢٩	٣,٧١٧	٤٦٩	٤,٦٠٢	٥٥	٥,٩
	المجموع	٩٥٠٠	٤٨,٤٣٥ ٪	٦٥٨١	٦٤,٥٧ ٪	٦٤٨	٦٩,٣٠٤

من الجدول السابق يتبين لنا الحقائق التالية :

– أن نسبة حروف الذلاقة في الثلاثي ٣٢,١٠٥ ٪ من جملة حروف الثلاثي البالغة ١٩,٦١٤ على حين أن نسبة حروف الذلاقة في الرباعي ٤٢,٧٩٨ ٪ من جملة حروف الرباعي البالغة ١٠١٨٤ حرفاً ، أما حروف الذلاقة في الخماسي فتصل

١ – انظر إحصاءات اللسان جدول ١ ص ٣٥ .

٢ – انظر إحصاءات اللسان جدول ٧ ص ٤٧ .

٣ – انظر إحصاءات اللسان جدول ١٥ ص ٦٣ وانظر جدول ٢٣ بمرات الورود في كل نوع ص ٧٩ .

نسبتها إلى ٤٥,٤٥٤ ٪ من جملة حروف الخماسى البالغة ٩٣٥ حرفاً [1] .

– المؤشرات السابقة تعنى أن :

الذولقية فى الثلاثى تقل عنها فى الرباعى بنحو ١٠ ٪ .

الذولقية فى الثلاثى تقل عنها فى الخماسى بنحو ١٣ ٪ .

– أما فيما يتصل بالعشرة الكبار فتظهر مؤشرات الجدول لتقول لنا ما يلى :

العشرة الكبار فى الثلاثى ٤٨,٤٣٥ ٪ .

العشرة الكبار فى الرباعى ٦٤,٥٧ ٪ .

العشرة الكبار فى الخماسى ٦٩,٣٠٤ ٪ .

– وهذا يعنى ما يلى :

أن العشرة الكبار تقل فى الثلاثى عنها فى الرباعى بنسبة ١٦,١٣ ٪ .

أن العشرة الكبار تقل فى الثلاثى عنها فى الخماسى بنسبة ٢٠,٨٦٩ ٪ .

وكل المؤشرات السابقة تدعم تفسيرنا الفسيولوجى للظاهرة على اعتبار فكرة الجهد فى الأداء حيث يقتضى الثلاثى جهداً قليلاً بالنسبة للرباعى وجهداً أقل بالنسبة للخماسى ، كما أن الرباعى يقتضى جهداً كذلك أقل من الخماسى . وهو ما ألجأ العربى إلى الاستعانة بهذه المجموعة السهلة فى النطق بنسب تتناسب مع ما يحتاجه من جهد فى كل نوع منها ، وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا لم يفت الخليل بل أشار إلى ذلك فى عبارة علمية دقيقة قائلاً : فلما ذلقت الحروف الستة

---

١ – تبلغ جذور الثلاثى فى إحصاءات اللسان ٦٥٣٨ وهذا يعنى أن عدد حروفها ١٩٦١٤ حرفاً ، وتبلغ جذور الرباعى ٢٥٤٨ فعدد حروفها ١٠١٨٤ حرفاً ، وتبلغ جذور الخماسى ١٨٧ جذراً وعدد حروفها ٩٣٥ انظر إحصاءات اللسان ص ٩٣ .

ومذل بهم اللسان وسهلت عليه فى النطق كثرت فى أبنية الكلام ، فليس شىء من بناء الخماسى التام يعرى منها أو من بعضها [٢] »، فقوله كثرت فى أبنية الكلام تشمل الثلاثى والرباعى والخماسى ، وخصّ الخماسى فى هذه العبارة لأنه أعلاها نسبة ، وقد جمع الرباعى والخماسى فى الحكم حين قال بعد ذلك « لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر »[٣] وهو ما يعنى أن الرباعى تكثر فيه هذه الحروف كذلك ، ولكن الخماسى أكثر من الرباعى لانفراده أكثر من مرة بالحكم . وهو كلام يطابق الإحصاءات خطوة بخطوة ، الأمر الذى يعكس حقيقة مؤداها أن الخليل قد وضع يده على أسرار البنية الصوتية للكلمة العربية فى ضوء نظرية معجمية رياضية محكمة لم يمط اللثام عن صوابها إلا لغة الأرقام فأين هذا من أحكام صناع المعاجم ؟

٦ — بين الخليل وابن منظور

بعد هذا العرض لفكرة الكمية كأساس من أسس المنهج فى نظرية الخليل ، وبعد أن تبين لنا دقة ما انتهى إليه ، وأمكننا التحقق من صحة الفرضية من خلال مقارنة ما أورده الخليل بما انتهت إليه إحصاءات الكمبيوتر لأكبر معجم فى العربية وهو اللسان وأصح معاجمنا القديمة وهو الصحاح ، فإنه من المناسب أن نعود لصاحب اللسان ونقارن بين ما أورده من نتائج ونقارنها بنتائج الدراسات الإحصائية . ونخص ابن منظور هنا بالكلام لثلاثة أسباب :

الأول : أنه صاحب اللسان ، ومعجمه بوصفه أضخم معاجمنا القديمة كان أحد المعجمين الذين خضعا للدراسة الإحصائية ، وهى الدراسة التى أكدت صحة مقولات الخليل .

---

٢ — انظر العين ١ / ٥٢ .

٣ — السابق نفس الصفحة .

الثانى : أن ابن منظور نقد منهج الخليل ممثلاً فى التهذيب والمحكم نقداً لاذعاً حين قال فى مقدمة معجمه « كأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً وجلاّهم عنه ، وارتاد لهم مرعىً مَرْبعاً ومنعهم عنه ، قد آخّر وقدّم ، وقصد أن يعرب فأعجم فرق الذهن بين الثنائى المضاعف والمقلوب وبددالفكر باللفيف والمعتل والرباعى والخماسى فضاع المطلوب » [1] .

الثالث : أنه أراد أن يدلى بدلوه فى الكشف عن خصائص البنية الصوتية للكلمة العربية كما ظهر له من خلال مادة معجمه ، وهو بذلك قد قدّم معلومات فى نفس الحقل الذى جاء الخليل فيه بما سبق عرضه ، ويجمل أن نعرض النتائج التى وصل إليها على نتائج الإحصاءات التى تمت على معجمه كما سبق أن فعلنا ذلك مع نتائج الخليل .

قسم ابن منظور الحروف بحسب قوة التردد ثلاثة أقسام القسم الأول يضم سبعة أحرف ، وهى أعلى الحروف تردداً فى بنية الكلمة ، والقسم الثانى يضم أحد عشر حرفاً وهى مجموعة متوسطة فى نسبة التردد ، والقسم الثالث يضم عشرة أحرف ، وهى لأقل الحروف تردداً ، وقد أورد الدكتور على حلمى موسى مقارنة بين عمل ابن منظور ونتائج إحصاءات الكمبيوتر لمعجم اللسان . فجاءت المقارنة على النحو التالى :[2]

النتائج	الفئة الأولى	الفئة الثانية	الفئة الثالثة
نتائج الكمبيوتر	ر ل ن ب م ع ق	د ف س ج ح هـ ش ك ط و خ	ز أ ت ص ث غ أ ى ض ذ ظ
نتائج ابن منظور	أ ل م هـ و ى ن	ر ع ف ت ب ك د س ق ح ج	ظ غ ط ز ث خ ض ش ص ذ

١ – انظر مقدمة اللسان وانظر جـ١ ص ٧ كذلك الصحاح ومدارس المعاجم العربية ص ٧٩ ، ٨٠ .
٢ – إحصاءات اللسان ص ٢٥ .

من الجدول السابق يتبين لنا ما يلى :

- أنه وضع الراء وهى طبقاً لإحصاءات الكمبيوتر أقوى حروف اللغة تردداً ، وضعها فى الفئة الثانية .
- وضع الباء والعين والقاف وهى من العشرة الكبار ، ومن حروف المقدمة وضعها فى الفئة الثانية كذلك .
- وضع الهمزة والياء وهما من حروف المؤخرةفى إحصاءات الكمبيوتر وضعهما فى الفئة الأولى .
- وضع اثنى عشر حرفاً فى غير فئتها وهى « ر ، ب ، ع ، ق ، هـ ، ش ، ط ، و ، خ ، أ ، ت ، ى . بنسبة خطأ حوالى ٤٣ ٪ .
- قدم وأخر خمسة عشر حرفاً عن مكانها فى فئتها بنسبة اضطراب حوالى ٥٣٪ .
- لم يتفق مع إحصاءات الكمبيوترإلا فى حرف واحد فقط هو حرف (اللام) حيث جاء فى فئته وفى ترتيبه الصحيح من بقية الأصوات . بنسبة صواب ٤ ٪ والباقى وهو إما خطأ صُراح أو مضطرب ليس فى مكانه الدقيق .

وليس يعنى هذا أن نغض من قدر ابن منظور فالرجل لا مشاحة راوٍ عظيم من رواة اللغة ، وأحد فرسان الحلبة فى مجال خدمة صناعة المعجم العربى ، وسيظل اللسان من أفضل معاجمنا القديمة وأوفاها مادة وأوثقها عند الباحثين ، غير أن الرجل لم يفهم صنعة الخيل لأنها ليست من قبيل صنعته ، ولم يفلح فى الاقتراب من النتائج التى حققها ، لأنه أقحم نفسه فى مجال ليس مجاله ، وسار فى درب يختلف عن دربه ، إن الفرق بين عمل صانع المعجم كابن منظور والمنظر العجمى كالخليل كالفرق بين راوى الحديث والفقيه أو بين راوى اللغة والشعر والعالم الناقد . الأول تقاس عظمته بكم ما حمل إلينا ونقل لنا إنه كالزاملة التى تحمل الأسفار

وبدونها لا يصل العلم ، والثانى تقاس عظمته بكيف ما وعى واستنبط ، وكلاهما رجل عظيم فى ميدانه ، وفارس فى حلبته .

مما سبق يتبين لنا أن حديث الخليل عن الصحيح والمعتل ، والثلاثى والرباعى والخماسى والمضاعف وغيرها من معلومات صوتيه وصرفيه ليس فيه تشتيت للذهن وتبديد للوقت وإضاعة للمطلوب كما فهم ابن منظور ، بل الأمر مخالف لذلك تماماً لمن يتفهم طبيعة المعالجة التى تقدم فى إطارها هذه المعلومات ، والسياق الذى وردت فيه ، فالذى ينظر إلى النظام العجمى بوصفة أحد أنظمة اللغة ، سيجد المفاهيم السابقة هى الأسس النظرية التى يقوم عليها هذا النظام ، فالتفريق بين الصحيح والمعتل له أثر على المستوى التركيبى ولا شك أن ثمة تغييراً فى بنية الفعل يطرأ عند الاسناد مثلاً للضمائر ، وعند خضوعه لضوابط الحالة النحوية Case grammer من رفع ونصب وجزم ، ويترتب على سلامة البنية الصوتية للكلمة آثار مهمة لسلامة البنية التركيبية وتماسكها ، فالجملة ليست مجرد رصّ كلمات ، بل رصّ كلمات معينة وفق نظام معين ، واعتبار المعجم بهذه النظرة خطوة موطئة ومتفاعله مع أنظمة اللغة الأخرى هى التى تفسر طرح هذه المفاهيم ومعالجة جوانب الصحة والاعتلال ، وتفسير البنية الصوتية للكلمة للتمييز بين العربى وغير العربى من الكلم ، وكلها من صميم المعالجة المعجمية النظرية الشاملة التى تخدم بقية أنظمة اللغة الأخرى ، وهذا هو ما يحاول تطويره المحدثون باعتبار المعالجة المعجمية خطوة من خطوات التحليل الموطئة للدرس التركيبى ، تقتضى النظر إلى مادة اللغة لا بوصفها وحدات شكلية فحسب بل باعتبارها وحدات ذات معنى وذات وظيفة تركيبية معاً [1] ، وهو ما يجعل طرح الخليل نبته فى حاجة إلى رعاية وتطوير فى هذا الاتجاه ، وسبقاً منهجياً فى فهم الوظيفة الحقيقية للمعجم بين أنظمة اللغة الأخرى ، لم يكن الخليل يشتت الذهن بل يوقظه ، ولم يضيّع عملُه المطلوبَ بل أرشد إليه ، لأن المطلوب الذى يسعى لتحقيقه يخالف المطلوب الذى يتحدث عنه ابن منظور . فهذا فى وادٍ وذاك فى وادٍ آخر .

---

١ - انظر على سبيل المثال اللسانيات واللغة العربية ص ٦٣ وما بعدها .

الفصل الرابع

الأساس التقليبى

الفصل الرابع : الأساس القليبى

١ – يمثل الأساس التقليبى الركيزة الثالثة من ركائز المنهج فى نظرية الخليل المعجمية ، وقد مر بنا من قبل الركيزتان الأوليان ، وهما الأساس الصوتى والأساس الكمى ، ويقف هذا الأساس الثالث شامخاً كأساسية السابقين وأصيلاً ، فلا أعلم أحداً سبق الخليل فى تطبيقه ، وهو أصيل عنده لأن الثابت تاريخياً هو علو كعب الخليل فى هذا العلم ، ولا أريد أن أسبق بالأحكام فأصفه بالدقه والانضباط من جانب والشمول والحصر من جانب آخر ، مع إمكانية التحقق من صدقه كفرضية علمية هى جزء من النظرية المعجمية الخليلية ، فذلك موضوع هذا الفصل ، الذى أترك للقارئ الكريم فرصة الحكم ، والتعرف عن كثب على طبيعة هذا الإجراء الثالث عنده .

من تتبع نصوص العين تقابلنا فقرة وحيدة تتصل بهذا الأساس ، وهى على إيجازها قد حملت فى طياتها عموداً أساساً من عمد النظرية ، وسوف أنقل الفقرة كاملة ، ثم أعرض لها بالبسط والتحليل .

قال الليث : قال الخليل :

اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين : قد ، دق ، شدّ ، د ش ، والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة ، وهى نحو ضرب ، ضبر ، برض بضر ، رضب ، ربض . والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهاً وذلك أن حروفها وهى أربعة أحرف تضرب فى وجوه الثلاثى الصحيح وهى ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجهاً ، يكتب مستعملها ويلغى مهملها وذلك نحو عبقر تقول منه :

عقرب ، عبرق ، عقبر ، عبقر ، عربق / قعرب ، قبعر ، قبرع ، قرعب ، قربع / رعقب ، رعبق ، رقعب ، رقبع ، ربقع ، ربعق / بعقر ، بعرق ، بقعر ،

بقرع ، برعق ، برقع [1] .

والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجهاً وذلك أن حروفها وهى خمسة تضرب فى وجوه الرباعى ، وهى أربعة وعشرون حرفاً فيصير مئة وعشرين وجهاً ، يستعمل أقله ويلغى أكثره وهى نحو :

سفرجل ، سفرلج ، سفجرل ، سجفرل ، سجرلف ، سرجفل ، سلجرف ، سلرفج ، سلفرج ، سجفلر ، سرفلج ، سجفرل ، سلفجر ، سرجلف ، سجرلف ، سرلجف ، سجلفر وهكذا [2] .

والنص السابق هو موضوع البحث فى هذا الفصل ، إنه يحمل فى طياته على قصره واحداً من أخطر عناصر المنهج فى النظرية المعجمية خاصة والنظرية اللغوية العربية بوجه عام . وإذا كان البحث سيُعنى فى هذا المقام بعرض هذا الأساس فى إطار النظرية المعجمية ، فإن دراسة أخرى يجب أن تتوفر على فهم هذا الأساس فى إطار النظرية اللغوية العربية عامة والنحوية على وجه الخصوص .

---

١ - هكذا جاء تصريف الرباعى فى نص العين ١ / ٥٩ ومجموع هذه الصور ثلاث وعشرون صورة ، وينقص من هذه الصور كلمه قعبر . وقد ذكرت الصور كاملة فى نص التهذيب ١ / ٤٩ . ويلاحظ كذلك أن ترتيب نص العين المشار إليه أعلاه فيه خلل فى ترتيب الصيغ فمن المفروض أن تأتى كل صورتين متماثلتين فى الحرف الأول والثانى متتاليتين وبناء على ذلك كان يجب فى المجموعة الأولى أن يقال عقرب عقبر - ثم عبرق عبقر ، وهكذا ولكنه قال عبرق قبل عقبر . وقد جاء نص التهذيب فى هذه النقطة سليماً . ولكن نص التهذيب أورد خطأ مماثلاً فى المجموعة الثانية وخطأ مماثلاً فى المجموعة الرابعة أشار إليهما المحقق انظر التهذيب ١ / ٤٩ .

٢ - العين ١ / ٥٩ وانظر التهذيب ١ / ٤٩ .

٢ - ١ أما عن حديثه عن الثنائي فأحب أن أقف عند قوله : (تتصرف) . والتصريف في اللغة التغيير ، وتغيير الكلمة على أوجهها الإتيان بالأشكال المختلفة منها ، ويلفت النظر أن الخليل استعمل مصطلحاً لغوياً ، مع أن الفكرة رياضية ، كما أن الخليل لم يستعمل في هذا السياق خاصة لفظ تقليب ، وهو المصطلح الذي شاع إطلاقه على عملية التصريف أو التغيير ، غير أن كلمة تقليب قد وردت في موضع آخر من نصّ العين ، ولكنها جاءت حينئذٍ بمعنى آخر ، قال الليث : « وقلّب الخليل ا ، ت ث فوضعها على قدر مخرجها من الحلق [1] » وهو هنا يقصد بها أنه ذاقها أو تحسسها ثم أدارها على مخارجها فوضع كل حرف منها في مدرجته أو مخرجه . ومع ذلك فإن مصطلح تقليب قد شاع منذ ظهر العين بين الدارسين ، وقد شرح ابن دريد المقصود به في معجمه [2] ، وكانوا حين يمثلون لظاهرة التقليب يقولون مثلاً : قع ومقلوبها عق إشارة إلى أن هذا الاصطلاح كان مقصوداً به الإتيان بمقلوب الكلمة أو مقلوباتها أو تقاليبها أو تصاريفها .

وَالذي يعنيني من مصطلح الخليل في النص السابق وهو كلمة (تصريف) أن فيه إشارة إلى وجود صلة ما بين الصور المختلفة للكلمة ، وهو أمر سيكون له أثر فيما بعد حين أوحت هذه الفكرة إلى عدد من اللغويين كابن فارس في مُجمله ومقاييسه وابن جني في خصائصه بمحاولة البحث عن هذه الصلة التي لم يفصح عنها الخليل ، فكان أن ولدت فكرة الأصول التي حاولت ربط هذه التقاليب بمعنى واحد[3] .

١ - انظر العين ص ٤٨ والتهذيب ص ١ / ٤١ .

٢ - الجمهرة جـ ٣ / ٥١٣ .

٣ -ذهب الدكتور وافي إلى أن فكرة الأصول هي فكرة الخليل واكتفى الدكتور أنيس والدكتور رمضان عبد التواب بالقول بأنها هي التي أوحت إليهم بذلك . انظر فقه اللغة ١٩٣ ، ٢٨٣ ، ومن أسرار اللغة ص ٥٨ وفصول في فقه اللغه ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

والتصريف كما شاع بعد ذلك لم يكن مجرد علاقة شكلية فحسب بل هو علاقة معنوية كذلك ، وليس فى استخدام الخليل لمصطلح التصريف ما يمنع أنه رأى وجود علاقة فى المبنى والمعنى بين صور أو مقلوبات الكلمة المختلفة ، بدليل وضعه المقلوبات المستعمله كلها فى مكان واحد ، ولابد أن وراء هذا الضم معاً فى مكان واحد هدفاً غير الاشتراك فى البنية ، وتكاد طريقة الخليل أن تكون الطريقة المسيطرة فى شرح المادة المعجمية حين يأتى بالكلمة وتصريفاتها على شاكلة ضرب يضرب ضرباً فهو ضارب ومضروب ... الخ وإذا كان جمع الصيغ الصرفية على هذا النحو هو بالقطع لغاية دلالية ، فلا يمنع أن يكون جمع المقلوبات المختلفة للكلمة فى مكان واحد هو لغاية دلالية كذلك . غير أن الخليل عندى لا يُسأل عن كثير من الاعتساف الذى شاب بعض معالجات ابن فارس وابن جنى ومن لفّ لفهم، حتى طرح كثير من الباحثين الفكرة كلية وعدوا البحث عن جامع دلالى بين مقلوبات الكلمة مجرد شطحة من شطحات هؤلاء اللغويين ووهم كبير أوقعهم فيه الافتتان بلغة العرب[1] .

٢ - ٢ أما عن فكرة التقاليب الخليلية كما تظهر من النص السابق فهى فكرة رياضية خالصة للخليل فضل توظيفها فى المجال اللغوى ، التماساً للدقة ، وهو بهذا أسبق من المحدثين ، بل ربما كان أول لغوى معروف لنا حاول ذلك . وتقوم الفكرة على أساس حصر الإمكانات الرياضية لضرب رقم فى آخر ، أو ما يسمى فى الرياضيات بمضروب العدد ، وذلك على النحو التالى :

$$1 \times 2 = 2$$

$$1 \times 2 \times 3 = 6$$

$$1 \times 2 \times 3 \times 4 = 24$$

$$1 \times 2 \times 3 \times 4 \times 5 = 120$$

---

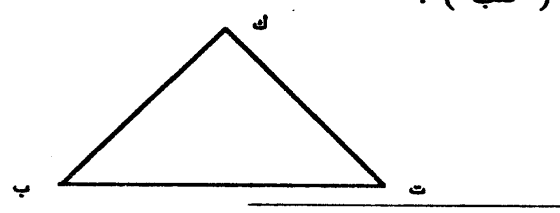
١ - وسوف يعود البحث إلى هذه النقطة فى الفصل الأخير بشىء من التفصيل .

وهذا يعنى على المستوى اللغوى أن الاحتمالات الرياضية الممكنة لتقليب كلمة مكونة من حرفين هو توليد كلمتين مثل قد – دق ، شد – دش .. الخ .

وقد استخدم الخليل نفسه مصطلح (ضرْب) وقال (تُضرْب) وهو ما يدلنا على الحقل الرياضى الذى منه أتى بفكرته .

ولا يخفى أن فكرة الممكن رياضياً تخدم الخليل فى جانبين الأول هو حصر مادة اللغة حصراً تاماً ، فلا يفوته منها شيء ، والثانى ضم الصور المستعملة والمتماثلة فى الشكل فى موضع واحد ، وهو ما يخدم الباحثين فى نظرية المعجم فى الكشف عن أسرار البنية ، سواء معرفة ما تؤثره اللغة من مبان وما لا تؤثره ، أم فى إمكان الكشف عن صلات هذه الصور دلالياً ، أم التعرف على طبيعة الفجوات المعجمية وإمكان الاستفادة منها . إلى غير ذلك من غايات . ربما يكشف البحث العلمى عنها وهو يبحث عن مناهج أخرى لإعادة ترتيب مادة المعجم على أساس تركيبى أو حقلى أو صوتى . أو دلالى تركيبى ... الخ .

٢ – ٣ – وفى ضوء الفكرة السابقة فإن الكلمة الثلاثية لا تسمح بإعطائنا أكثر من ٦ مقلوبات أو صور طبقاً لإمكاناتها الرياضية ، وقد التمس ابن دريد من الرياضيات الوسيلة الرياضية لشرح الفكرة فرسم لنا مثلثاً ووضع على كل زاوية حرفاً من حروف الكلمة الثلاثة على النحو التالى [1] فى كلمة (كتب) .



١ – انظر الجمهرة ص ٣ / ٥١٣ ومثال كتب من وضع البحث . جاء الرسم فى الجمهرة فى شكل دائره على النحو التالى .=

وحسب كلام الخليل فيمكن أن نبدأ بالكاف ثم نبدأ بالتاء ثم نبدأ بالباء فتتولد لدينا الصور التالية .

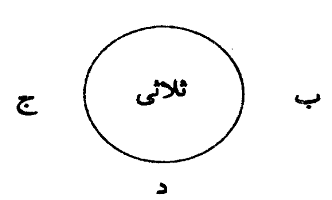
١ - أن نبدأ بالكاف فنحصل على صورتين : كتب - كبت .

٢ - أن نبدأ بالتاء فنحصل على صورتين : تكب - تبك .

٣ - أن نبدأ بالباء فنحصل على صورتين : بكت - بتك .

ويسمى الخليل هذه الكلمة بالمسدوسة أو ذات الصور الستة .

٢ - ٤ أما الرباعي في ضوء الفكرة الخليلية فإمكاناته الرياضية ٢٤ صورة ، ويمكن تصور هذه الإمكانات - استكمالاً لصنيع ابن دريد - من خلال مربع ، على النحو التالي (١) :



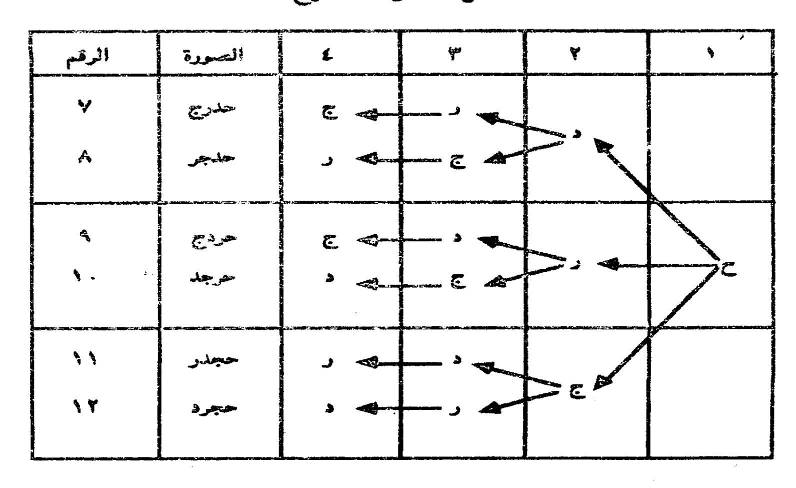
وفي المزهر جاء الرسم في شكل مثلث ، انظر المزهر ١ / ٧١

١ - شرحت هذا التصوّر ص ٢٧ - ٢٩ في مذكرات مخطوطة ألقيتها على طلابي بدار العلوم سنة ١٩٨٥ م وقد قرأت للدكتور عبد الصبور شاهين والدكتور أحمد مختار ما يفيد أن المرحوم الدكتور محمد سالم الجرح قد تصور الفكرة على نحو قريب مما قدمته ، وإن كنت لم أقرأ شيئا لأستاذنا الجرح ، وعمله على ما يبدو كان محاضرات مخطوطة غير منشورة انظر المعاجم العربية ؛ محاضرات مخطوطة للدكتور عبد الصبور ألقيت على طلاب الفرقة الثانية بدار العلوم سنة ١٩٧١ - ١٩٧٢ ص ١١ وانظر البحث اللغوي عند العرب ص ١٧٢ .

شكل ١ لمقلوبات دحرج

١	٢	٣	٤	الصو	ال
	ح	ر	ج	دحرج	١
		ج	ر	دحجر	٢
د	ر	ج	ح	درجح	٣
		ح	ج	درحج	٤
	ج	ح	ر	دجحر	٥
		ر	ح	دجرح	٦

شكل ٢ لمقلوبات دحرج

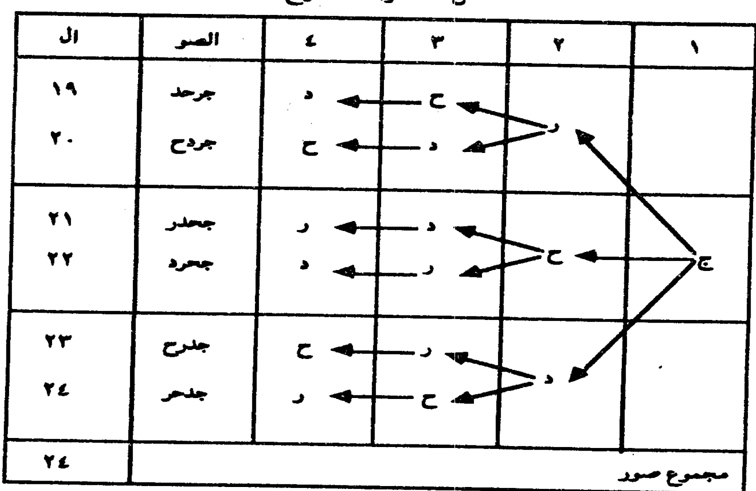


١	٢	٣	٤	الصورة	الرقم
	د	ر	ج	حدرج	٧
		ج	ر	حدجر	٨
ح	ر	د	ج	حردج	٩
		ج	د	حرجد	١٠
	ج	د	ر	حجدر	١١
		ر	د	حجرد	١٢

شكل ٣ لمقلوبات دحرج

١	٢	٣	٤	الصورة	الرقم
ر	ح	د	ج	رحدج	١٣
		ج	د	رحجد	١٤
	د	ح	ج	ردحج	١٥
		ج	ح	ردجح	١٦
	ج	ح	د	رجحد	١٧
		د	ح	رجدح	١٨

شكل ٤ لمقلوبات دحرج



١	٢	٣	٤	الصو	ال
ج	ر	ح	د	جرحد	١٩
		د	ح	جردح	٢٠
	ح	د	ر	جحدر	٢١
		ر	د	جحرد	٢٢
	د	ر	ح	جدرح	٢٣
		ح	ر	جدحر	٢٤
مجموع صور					٢٤

من الجدول السابق يتبين لنا فيما يتصل بالكلمة الرباعية ما يلى :

١ – أن هناك أربع مجموعات من الكلمات : المجموعة الأولى تبدأ كلماتها الست بالحرف (د) والمجموعة الثانية تبدأ كلماتها بالحرف (ح) والمجموعة الثالثة تبدأ كلماتها بالحرف (ر) والمجموعة الأخيرة تبدأ كلماتها بالحرف (ج) . وهذا يعنى أن القاسم المشترك بين كل ست كلمات هو حرف واحد من أربعة أحرف أو ٢٥ ٪ من حروف الكلمة .

٢ – أن كل مجموعة من المجموعات الأربع تنقسم ثلاثة ثنائيات ، كل ثنائى يتماثل فى الحرفين الأولين فمثلا المجموعة الأولى ثنائياتها على النحو التالى :

– دحرج – دحجر   تشترك فى الثنائى (دح) فى أول الكلمة .

– درجح – درحج   تشترك فى الثنائى (در) فى أول الكلمة .

– دحجر – دجرح   تشترك فى الثنائى (دج) فى أول الكلمة .

وهذا يعنى أن كل ثنائى من الكلمات تشترك كلمتاه فى حرفين من أربعة أحرف أو ٥٠ ٪ من حروف الكلمة وهذا يعنى أن القرابة بين كلمتين متماثلين فى ٥٠ ٪ من حروف الجذر أقرب نسبياً من بقية الكلمات الأخرى .

٣ – من الفكرة الموجودة فى رقم (٢) السابق يتبين أن هناك ١٢ زوجاً من الكلمات كل زوج يشترك فى ٥٠ ٪ من الحروف ويتبادل الحرفان الباقيان المواقع ، وهو ما يمكن أن نتكئ عليه فى إثبات إمكان التبادل وعدمه من جانب بشكل رياضى دقيق فى نماذج الإبدال اللغوى ، كما يمكن الاتكاء على هذه الظاهرة فى القول بالقرابة الدلالية وعدمها من جانب ثانٍ على اعتبار أن تقارب المبنى لابد أن يكون ذا قيمة دلالية تتمثل فى تقارب المعنى كذلك . وهذا ليس فرضاً

تخمينياً بل إن الدراسات اللغوية الإحصائية [1] قد أثبتت أن الحروف الأولى من جذر الكلمة هي أكثر حروف الكلمة حملاً لجرثومة المعنى . وبناءً على ذلك فالتقارب في الدلالة بين دحرج ودحجر المتفقتان في الحرفين الأولين ليس دعوى ظنية ، بل هي مؤشر تؤكده الدراسات الحديثة . الأمر الذى يقتضى إعادة النظر في فكرة التقارب الدلالي بين مقلوبات الكلمة في ضوء هذه الضوابط ، دون أن نطلق الأحكام بالقول بالتقارب المطلق بين كل المقلوبات كما ذهب أنصار فكرة الأصول كابن فارس وابن جنى .

٤ – أن ثمة قرابة بين الصور الأربع والعشرين بحكم أن بعضها مقلوب من البعض الآخر ، غير أن هذه القرابة هي أضعف القرابات بين المقلوبات جميعاً .

٢ – ٥ – أما الكلمة الخماسية فإن فكرة مضروب العدد الرياضية تعطينا ١٢٠ صورة كما سمة القول وذلك بضرب ١ × ٢ × ٣ × ٤ × ٥ = ١٢٠ ، وقد شرح الخليل الفكرة بأن نضرب وجوه الرباعي وهي ٢٤ × ٥ وهي عدد حروف الكلمة الخماسية فتكون الجملة ١٢٠ صورة . ولنحصل على هذه الصور كما قال الخليل فإنني أقدم للقارئ تصورين :

التصور الأول : أن كلمة مثل سفرجل لو حذفنا منها السين لبقيت الكلمة (فرجل) وهي كلمة رباعية فنضعها في جدول الرباعي فتعطينا ٢٤ صورة رباعية ثم نضيف حرف السين في أول الصور الأربع والعشرين فتكون لدينا ٢٤ صورة خماسية ثم نحذف منها (الفاء) فتبقى (سرجل) ونطبق عليها نفس الإجراء وبناء على ذلك نحصل على ٢٤ صورة رباعية ثم نضيف إليها الفاء في أول كل صورة ونكرر ذلك حتى نحصل على ١٢٠ صورة على النحو التالي .

---

١ – انظر الأصوات والأشارات لكندراتوف ص ٥١ .

سفرجل – س = فرجل .

سفرجل – ف = سرجل .

سفرجل – ر = سفجل .

سفرجل – ج = سفرل .

سفرجل – ل = سفرج .

ويتم تقليب الكلمات : فرجل – سرجل – سفجل – سفرل – سفرج عن طريق جدول الرباعى فنحصل على ما يلى :

الكلمة الرباعية	صورها الممكنة	الحرف الذى يزاد فى أول الصور	عدد الصور الخماسية بعد الزيادة
فرجل	٢٤	س	٢٤
سرجل	٢٤	ف	٢٤
سفجل	٢٤	ر	٢٤
سفرل	٢٤	ج	٢٤
سفرج	٢٤	ل	٢٤
مجموع صور سفرجل	–		١٢٠ صورة

التصور السابق يعتمد على شرح الخليل لإمكانية الحصول على الصور المختلفة للكلمة الخماسية وذلك بالاعتماد على الكلمة الرباعية فى هذا الإجراء ومن قراءة نصّ العين ، وبعد تطبيق فكرته على كلمة سفرجل وحصوله على الصور

الممكنة وجدت خللاً فى الصور التى حصل عليها ، وبمقارنه ذلك بنص التهذيب ، لاحظت تكرار نفس الخلل ، وإن كان نصّ التهذيب أكثر دقة واكتمالاً من نصّ العين . وقد لاحظ ذلك أستاذنا عبد السلام هارون ، لكنه لم يدرك العلاقات الأخرى التى تربط هذه الصور بعضها ببعض [1] .

التصور الثانى : وفيه اجتهدت فى إعداد جدول لتوليد صور الخماسى كما فعلت مع الرباعى . وسوف يتبين لنا من خلال هذا الجدول مدى الخلل فى الحصول على صور الخماسى فى نص العين ونصّ التهذيب من جانب وترتيب أستاذنا هارون الدقيق من جانب آخر وهذا هو جدول الحصول على الكلمة الخماسية :

---

١ – جاء نصّ التهذيب لوجوه الخماسى من كلمة سفرجل المبدوءة بالسين على النحو التالى : ؛ سفرجل ، سفرلج ، سفجرل ، سفجلر ، سفلرج ، سفلجر ، سرجفل ، سرلفج ، سرجلف ، سرفلج ، سلفرج ، سلجفر ، سلفجر ؛ سلجرف ، سجلفر ، سجرفل ، سرلجف ، سرفجل ؛ سجفرل ، سجرفل ، سجرلف ، سلرجف ، سجرلف ، سجفلر . فهذه أربعة وعشرون وجهاً الابتداء فيها بالسين . وكذلك للفاء إذا ابتدى بها أربعة وعشرون وجهاً ، وكذلك للراء واللام والجيم ، فذلك مائة وعشرون أكثرها مهمل .
وقد علق أستاذنا عبد السلام هارون على الترتيب السابق قائلاً : « هذه الكلمة يعوزها الترتيب الدقيق كما ترى ، وحقها أن يجمع فيها بين كل كلمتين اشتركتا فى ثلاثة الحروف الأولى :
فيقال : سفرجل سفرلج ، سفجرل سفجلر ، سفلجر سفلرج ، سرجفل سرجلف ، سرفجل سرفلج ، سرلفج سرلجف ، سلرفج سلرجف ، سلجفر سلجرف ؛ سلفجر سلفرج ؛ سجلفر سجلرف ، سجفرل سجفلر ، سجرفل سجرلف .
ومنه يتبين أنه وضع هذه الصور فى اثنى عشر زوجاً من الكلمات يشترك كل زوج منها فى ثلاثة الأحرف الأولى وهذا شكل واحد من أشكال العلاقات بين هذه الصور ، وهو أمر سيظهر من مقارنة النتائج التى وصل إليها بنتائج سواه . انظر النص السابق التهذيب ١ / ٤٩ .

تقليب سفرجل رقم ١

١	٢	٣	٤	٥	الصورة
س	ف	ر	ج	ل	سفرجل
			ل	ج	سفرلج
		ج	ر	ل	سفجرل
			ل	ر	سفجلر
		ل	ر	ج	سفلرج
			ج	ر	سفلجر
	ر	ف	ل	ج	سرفلج
			ج	ل	سرفجل
		ل	ف	ج	سرلفج
			ج	ف	سرلجف
		ج	ف	ل	سرجفل
			ل	ف	سرجلف
	ج	ف	ر	ل	سجفرل
			ل	ر	سجفلر
		ر	ف	ل	سجرفل
			ل	ف	سجرلف
		ل	ف	ر	سجلفر
			ر	ف	سجلرف
	ل	ف	ر	ج	سفلرج
			ج	ر	سلفجر
		ر	ف	ج	سلرفج
			ج	ف	سلرجف
		ج	ف	ر	سلجفر
			ر	ف	سلجرف

جدول المقارنة

المسلسل	نص العين	نص التهذيب	نص الأستاذ هارون	نتيجة الجدول
١	سفرجل	سفرجل	سفرجل	سفرجل
٢	سفرلج	سفرلج	سفرلج	سفرلج
٣	سفجرل	سفجرل	سفجرل	سفجرل
٤	سجفرل	سفجلر	سفجلر	سفجلر
٥	سجرلف	سفلرج	سفلجر	سفلرج
٦	سرفجل	سفلجر	سفلرج	سفلجر
٧	سرجفل	سرجفل	سرجفل	سرفلج
٨	سلجرف	سرلفج	سرجلف	سرفجل
٩	سلرفج	سرجلف	سرفجل	سرلفج
١٠	سلفرج	سرفلج	سرفلج	سرلجف
١١	سجفلر	سلفرج	سرلفج	سرجفل
١٢	سرقلج	سلجفر	سرلجف	سرجلف
١٣	سجفلر	سلفجر	سلرفج	سجفرل
١٤	سلفجر	سلجرف	سلرجف	سجفلر
١٥	سرجلف	سجلفر	سلجفر	سجرفل
١٦	سجرلف	سجرفل ☒	سلجرف	سجرلف
١٧	سرلجف	سرلجف	سلفجر	سجلفر
١٨	سَجلفر	سرفجل	سلفرج	سجلرف
١٩	⊖	سجفرل	سجلفر	سلفرج
٢٠	⊖	سجرفل ☒	سجلرف	سلفجر
٢١	⊖	سجرلف ☒	سجفرل	سلرفج
٢٢	⊖	سلرجف	سجفلر	سلرجف
٢٣	⊖	سجرلف ☒	سجرفل	سلجفر
٢٤	⊖	سجفلر	سجرلف	سلجرف

من مقارنة نتائج جدول الحصول على صور الخماسى الذى قمت به بنتائج نصّ العين ونصّ التهذيب وترتيب أستاذنا هارون يتبين لنا ما يلى :

٢ – ٥ – ١ – أن نصّ العين مضطرب ولا يستند إلى أى شكل من أشكال التنظيم فى الحصول على الصور . اللهم إلا الثنائى ١ ، ٢ سفرجل سفرلج ، والثنائى ٦ ، ٧ سرفجل سرجفل ، وجاءت بقيه الثنائيات العشرة مضطربة ، وناقصة فلم يرد فى النص إلا ثمان عشرة صورة من وجوه الخماسى المبدوءة بالسين وعددها أربع وعشرون صورة . وهذا يعنى وجود نقص فى ذكر الصور وُضع له رمز ⊖

٢ – ٥ – ٢ – أن نصّ التهذيب جاء أكثر انضباطاً فجاءت المجموعة الأولى وعددها ست صور مطابقة للمجموعة الأولى فى الجدول وفى ترتيب الأستاذ هارون . ثم بدأ الاضطراب فى المجموعة الثانية وازداد خللا فى بقية الصور . وتكرر فيه بعض الصور مثل سجرفل ووضع لذلك علامة ☒ ، كما تكرر سجرلف ووضع لذلك رمز ☒. ولم يذكر تبعاً لذلك بعض الصور وعددها صورتان وهما سلرفج وسجلفر ، ولم يلتفت إلى هذا النقص أستاذنا هارون .

٢ – ٥ – ٣ – أن ترتيب أستاذنا هارون جاء دقيقاً وإن اختلف مع الجدول فى تقديم بعض الصور على بعض ، ولو التزم ترتيب حروف سفرجل باعتبار السين يليها التاء يليها الراء يليها الجيم يليها اللام كما فعل الجدول لوصل إلى نفس النتيجة ، وهو أمر ترتب عليه أنه لم يراع إلا ثنائياً واحداً فى الجدول وهو كل زوج من الكلمات تشترك فى ثلاثة الأحرف الأولى .

٢ – ٥ – ٤ – أما الجدول فجاء أكثر انضباطاً والتزم ترتيب الحروف فى التقليب الأمر الذى ساعد على ملاحظة الأمور التالية .

٥ – ٤ – ١ – أن الصور الأربع والعشرين تشترك فى الحرف الأول بنسبة ٢٠ ٪ من حروف الكلمة الخمسة وتلك أضعف العلاقات بين مجموع الصور .

٥ – ٤ – ٢ – أن الصور الأربع والعشرين تنقسم أربع مجموعات كل منها ٦ صور تتفق فى الحرفين الأولين : المجموعة الأولى أولها (سف) (الأول والثانى من سفرجل)

المجموعة الثانية أولها (سر) (الأول والثالث من سفرجل)
المجموعة الثالثة أولها (سج) (الأول والرابع من سفرجل)
المجموعة الرابعة أولها (سل) (الأول والخامس من سفرجل)

ومعنى هذه العلاقة وجود اتفاق ٤٠ ٪ من حروف الصور الست . وهى قرابة أقوى من القرابة الموجودة بين الصور الأربع والعشرين جميعاً ، لاحظ النظامية فى الحصول على الصور وهذه علاقة لم يلتفت إليها أستاذنا هارون ، مع أنه لاحظها فى صور الرباعى [1] .

٥ – ٥ – ٣ – تنقسم الصور الأربع والعشرون اثنى عشر زوجاً من الكلمات يشترك كل زوج منها فى ثلاثة الأحرف الأولى بنسبة ٦٠ ٪ من حروف الكلمة وهى تبعاً لذلك أقوى العلاقات بين الصور جميعاً ، وهى الملاحظة التى التفت إليها الأستاذ هارون وساعدته على الوصول إلى الحصر الدقيق من جانب والترتيب الأكثر دقة من غيره من جانب ثان .

وهذا يعنى أن مجموع تقليبات الجذر الخماسى المائة والعشرين تشتمل على ما يلى :

– ٦٠ زوجاً من الكمات ، كل زوج يشترك فى ثلاثة الأحرف الأولى بنسبة اتفاق ٦٠ ٪ .
– هناك عشرون مجموعة عدد كل منها ٦ صورة تتفق فى الحرفين الأولين بنسبة اتفاق ٤٠ ٪ .

---

١ – فقد لاحظ فى ترتيب التهذيب لصور عبقر فى الرباعى أن وجه الترتيب أن تجعل الكلمة الثالثة (من صور المبدوء بالكاف) يقصد (قعرب) ثانية يقصد (قبعر) والثانية ثالثة . لأن ترتيب التهذيب جاء فى هذه المجموعة قعبر ، قبعر قعرب قبرع ... » انظر التهذيب ١ / ٤٩ .

- هناك خمس مجموعات عدد كل منها ٢٤ صورة تتفق كلٌّ منها فى الحرف الأول بنسبة اتفاق ٢٠ ٪ .

وقد سبق القول إن نسب القرابة بين الكلمات فى أول الجذر يمكن أن يُستند إليها كأحد الأدلة للقول بالقرابة فى نظرية الأصول . فالتى تشترك فى ٢٠ ٪ من حروف الكلمة بينها قرابة لكنها أقل من التى تشترك فى ٤٠ ٪ وهى قرابة دون القرابة بين الكلمات التى تشترك فى ٦٠ ٪ ، وما أكثر ما تستعمل اللغة قديما وحديثاً الكلمات التى تشترك فى ٦٠ ٪ من الحروف أو ٤٠ ٪ من الحروف وبين الباقى قلب ، تستعملها بمعنى واحد مثل رعبون وعربون برطمان وبطرمان ، فلهوى وفهلوى ، وهلم جرا [1] ..

فهل يسمح لنا هذا التصور بتفسير علّية جمع الخليل لمقلوبات الكلمة فى مكان واحد على أنها إشارة من نوع ما إلى أن من خصائص فلسفة النظام المعجمى للغة أن تستخدم هذه الصور المختلفة للمقلوبات فى معان متقاربة ، وهى فكرة توحى بها كلمة « تصريف » بمعنى تغيير يجعل بعضها من بعض فى المبنى والمعنى معاً . وفى إطار هذا الفهم أيضاً لا تصبح فكرة التقاليب طرحاً عبثياً لمبانٍ مختلفة ، بل لمبانٍ ذات معانٍ بينها صلات على المستويين معاً مستوى البنية أو الشكل ومستوى الدلالة أو المعنى كذلك ، وهو طرح فى إطار فلسفة المعجم الذهنى للغة ، ومحاولة تصوره ، دون أن يقصد الخليل بها أى شكل من أشكال التبويب المعجمى ، ولعل مما يدعم هذا الفهم أن الخليل كان يقدم المقلوبات المختلفة للمادة بوصفها أمثلة للفكرة ، ولم يطبقها تبعاً لذلك إلا فى الثنائى والثلاثى فقط عل حين أنه لم يضطرد فى تطبيقها على الرباعى والخماسى ، مما يؤكد أنه إنما يقدم التقاليب كفكرة نظرية تجريدية لتصور نظام اللغة المعجمى والعلاقات فى الشكل والمعنى بين التقاليب ، ولو كان الهدف من فكرة التقاليب هو التبويب المعجمى القاموسى

---

١ - انظر نماذج لهذا فى القديم فى المزهر ٢ / ٢٧٧ ونماذج أخرى فى الحديث من كتاب فى التطور اللغوى ص ٥٩ .

لطبقها على الرباعي والخماسي ، ولا يُعترض على ذلك بصعوبة هذا التطبيق لأن مادة الرباعي والخماسي المستعملة فعلاً بالقياس إلى المهمل لا تصل إلى ٥, ٪ من الممكن رياضياً لصور الرباعي والخماسي (١) . الرجل إذن لم يقصد التبويب بل استهدف تقديم أمثلة للنظرية ليس غير .

٣ - ١ من نص الخليل الخاص بالتقاليب تتلقف فكرة أخرى خلا فكرة الـ « تصريف » أو التقاليب التي عولجت في النقطة السابقة ، وأعني بالفكرة الجديدة ما سمّاه الخليل بـ « المهمل والمستعمل » وهي فكرة نظرية رياضية كذلك لتصور طاقات النظام المعجمي للغة ، وأحسبها واحدة من اللمحات المنهجية الذكية في النظرية المعجمية خاصة واللغوية بوجه عام ، وهي فكرة تحتاج إلى شيء من إعادة التناول في ضوء عدد من المعطيات الجديدة التي تطرحها بعض النظريات العلمية الجديدة في الرياضيات من جانب أو في اللغويات الحديثة التي اتكأت على الرياضيات من جانب آخر .

إن الخليل حين طرح فكرة المستعمل والمهمل أو الموجود بالقوة والموجود بالفعل من مادة المعجم العربي كان يحاول استقراء المادة اللغوية التي أفرزتها آلية التقاليب ، وبذلك تكون هذه الفكرة عنده جزءاً مكملاً ومتداخلاً مع الفكرة السابقة ، فالتقاليب حصر واستخراج المستعمل والمهمل قراءة لمادة المعجم واستنباط يعين على فهم فلسفة كل منهما .

وقد حاول علماء الرياضيات أن يحصروا الممكن رياضياً في ضوء فكرة التباديل والتوافيق ، ويقال إن الخليل فعل ذلك وحصر إمكانات اللغة في ضوء هذه الفكرة ، وليس في نصّ العين أية إشارة تفيد أن الخليل فعل ذلك ، وقد أشار السيوطي في مزهره إلى ما نسب إلى الخليل من أرقام (٢) .

١ - سيأتي جدول بهذه النسب بعد صفحات من هذا البحث .

٢ - انظر المزهر ص ١ / ٧٤ - ٧٥ .

أما المحدثون من علماء الرياضيات فقد وضعوا الفكرة فى حيز التنفيذ ، وفى إطار نظرية المعلومات information theory وهى نظرية رياضية حديثه تم الأستفادة من فكرة المستعمل والمهمل فى مجالات عملية مختلفة ، وسوف أعود لذلك بعد قليل .

وقد حاول الدكتور على حلمى موسى أن يقدم حصراً رياضياً للممكن فى اللغة العربية فى معرض دراستية الرائدتين لمعجمى الصحاح واللسان ، وهذا عرض بالنتائج التى وصل إليها يليه تعليق على هذه النتائج .

- عن الثلاثى قال الباحث : « يحتوى معجم لسان العرب على ٦٥٣٨ جذراً ثلاثياً ، والمعروف أن الموقع الأول والثانى فى الجذر يمكن أن يشغله أحد الحروف الثمانى والعشرين [١] ، على حين يشغل الموقع الثالث أحد هذه الحروف مع استبدال ألف المد بحرفى الواو والياء ، أى أنه يمكن أن يشغل هذا الموقع سبعة وعشرين [٢] حرفاً فقط ، لذا فإن عدد الجذور الثلاثية المسموح بها رياضياً هو (٢٨ × ٢٨ × ٢٧) أى : ٢١١٦٨ وعلى هذا يمكن استنتاج أن نسبة عدد الجذور الواردة بالمعجم إلى المسموح به رياضياً هى ٣١ ٪ [٣] »

- بالنسبة للرباعى : « يحتوى معجم لسان العرب على ٢٥٤٨ جذراً رباعياً ، ونظراً لأن العدد المسموح به رياضياً هو ($٢٨^٣$ × ٢٧) أى ما يزيد على نصف المليون فعلى ذلك تبلغ نسبة الجذور الواردة إلى المسموح به حوالى ٤,٣ فى الألف وتمثل الجذور الرباعية ٢٧,٥ ٪ من مجموع جذور اللسان [٤] .

---

١ – الثمانية والعشرين .

٢ – سبعة وعشرون .

٣ – انظر إحصاءات اللسان ص ١٩ .

٤ – انظر إحصاءات اللسان ص ٢١ .

- بالنسبة للخماسي : « يحتوى لسان العرب على ١٨٧ جذراً خماسياً تمثل ٢ ٪ من مجموع جذور المعجم [1] »

وكلام الباحث في هذه الإحصاءات في حاجة إلى إعادة نظر على النحو التالي :

- حين تحدث الباحث عن الممكن رياضياً في الثلاثي نجده قد خلط بين مستوى الجذر ومستوى الكلمة . والجذر في اللغة فكرة تجريدية تتحدث عن ثلاثة أحرف صامته أصلية مثل (ض ر ب) ، (ك ت ب) ، (ل ع ب) ، (د ع و) ، (ج ر ى) ، ومن الجذر نحصل على كلمات سواء أكانت فعلاً أم اسماً مثل ضَرب ، ضرباً ، وكتب كتابة ، لعب لعباً ، ودعا دعوة ، وجرى جرياً ، وفي مستوى الكلمة قد تستبدل بعض أصوات الجذر بأخرى كأن تستبدل بالواو والياء في لام الجذر ألف فبدلاً من دعو وجرىَ نقول دعا وجرى . فالاستبدال يتم على مستوى الكلمة لا على مستوى الجذر ، والممكن رياضياً يتعامل مع الجذور لا الكلمات .

- حين نحاول أن نحصل على الممكن رياضياً فإننا نضرب مجموع الصوامت في اللغة في عدد حروف الجذر ، وصوامت اللغة العربية ثمانية وعشرون ، ليس من بينها صامت يسمى ألفاً . وبناء على ذلك لا يمكن أن يوجد في الجذر العربي ألف أصلية لا في فائه ولا في عينه ولا في لامه . لأن الألف حركة طويله vowel وليس صامتاً consonant .

- بناء على ما سبق فإن الممكن رياضياً لثنائي العربية أي للجذور المكونة من حرفين أصليين يكون بضرب ٢٨ × ٢٨ أي ٢٨ صامت حرف أول في ٢٨ صامت حرف ثان . وجملة ذلك ٧٨٤ جذراً ثنائياً ممكنا في اللغة العربية .

---

١ – انظر إحصاءات اللسان ص ٢٣ .

– وبناء على ذلك أيضاً فالممكن رياضياً من الجذور الثلاثية هو ٢٨^٣ أو ٢٨ × ٢٨ × ٢٨ = ٢١,٩٥٢ جذراً ثلاثياً ممكناً .

– أما الرباعي الممكن رياضياً فمجموعة ٢٨^٤ أو ٢٨ × ٢٨ × ٢٨ × ٢٨ = ٦١٤,٦٥٦ جذراً رباعياً ممكناً .

– أما الخماسي الممكن رياضياً فهو حاصل ضرب ٢٨^٥ أو ٢٨ × ٢٨ × ٢٨ × ٢٨ × ٢٨ = ١٧,٢١٠,٣٦٨ جذراً خماسياً ممكناً .

وبناء على ما سبق فإن مجموع الجذور الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية الممكنة هو : ١٧,٨٤٧,٧٦٠ جذراً في كل اللغة العربية . وهذا جدول بهذه الإحصاءات :

الكمية	الجذور الممكنة رياضياً	الجذور المستعملة	نسبة المستعمل إلى المهمل
الثنائي	٢٨^٢ = ٧٨٤	٢٠	٢,٥٥١٪
الثلاثي	٢٨^٣ = ٢١,٩٥٢	٦٥٣٨	٢٩,٧٨٣
الرباعي	٢٨^٤ = ٦١٤,٦٥٦	٢٥٤٨	٠,٤١٤
الخماسي	٢٨^٥ = ١٧,٢١٠,٣٦٨	١٨٧	٠,٠٠١
مجموع المستعمل إلى المهمل			٣٢,٧٤٩٪
مجموع المستعمل إلى الممكن رياضياً	١٧,٨٤٧,٧٦٠	٩٢٩٣	٠,٠٥٢٪

فى الجدول السابق رقمان بحاجة إلى بعض بيان : الأول هو مجموع المستعمل إلى المهمل وهو ٣٢,٧٤٩ ٪ وهذا يعنى أن المهمل وحده نحو ٦٧,٢٥١ ٪ ونسبة المستعمل هنا إنما هى مجموع نسبة المستعمل إلى المهمل فى كل نوع من الأنواع .

أما الرقم الثانى وهو مجموع المستعمل إلى الممكن رياضياً فهو النسبة المئوية لمجموع الجذور المستعملة ٩٢٩٣ إلى مجموع الممكن رياضياً ١٧,٨٤٧,٧٦٠ جذراً .

وعلى حين تنحصر نسبة المهمل إلى المستعمل فى حصر الصور المستعملة من مقلوبات الجذر إلى الصور التى أهملت منه كالصور المستعمله من دحرج والصور المهملة من مقلوبات هذا الجذر . فإن نسبة المستعمل إلى الممكن رياضياً تشمل المستعمل فعلاً إلى جملةالمهمل فى اللغة سواء أكان بعض مقلوبات جذر له صور مستعمله كدحرج أم كان جذراً مهملاً بكل تقليباته كتلك النماذج التى أشار إليها الخليل مثل قعثج ونعثج ودعثج ومقلوباتها من الرباعى ، ومثل كشعثج وخضعثج وكشعطج وجميع مقلوباتها من الخماسى ، وإذا علمنا أن جلّ الملايين السبعة عشر من الرباعى والخماسى ، على حين أن مجموع المستعمل منهما هو ٢٧٣٥ جذراً ، أدركنا سر الفرق الكبير من الرقمين لنسبة المستعمل إلى المهمل وهى ٣٢,٧٤٩ ٪ ونسبة المستعمل إلى الممكن رياضياً والتى لا تزيد عن ٠٥٢,٠ ٪ اثنين وخمسين من ألف فى المائة .

وأما نسبة المستعمل إلى المهمل فى العربية فهى تدور حول المعدل العالمى للغات البشرية التى تشير إلى أن نسبة المهمل فى اللغة الطبيعية هى من ٧٠ إلى ٨٠ ٪ (١) وهى فى العربية قرابة ٧٠ ٪ أو ٦٧,٢٥١ ٪ بالضبط .

هذا التصور الرياضى للمستعمل والمهمل فى اللغة كما طرحه الخليل هو نفسه

---

١ – الأصوات والإشارات ص ٤٠ .

الإجراء الرياضى الذى قام به علماء الرياضيات فى ضوء نظرية المعلومات ، فقد قام الرياضى السوفيتى أ . خار كيفتشن وهو عالم متخصص فى نظرية المعلومات بإجراء حساب من هذا النوع بالنسبة للغة أية لغة : « فلو أن أبجدية اللغة ثلاثون حرفاً وكل كلمتها تتألف من حرف واحد ، إذن سيكون لدينا ثلاثون كلمة مختلفة مثل (I) فى اللغة الإنجليزية بمعنى (أنا) [1] ، وإذا كانت كل كلمة من كلمات اللغة تتألف من حرفين سيكون الناتج $٣٠^٢ = ٩٠٠$ مثل أم أب ، هو ، ولكن ليس لدينا كلمات مثل رم فق ... [2] الخ ، واللغة التى تتألف أبجديتها من ثلاثين حرفاً يمكن أن تعطينا ٢٧,٠٠٠ كلمة ذات أحرف ثلاثة مثل فتح ، رأس ، نحن ، نجم ... الخ ولكن لا توجد كلمات مثل سأج أو نمح ، ويمكن لهذه اللغة أن تعطينا كلمات مركبة من أربع [3] أحرف يصل عددها إلى $٤٠^٣$ أو ٨١,٠٠٠ وكلمات من خمسة أحرف $٣٠^٥$ أو ٢٤,٣٠٠,٠٠٠ كلمة ، إلا أن لغة كالإنجليزية (وأحرفها ٢٦ حرفاً) تشتمل على ما يقرب من مليون كلمة مفيدة (إذ إن قاموس ويستر الكامل يضم قرابة نصف مليون كلمة) ولكن لنعد إلى اللغة الروسية ثانية ، لو

---

١ – السابق ص ٣٩ ، يعلق المترجم على هذا المثال بقوله : « مثال ذلك فى اللغة العربية فعل الأمر من وقى فهو (قِ) ، وهو مثال غير دقيق لأن (قِ) فى العربية ليست وحدة صوتية واحدة بل وحدتان ؛ القاف والكسرة المقصرة عن الياء ، وليس فى العربية كلمة مكونة من حرف واحد فقط أما (I) فى المثال الإنجليزى فهى وحدة صوتية واحدة تمثل كلمة فى الإنجليزية ، وهو أمر لا نظير له فى العربية ، وقد وعى ذلك إمام العربية الخليل حين أشار إلى أن الكلمة العربية لا تبنى على أقل من حرفين ، وهى ملاحظة لا تقلل من روعة الترجمة ، ولا دقة الأمثلة العربية التى استعان بها .

٢ – يلاحظ أن الأمثلة هنا هى أمثلة المترجم وليست ترجمة للنص لأن كلمةأم وكلمة أب فى اللغة الإنجليزية قطعاً أكثر من حرفين . وهى اللغة التى يترجم عنها هذا العمل .

٣ – أربعة أحرف ، وهو خطأ على ما يبدو غير مقصود بدليل مراعاته بدقة قواعد المطابقة فى العدد فى (خمسة أحرف) فى نفس السطر .

عرفنا أن متوسط عدد أحرف الكلمة فى اللغة الروسية هو سبعة أحرف (وهذا هو ما تشير إليه الدراسات الإحصائية) إذن فإن الكلمات المستعملة ذات المعنى تمثل ٠٠٠٢, ٪ فقط أى اثنين على عشرة آلاف فى المائة من مجموع التآلفات الممكنة بين أحرف اللغة الروسية) [١] .

ولست بحاجة إلى أن أشير إلى أن محاولة عالم الرياضيات السوفيتى لحصر الإمكانات التى تسمح بها تواليف الأصوات فى اللغة هى نفس المحاولة التى قام بها إمام العربية الخليل فى القرن الثامن الميلادى لحصر المستعمل والمهمل فى لغة القرآن الكريم قبل خار كيفتشن بمئات السنين ، ولست فى معرض المقارنة أو التباهى بما صنع الخليل ، وإنما أرمى فى هذا السياق إلى الإشارة إلى ذلك البعد الذى بدأت تأخذه الفكرة على يدى علماء الرياضيات المحدثين وهم يحاولون التعرف على قيمة المهمل أو الحشو أو الفضل Redundancy .

إن علماء الرياضيات بدأوا ينظرون إلى هذا المهمل على أنه ضرورى فى النظام اللغوى ، ويشبه أن يكون « حد الأمان فى اللغة [٢] » أو بلغة العصر طبقة أوزون اللغة . ففراغ هذا المهمل من المعنى فى الظاهر هو الوسيلة التى تعطى المستعمل معناه فى اللغة ، وكلما زاد المهمل انضبطت اللغة وقلت نسبة الخطأ والعكس صحيح ، إذ إن قلة المهمل فى اللغة ليست ميزة فى النظام اللغوى لأنها تعنى أن أكثر الكلمات الممكنة ذات معنى ، ولو وقع أى خطأ فى الاستعمال اللغوى فاحتمال وقوعه على كلمة ذات معنى احتمال كبير ، وهو ما يؤدى إلى سوء الفهم أو الوقوع فى كارثة ، ويشرح لنا كندراتوف ذلك بمثال فيقول : لنتخيل طبيباً يصف دواء لمريض ويخطئ فى كتابة حرف من حروف اسم الدواء ، هنا قد تكون الكلمة الجديدة اسماً لسم بدلاً من العقار المطلوب ، يتضح من هذا أن

---

١ – الأصوات والإشارات ص ٣٩ .

٢ – السابق ص ٤٠ .

الفضل (أو المهمل) فى اللغة ليس زخرفاً سطحياً لا مبرر له بل شيئاً مفيداً [1] »

فى ضوء ما سبق يتبين لنا أن الصواب قد جانب الدكتور صبحى الصالح حين قال : « والحق أن اللغة الإنسانية لا يمكن أن تحصى مفرداتها إحصاءً رياضياً إذ لا قيمة للفظ لم يجربه الاستعمال [2] »

لقد كشف البحث العلمى قيمة المهمل فى النظام اللغوى ، كما اكتشف كرات الدم البيضاء وقيمتها فى الجسم ، وبدأ العلماء يطورون وسائلهم لرفع نسبة المهمل فى اللغة العلمية إلى أعلى مستوى ممكن ، لأنهم يريدون أن يكون لكل حرف وظيفة محددة ولكل كلمة معنى محدد ، لأن اللغة المثالية هى التى ترتفع فيها نسبة الفضل بهدف الدقة ، وهذا هو السبب كما يقول كندراتوف « فى أن ملاح الطائرة الجوى وضباط الاتصال الأرضى يتحدثان لغة تعادل نسبة الحشو (أو المهمل) فيها ٩٦ ٪ من مجموع الكلمات ضماناً لتلافى أى خطأ مهما كان طفيفاً [3] »

ومن المجالات التى تحاول نظرية المعلومات أن تسهم فيها بنصيب من خلال اكتشافها لقيمة المهمل ، هو محاولة صوغ اللغة فى شفرات بحيث يمكن على سبيل المثال اختصار « عبارة الاستهلاك التى نبدأ بها الخطاب للتحية « سيدى العزيز » فهى تتألف من عشرة أحرف ، ويمكن صوغها فى إشارة واحدة كرمز لها [4] » ولا يخفى ما يمكن أن يترتب على ذلك من الدقة والاقتصاد فى الجهد والوقت ، وآفاق ذلك فى مجال الترجمة والترجمة الآلية ، وكتابة العلوم بلغة تشبه الرياضيات دقة لما يساعد على إحداث نقلة هائلة فى تبادل المعرفة بين البشر وتقدم

١- السابق نفس الصفحة .

٢ - فقه اللغة ص ١٦٨ / ١٦٩ .

١ - الأصوات والإشارات ص ٤١ .

٢ - الأصوات والإشارات ص ٤٢ .

العلوم من ناحية أخرى ، وثمة مجالات عديدة لتطبيق الفكرة لا داعى للخوض فيها .

وإذا عدنا إلى المجال اللغوى الصرف فإن نظرية المعلومات وهى تحاول التعرف على كمية المعلومات التى يحملهاالحرف المعين فى اللغة ، وبالتالى كمية المعلومات التى تحملها الكلمة فالجملة فالنص قد كشفت عن أن المعلومات أو الدلالة تتركز فى جذر الكلمة وبخاصةحروفها الأولى (1) ، وهذه النتيجة تعنى أن الحروف التى تتصدر الجذر هى أكثر حملاً للدلالة أو المعنى وعلى ذلك فحرف الراء وهو أكثر الحروف تردداً فى صدر الثلاثى ، وحرف العين وهو أكثر الحروف تردداً فى صدر الجذور الرباعية ، وحرف الكاف وهو أكثر الحروف تردداً فى صدر الجذور الخماسية هى أكثر الحروف حملاً للمعنى ، ويضاف إلى ذلك أن الحروف العشرة الكبار بوجه عام والذلاقة بوجه خاص أكثر تردداً فى نسيج الكلمة العربية وأكثرها وروداً فى الصدر هى أيضاً – فى ضوء هذه النتيجة – أعلى السلاسل حملاً لجرثومة المعنى فى الكلمة وهو ما يؤكد ما لاحظه البحث من أن حديث الخليل عن التشكيلات الصوتية فى البنية المعجمية ليس حديثاً خاصاً بالمبنى فحسب بل إن له قيمة على مستوى المعنى كذلك وهو ما تكشف عنه نظرية المعلومات من خلال معيار القياس الكمى للمعلومات فى اللغة على مستوى الحرف وعلى مستوى الكلمة وعلى مستوى الجملة وعلى مستوى النص .

فالمهمل فى مقابل المستعمل هو إذن شكل من أشكال التقابل اللغوى ، إذ بالمهمل تظهر قيمة المستعمل وتتحدد وظيفته فى اللغة ، وهذا التقابل على المستوى المعجمى قسيم لبقية التقابلات على مستوى الأصوات كالمجهور فى مقابل المهموس والحلقى فى مقابل الشفوى ، والمزفق فى مقابل المفخم الخ وقسيم للتقابلات على مستوى الصرف كالتقابل بين الاسم فى مقابل الفعل والحرف والجامد فى مقابل

---

1 –الأصوات والإشارات ص ٥٠ / ٥١ وهى النتيجة التى وصل إليها العلامة السوفيتى بيوتروفسكى وهو من علماء نظرية المعلومات .

المشتق والمفرد فى مقابل المثنى والجمع .. الخ وقسيم للتقابلات على مستوى النحو كالتقابل بين المسند والمسند إليه والتقابل بين المرفوع والمنصوب والمجرور والجملة الاسمية فى مقابل الفعلية ... الخ وقسيم كذلك للتقابلات فى النظام الدلالى كالدلالة الحقيقية فى مقابل المجازية ، وكالدلالة المركزية فى مقابلة الهامشية أو العرضية ، وكالدلالة المعجمية فى مقابل الدلالة الصرفية أو النحوية .. الخ .

أما البعد الثانى لفكرة المهمل والمستعمل الخليلية فتبرزه بعض التوظيفات اللغوية الحديثة التى اتكأت على الرياضيات فى التحليل اللغوى ، وأعنى فى هذا المقام المنهج التوليدى التحويلى ، ففكرة القدرة أو الإمكانية من جانب والأداء من جانب ثان عند تشومسكى فى إطار هذه النظرية يمكن اعتبارها على مستوى النظام اللغوى عامة والنحوى خاصة امتداداً لفكرة المهمل والمستعمل على مستوى المعجم . فالقدرة ملكة فطرية تمثل الكفاءة التى يمتلكها الإنسان والتى يستطيع بها أن يمتلك آلية اللغة ويستطيع أن ينشئ جملاً لا نهائية ، والأداء هو عملية اختيار الممكن أو الصحيح فقط مما تسمح به هذه الآلية الفطرية ، فهو من خلال القدرة يمتلك أصوات اللغة ونظامها ويمتلك معجمها ، ويمتلك كل إمكانات التنظيم اللغوى صرفياً ونحوياً لمادة اللغة ، ولكنه لا يوظف ولا يستعمل إلا الأنساق اللغوية المسموح بها والتى يمكن أن يفهمها أبناء اللغة ، ورغم كل الحرية التى يمتلكها فى بناء جمله وعباراته فهو محكوم بتوليد الصحيح فقط منها .

والقدرة عند تشومسكى ظاهرة فطرية موجودة عند كل بنى البشر وهم متساوون فى امتلاكها ، والأداء الذى هو ممارسة فعلية لهذه القدره لا يتجاوز حدود هذه القدرة بل يتحرك فى إطارها ، ومعجم اللغة أية لغة فيه نموذج من هذه القدرة أو الإمكانات التى تسمح بها اللغة فى مقابل الأداء أو المستعمل من هذا المسموح به ، والعجيب أن كل لغات البشر فى هذا الجانب تتحرك فى حدود من ٢٠ إلى ٣٠ ٪ وتهمل نحو ٧٠ إلى ٨٠ ٪ من إمكاناتها المعجمية ، أليس هذا

التطابق دليلاً على وجود حدود فطرية للقدرة على التوظيف اللغوى ، تشبه كل حدود القدرات البشرية على المستوى البدنى والعقلى والنفسى لهذا الكائن ، وما الغرابة فى ذلك أليس المعجم نظاماً من أنظمة اللغة وهو محكوم فى فلسفته العامه بما يحكم كل أنظمة اللغة الأخرى . فالمهمل والمستعمل على المستوى المعجمى إذن يقابل بشكل أو بآخر القدرة والأداء على مستوى الجملة أو النحو عند المحدثين .

وإذا كان الخليل قد عالج إشكالية المهمل والمستعمل بشكل ركّز فيه على المادة اللغوية ذات المعنى متمثلة فى المستعمل ، فقد كانت رؤيته أوسع وهو يقدم فكرة التقاليب إيماءً إلى وجود علاقة من نوع ما بعضها متعلق بالبنية الشكلية والآخر متعلق بالبنية الدلالية ، وهو الأمر الذى يمكن أن يجعل بعض التقاليب تتبادل الموقع التركيبى نظراً لهذا التقارب ، وربما تأخذ نفس السلوك اللغوى على المستوى النحوى ، وهو أمر يمكن أن يكشف عنه الدرس الحديث . وربط البنية المعجمية الشكلية بدلالتها يظهر فى إشارته إلى اختيار العربى طيفة معينة لدلالة تناسب الصيغة التى اختارها كاستخدام الصيغة المشددة لمناسبة المد فى مثل صرّ وصلّ وجعل الصيغة المضاعفة منها للترجيح مثل صرصر ، وصلصل ، وإن شاء العربى أعاد ذلك مرتين أو اكثر ليناسب بين الصوت وبين الموقف ، كما أشار الخليل إلى بعض الضوابط التى تحكم تحويل الحرف إلى اسم بإدخال التشديد على بنية الحرف ، فأشار فى عمله المعجمى إلى بعض العناصر التركيبية كالصحة والاعتدال والتضعيف والتنوين والحذف ، وهو ما عُدَّ غريباً فى سياق العمل المعجمى ، وفسره البحث على أنه حديث يدخل فى صميم النظرية المعجمية بوصف المعجم مستوى من مستويات التحليل اللغوى وخطوة تخدم الصرف والنحو ، وجاء عمل الخليل مراعياً للمبنى والمعنى معاً على حين جاءت النظرة اللغوية فى إطار النظرية التوليدية التحويلية قاصرة فأُعيد تعديلها لتتخذ من المعجم مدخلاً أساسياً لإجراءات التحليل وتحاول أن تبحث للمعنى عن حلول بعد أن أهمل فى مشروعات النظرية الأولى

وتجاهلته من قبلها النظرية الوصفية البنيوية ، على حين جاء عمل الخليل موطئاً للدرس الصرفى من جانب والنحوى من جانب آخر ، ويزعم هذا البحث أن النظرية النحوية العربية وهى على الأشهر من وضع الخليل وبصياغة سيبويه قد قامت على نفس الأسس الجوهرية التى قام عليها نظام المعجم وبخاصة فلسفة التقاليب التى حاولت حصر المادة المعجمية للكشف عن فلسفتها ، وأحسب أن بعض مقولات الصرف والنحو يمكن أن يستشف منها هذا المنحى المنهجى ، من ذلك حصر إمكانات الحالة الإعرابية فى الرفع والنصب والجر والجزم ولا شىء غير ذلك . وتقسيم الوظائف النحوية تبعاً لذلك إلى مرفوعات ومنصوبات ومجرورات ومجزومات ، وتقسيم التصنيف النحوى للأبواب وفق ذلك أيضاً باب المرفوعات ثم باب المنصوبات ثم باب المجرورات ثم باب المجزومات وقس على ذلك وفى الصرف كان نفس الأمر فالكلمة إما اسم أو فعل أو حرف ولا شىء غير ذلك ، وأبنية الفعل مثلاً إما مجرد وإما مزيد ، والمجرد مثلاً إما مجرد ثلاثى أو رباعى ، ومجرد ثلاثى باعتبار الماضى فَعَل فَعُل فَعِل ، وباعتبار الماضى مع المضارع الإمكانية الرياضية تعطينا ٩ صور المستعمل منها ست صور هى :

١	فَعَل يفعَل	فتح يفتح
٢	فَعَل يفعُل	نصر ينصر
٣	فَعَل يفعِل	ضرب يضرب
٤	فَعُل يفعُل	كرم يكرم
٥	فَعِل يفعَل	حسب يحسب
٦	فَعِل يفعِل	فطن يفطن

وبقية الصور مهملة وهى :

٧	فَعُل يفعَل :	ـــــــ
٨	فَعُل يفعِل :	ـــــــ
٩	فَعِل يفعُل :	ـــــــ

وفكرة الحصر أوالتقليب لمعرفة الإمكانات فى كل ذلك واضحة تشى ببصمة الفاعل وهو فى كل ذلك واحد هو الخليل ، وصرامة الإجراء ودقته فى المعجم هو نفسه ما نجده فى الصرف والنحو ، وكما لم يستطع أحدأن يعدل من نظرية الخليل فى العروض فإن أحداً فى ضوء هذا البحث لم يستطع أن يكشف سر البنية المعجمية كما فعل الخليل ، وكذلك فإن أحد لم يستطع أن يعدل شيئاً فى نظام النحو العربى منذ وضعه سيبويه لأن المفكر واحد والمنهج الرياضى الصارم فى هذه المستويات واحدأيضاً غير أننا فى حاجه إلى شىء من الجلد والجدية تقارب ما تحلى به إمام العربية لنكشف عن حقيقة المنهج فى النحو وأصوله وفلسفته ، وهو الأمر الذى يحتاج إلى أن يتوفر له نفر من جنود هذه اللغة المخلصين .

الفصل الخامس

الأساس الجذرى

ربما كان مناسباً أن أصف معالجة الخليل للأساس الرابع من أسس المنهج عنده بأنها رابطة العقد بين جميع الأسس ، ففى فلسفة الجذر تكمن أدق خصيصة معجمية تخضع لنا موسها الكلمة العربية ، وقد حاول المعجميون الخالفون للخليل أن يتحولوا عن الأسس الأخرى من حيث اعتبارها ركائز تصنيفية ، لا من حيث كونها أسساً منهجية لنظرية المعجم ، وبطبيعة الحال فإن الأخذ بهذا الأساس أو ذاك أو طرح بعض الأسس لا يكون على مستوى التصنيف القاموسى إلا صدى لمكانة الأساس من نظام اللغة المعجمى ، فقد تخلى ابن دريد عن الأساس الصوتى حين صنف الجمهرة ولا شك أن قيمة الأساس الصوتى على مستوى التصنيف تبدو عنصراً يمكن التخلى عنه بل يصبح طرحه على هذا المستوى أمراً مناسباً لدى المصنف ومفضلاً لدى شداة المعجم ، كم تخلى ابن فارس عن الأساسين الصوتى والتقليبى لأنهما عنصران مفضولان كذلك بعناصر أخرى فى التصنيف المعجمى أكثر يسراً ، وأجهز الجوهرى على الأساس الكمى ، لتصبح الأسس المطروحة من أسس النظرية المعجمية على مستوى التصنيف المعجمى ثلاثة أسس هى الأساس الصوتى والتقليبى والكمى . ولكن أحداً من علماء المعجم لم يستطع أن يطرح الأساس الجذرى سواء على مستوى النظرية كما سيظهر من تناول هذا الفصل أم على مستوى التطبيق كما يتجلى فى كل معاجمنا التى وصلتنا بعد الخليل وحتى أحدث المعاجم العربية، لم يستطع أن يتخلى أو يطرح الأساس الجذرى ، وما كان ذلك ليحدث إلا لأن هذا الأساس هو حجر الزاوية فى نظام المعجم ، فهو يمثل القاسم المشترك بين صور المادة اللغوية على مستوى الشكل ، والمحور الذى تدور حوله هذه الصور على مستوى الدلالة ، ففى فكرة الجذر تكمن الجرثومة اللغوية التى تحمل أظهر الخصائص التى تتميز بها الكلمة على المستوى المعجمى فى لغة العرب .

وكانت نصوص الخليل التى صرح بها فيما يتصل بهذا الأساس قليلة

بالقياس إلى ما ساقه متصلا بالأسس الأخرى ، غير أنها كانت واضحة دقيقة تحمل إلينا فكرة الجذر وتلقى بها إلى رحم الفكر اللغوى العربى فيُفرخ زرارى من النظريات اللغوية لا يخطئ المتأمل أن يلمح وشيجة القربى بين الأصل الخليلى وما تفرع عنه ، فمن فكرة الجذر نبتت فكرة أصل المشتقات عند الصرفيين ، وما انبثق عنها من نظرية الأصل والفرع عند النحاة ، ونظرية الاشتقاق عند اللغويين وبخاصة الأبناء الثلاثة ابن دريد وابن فارس وابن جنى ، ونظرية الأصل الثنائى أو الثلاثى للكلمة العربية ، ونظرية الأصل السامى المشترك ، وكلها يدور فى فلك نظرية الجذر الخليلية ، وكلٌ يرى فيما بنى عليه نظريته أساساً صلباً ، لا يكاد المرء يخالف أصحاب هذه النظرية أو تلك كلَّ المخالفة لأنك واجد لا مشاحة فى جانب من هذه أو تلك شيئاً من صواب مرده فى ظنى إلى ارتباطه بأساس لامراء فى سلامته وهو الأساس الجذرى .

ولعل من المناسب أن نرجع إلى نصوص الخليل لنفهم منه هذه الفكرة ، بعيداً عن كثير من الأسقاطات التى وظفت فيها عند من جاءوا بعده توظيفاً يخالف مراد الخليل . فبعد أن انتهى من حديثه عن الرباعى والخماسى ، وتأكيده على أن ليس للعرب بناء فى الأسماء ولا فى الأفعال أكثر من خمسة أحرف بدأ حديثه عن أقل مبنى للكلمة العربية فقال « الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف ، حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به الكلمة ، وحرف يوقف عليه ، فهذه ثلاثة أحرف مثل سعد وعمر ونحوهما من الأسماء . بدئ بالعين وحشيت الكلمة بالميم ووقف على الراء ، فأما زَيْد وكَيْد فالياء متعلقة لا يعتد بها .

فإذا صيرت الثنائى مثل (قد) و (هل) ، (لو) اسما أدخلت عليه التشديد فقلت هذه لَوٌّ مكتوبة ، وهذه قَدٌّ حسنة الكِتْبَة ، زدت واواً على واو ، ودالاً على دال ثم أدغمت وشددت ، فالتشديد علامة الإدغام ، والحرف الثالث كقول أبى زيد الطائى :

ليت شعرى ، وأين منى ليت إن ليتاً وإنَّ لـــــــــوّاً عناء

فشدد (لوّ) حين جعله اسماً :

قال ليث : قلت لأبى الدقيش : هل لك فى زبد ورطب ؟ .

فقال : أشدُّ الهلّ وأوحاه ، فشدد اللام حين جعله اسماً ، قال وقد تجيء أسماء لفظها على حرفين ، وتمامها ومعناها على ثلاثة أحرف مثل يد ودم وفم ، وإنما ذهب الثالث لعلة أنها جاءت سواكن وخلقتها السكون مثل ياء يَدَىْ ، وياء دَمَىْ فى آخر الكلمة ، فلما جاء التنوين ساكناً ، اجتمع ساكنا [1] فثبت التنوين لأنه إعراب وذهب الحرف الساكن ، فإذا أردت معرفتها فاطلبها فى الجمع والتصغير كقولهم أيديهم فى الجمع ، ويُدية فى التصغير ويوجد أيضاً فى الفعل كقولهم دميت يده ، فإذا ثنيت الفم قلت فموان كانت تلك الذاهبة من الفم الواو .

قال الخليل : بل الفم أصله فوه كما ترى والجمع أفواه ، والفعل فاه يفوه فوهاً إذا فتح فمه للكلام » .

فأما قوله فموان فإنه جعل الواو بدلاً من الذاهبة ، فإن الذاهبة هى هاء و واو ، وهما إلى جنب الفاء ودخلت الميم عوضاً منهما ، والواو فى « فموين » دخلت بالغلط ، وذلك أن الشاعر يرى ميماً قد أدخلت فى الكلمة فيرى أن الساقط من الفم هو بعد الميم فيدخل الواو وكان ما يظن أنه سقط ويغلط [2] » .

هذا هو النص الأساسى الذى بسط فيه الخليل رأيه فى الأصل الذى تكون عليه الكلمة فى العربية ، ومن هذا النص نفهم الأمور التاليه :

١ - ٢ - ١ : أن الكلمة العربية تأتى فى شكلها الأصلى على ثلاثة

---

١ - هكذا فى النصّ المحقق والصواب (ساكنان) ، ونص التهذيب « فلما جاء التنوين ساكنا لم يجتمع ساكنان فثبت التنوين لأنه إعراب » وهو كما ترى قد صحح النصّ عن الخليل . انظر التهذيب ١ / ٤٢ / ٤٣ و ع ١ / ٤٩ - ٥١ .

٢ - انظر ع ١ / ٤٩ - ٥١ و هـ : ١ / ٤٢ - ٤٣ .

أحرف ، هو ما عبر عنه الصرفيون فيما بعد بالفاء والعين واللام ، حرف يبتدأ به وهو الفاء ، وحرف يحشى به وهو العين وحرف يوقف عليه وهو اللام ، ومثّل لذلك بأمثلة من الاسم ، على اعتبار أن الاسم لا يكون قط أقل من ثلاثة ، على حين أن الفعل قد يتعرض بكثرة لشيء من التغيير بالحذف فيظهر على غير حقيقته مثل قُل وادعُ وقف .. الخ وإذا كانت الكلمة في العربية تظهر في صورتها الواقعية على هذا النحو الثلاثي ، فإن الأدوات التي ترد ثنائية إذا قُصد أن يسمى بها فلابد من بنائها على نحو ما يبنى الاسم ، أي على ثلاثة أحرف ، الأمر الذي يقتضي وضع حرف لتتحول من صورتها الثنائية القليلة في اللغة إلى الصورة الطبيعية الشائعة وهي الثلاثية وبزيادة هذا الحرف يتحول إلى اسم وتخضع بذلك لنا موس الكلمة العام في العربية . ومن ذلك تحويل لوْ إلى (لوّ) وهلْ إلى (هلّ) وقدْ إلى (قدّ) .

١ - ٢ - ٢ : أما الاسم الذي قد يرد على حرفين مثل دم ، وأب ، وفم فهو بالقطع ثلاثي حذف منه حرف وروده على هذا النحو يعني أمرين : أنها صور للاسم قليلة من جانب ، وخارجة عن النمط الأصلي الفعلي للكلمة في العربية من جانب ثان . وهذه القلة لهذا النوع من الكلمات التي تظهر ثنائية في اللغة مما يدعم أنها على غير الأصل وهي من الأمور التي تؤيدها الإحصاءات اللغوية كما سبقت الإشارة إذ إن الجذور الثنائية لا تتجاوز ٢٠ جذراً من بين ٩٢٩٣ جذراً هي مجموع جذور اللسان بنسبة ٠,٢١٥ ٪ على حين أن الجذور الثلاثية تبلغ وحدها ٦٥٣٨[1] ونسبتها إلى جملة الجذور ٧٠,٣٤٥ ٪ ، وهو ما يدعم نتيجة ما انتهى إليه الخليل من القول بثلاثية الكلمة العربية ، فمن الثلاثي يأتي جلُّ مفردات المعجم العربي عن طريق التصريف والاشتقاق ، إذن فكرة أن أصل الكلمة في العربية هو الثلاثي مقصود بها أن الثلاثي مصدر توليد المفردات الأساسي ، وليس

---

١ - راجع هذه الإحصاءات في الفصل الثالث من هذا البحث .

المقصود هنا – كما يعرض الباحثون كثيراً لفكرة الأصل – أصل النشأة أو الأصل التاريخي ، بل المصدر الفعلي الواقعي الذى منه تشتق كلمات اللغة ، أما قضية الأصل التاريخي فهي تدخل في إطار أصل النشأة اللغوية وهي من الموضوعات التي تعد من وجهة النظر العلمية الحديثة من قضايا ما وراء اللغة Metalanguage ، التي يخرجها المحققون من العلماء من دائرة البحث العلمي ؛ لكونها قضية لا يمكن البت فيها ، أو بحثها بحثاً علمياً .

أما الأصل بمعنى المصدر أو الجذر Root الذى منه تشتق الكلمات فالدرس الإحصائي يدعم رأى القائلين بثلاثية هذا الأصل في ضوء وجود أكثر من ٧٠ ٪ من كلمات اللغة ترجع إلى هذا النوع من الجذور . وهو ما ذهب إليه الخليل وتبعه جمهور الدراسين من العلماء حتى الآن .

١ – ٢ – ٣ : ويفهم كذلك من النصّ السابق أن الكلمات القليلة التي جاءت ثنائية وأصلها ثلاثي يمكن التعرف على المحذوف منها عن طريق عدد من الإجراءات كاللجوء للجمع مثل يدٌ وأيديهم ، أو التصغير مثل يُديّة أو الفعل مثل دم مع الفعل تكون دميت والتثنية مثل فم تكون فموان فيكون المحذوف واوا . وبهذا يكون الخليل قد أرسى دعامة ثانية في فهم حقيقة البنية اللغوية للكلمة من منطلق تقليبي كذلك وهي تصريف الكلمة على أوجهها المختلفة للتعرف على القاسم المشترك بين هذه الصور أو ما يعرف بالجذر ، إن هذا القاسم هو مجرد فكرة رياضية محايدة تتحدث عن ثلاثة أحرف في الغالب تحمل جرثومة المعنى دون أية إشارة إلى أية عناصر أخرى سواء متصلة بالزمان كما في الفعل أو الحدث كما في المصدر ، وعند التحقق الفعلي في صيغه ما تظهر هذه العناصر لتميز بين صيغة وأخرى ، أما التعرف على الجذر من خلال الإجراءات السابقة فقد ظل الوسيلة الوحْدة التي بها نعرف هذا القاسم فالـ : قاف والتاء واللام هي القاسم بين قَتَل وقتْل وقتال ، وقاتل ومقتول واقتتال وقتّلة .. الخ ، وهي فكرة لا تتحدث عن أصل

مفترض أو تخميني لا يمكن التحقق علمياً منه كتلك الأصول التى افترضها الصرفيون لأصل الألف المقصورة فى حبلى أو ألف التأنيث الممدودة فى صحراء وأضرابهما بل هو مجرد قاسم مشترك ، هو الرابط الشكلى والدلالى بين مجموعة من الكلمات التى يربطها هذا القاسم برابط واحد ، وقد جاء كلام الخليل فى هذا السياق ليمثل السهل الممتنع فلم ينزلق إلى جدلية الأصل والفرع ، وإنما تصور الجذر مجرد عُمُد تبنى منها الكلمة « حرف يبتدأ به وحرف يحشى به وحرف يوقف عليه » هذا هو جوهر الفكرة .

وإلى جانب هذا القاسم المشترك الذى أدركه الخليل لاحظ الصرفيون أساساً آخر تخضع له الكلمة أطلقوا عليه أصل الصيغة ، وقصدوا به البنى أو القوالب التجريدية التى يُصب فيها الجذر ، مثل صيغ فاعل مفعول فعول فعيل أفعال مفاعيل انفعل افتعل إلخ غير أن هذا الأصل الأخير (أصل الصيغة) هو أساس شكلى ، إذا أفاد أية دلالة فهى دلالة وظيفية Functianal meaning كدلالة المشاركة فى تفاعل مثل تقاتل أو الصيرورة فى استفعل مثل استنوق أو المطاوعة فى انفعل مثل انكسر الخ وهى لا تتحدد من تلقاء الصيغة بل منها ومن قرائن السياق الأخرى . فقد نجد مثلاً صيغة مثل (فَعْل) تفيد بعض أمثلتها الاشتراك بين الصفة وبين المصدر مثل : عَدْل ويحسم الأمر فى تحديد أى الدلالتين هى المقصودة باللجوء إلى قرائن السياق مثل :

هذا رجل عَدْل	صفة	
عدل القاضى يصون الحقوق	مصدر	وهلم جرا[1]

أما الجذر فليس أساساً شكلياً خالصاً ، إنه من جانب وحدة شكلية أولى تأتى منها بقية الصور ، وهو وحدة ذات قيمة دلالية أولية تمثل الحد الأدنى مما تشترك فيه هذه الصور فى المعنى . ويمكن أن نتعرف على هذه الوحدة الدلالية

١ – انظر : مناهج البحث فى اللغة ٢١٥ .

خارج السياق أقصد على المستوى المعجمى الخالص حين تعد مجرد مدخل معجمى Lexeme ولكن الجذر لا يصبح وحدة دلالية مستقلة Sememe إلا حين يدخل فى إطار كلمة معينة . ففى الجذر إذن تتمثل الخلية البيولوجية التى تصاغ منها الكلمة على المستوى المعجمى ، والعلاقة بين القاسم المشترك وهو الجذر من جانب وبين أصل الصيغة من جانب ثان هى علاقة تقاطع « فمثلها مثل العلاقة بين المخارج والصفات بالنسبة لأصول الحروف أو الأصوات Phoneme [1] » وقد شبه الأستاذ كانتينو Contuneau هذين الأصليين بالنسبة للكلمة العربية « بلحمة وسدى النسيج ، فكلما تداخلت اللحمة بالسدى تألفت مفردة جديدة قد تم صوغها من هاتين المادتين أى من أصل معروف (الجذر) ومن أوزان ومقاييس معينة (أصل الصيغة [2]) » وإذا لم يتألف هذان الأصلان ظهرت الفجوات المعجمية Lexical - gaps والتى تعنى أن الجذر لا يوجد منه كلمة على وزن ما ، فمثلاً الجذر (ق ر ء) يتألف مع فاعل فيظهر كلمة قارئ ، ولكنه لا يتألف مع (انفعل) فلا توجد فى اللغة كلمة من هذا الجذر على هذا الوزن وتلك هى الفجوة المعجمية أو الكلمة المهملة كما عبر الخليل .

تلك فكرة الجذر ، وهذا أثرها فى تشكيل بنية الكلمة العربية فهى المادة الخام أو العجينة التى تصنع منها الكلمة ويأتى أصل الصيغة ليمثل القالب الذى تصب فيه العجينة فتخرج الكلمة على هيئة معينة بدلالة معجمية عامة ، ويأتى السياق بشقية اللفظى والمقامى ليعين لها الدلالة أو المعنى المحدد الذى تلعبه فى الجملة أولاً وفى النص أخيراً .

٢ - ١ : ما سبق تناوله هو جوهر فكرةالجذر ، وقد تم بسطها مع الثلاثى خاصة لأن فيه كما سبق جل مادة المعجم العربى ، أما عن الرباعى من الجذور فقد

---

١ - الأصول : ١٢٤ .

٢ - الألسنية العربية ١ / ١١٦ .

سبق التنبيه إلى إشارة الخليل من أن العرب تبنى كلمات من أصول أربعة منها ما هو أسماء نحو عبقر وعقرب وجندب ، ومنها أفعال مثل دحرج وهملج وقرطس (١) ، وهى مادة فى اللغة ليست قليلة فهى تمثل نحو ٢٧,٥ ٪ (٢) ، وإذا كنا وجدنا من يذهب إلى القول بثنائية الأصل وتبين أنها مقولة لا يدعمها الواقع اللغوى فإننا وجدنا من اللغويين من يذهب إلى القول بأن أكثر ما زاد على ثلاثة من الكلمات فهو زائد : فدحرج من دحر وعقرب من عقر ، ودملج من دمج ، وشقلب من قلب ، وبلعوم من بلع وصلدم من صلد .. الخ (٣) . غير أن النظر المحقق فى المادة العربية مثلاً لابد أن ينتهى إلى القول بغير ذلك وسيرى أن هناك رباعياً وضعته العرب أو بنته فى الأصل على أربعة أحرف ، وحتى ابن فارس نفسه أكثر المولعين برد الرباعى إلى أصول ثلاثة لا ينكر وجود هذا الرباعى فى أصل الوضع فيقول ، وهناك ضرب آخر : « موضوع وضعاً لا مجال له فى طرق القياس (٤) » وهو لا يمثل لهذا النوع الأخير لأنه بالطبع الأشهر والأكثر اطراداً ، وليس بحاجة إلى تمثيل لأنه معلوم مشهور ، وإنما ركز على أمثلة الرباعى ذى الأصل الثلاثى – حسب اعتقاده – ليبين لنا ما فيها من ضروب الزيادة (٥) .

وهذا فرق بين ابن فارس الذى يضع قانوناً لأمثلة قليلة يمكن ردها – عنده – إلى أصول ثلاثية ، وبين الخليل الذى سجل الظاهرة العامة فى اللغة والتى تدعم كون المادة العربية تظهر نوعاً من مبانى العربية وضعته العرب على أربعة أحرف . دون أن يقف أمام تلك الأمثلة التى استوقفت ابن فارس وغيره ، وأغلب الظن عندى أن منهج الخليل الوصفى الذى يعتمد على الواقع الفعلى لمادة اللغة من جانب

---

١ – انظر : ع ١ / ٤٨ .

٢ – راجع إحصاءات اللسان صـ ٢٩ .

٣ – انظر المقاييس ١ / ٣٢٩ .

٤ – انظر السابق نفس الصفحة .

٥ – انظر فقة اللغة لصبحى الصالح ٢٤٧ .

والذى يقوم على أساس النظرة الشمولية لهذه المادة هو الذى دعاه إلى عدم الالتفات إلى افتراض أصول ثلاثية تخمينية فى حاجة إلى تعديل المنهج ، واللجوء إلى منهج تاريخى للتحقق من سلامة هذه الفرضية ، علماً بأنها فرضية يمكن أن تفسر أمثلة قليلة ، وهو معنىٌّ بالظواهر العامة والكلية من خلال نظرتة الشمولية التى أشار إليها البحث فى ثنايا المعالجة العلمية لكل الخطوات السابقة .

خلاصة القول إذن أن هناك كلمات مأخوذة من جذور ذات حروف أربعة أصلية تمثل قرابة ثلث جذور العربية ، ووجود مبانٍ عربية رباعية الأصل ليست شذوذاً يدفعنا إلى البحث عن أصل ثنائى أو ثلاثى لنردها إليه . فثمة لغات فيها كلمات أصول مكونة من حرف واحد مثل (I) فى الانجليزية ، وهناك كلمات أصول مكونة من أكثر من سبعة أحرف فى لغات أخرى [1] ، فوجود جذور رباعية فى العربية ظاهرة لغوية طبيعية من جانب ويدعمها الواقع من جانب ثان وهو ما سجله الخليل بسلاسة ووضوح ولم يلتفت إلى ما يمكن أن يعد نتوءات أو خروجاً عن سنن اللغة العام من أمثلة أثارت فضول غيره من العلماء .

٣ – ١ : أما عن الخماسى خاصة فهو فى حاجة إلى وقفة لنتعرف رأى الخليل بوضوح ، ونحاول فهم الفلسفة التى يتكئ عليها . فقد صرح الخليل بأن العرب تبنى كلامها على أربعة أصناف منها الخماسى ومثل لذلك فقال « والخماسى من الأفعال نحو اسحنكك واقشعرّ واسحنقر واسبكر مبنى على خمسة أحرف .

ومن الأسماء نحو : سفرجل وهمرجل وشمردل وكنهبل وقرعبل وعقنقل وقبعثر وشبهه [2] » وقال بعد ذلك مباشرة .

والألف التى فى اسحنكك ، واقشعر، واسحنفر ، وا سبكر ليست من أصل البناء وإنما أدخلت هذه الألفات فى الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عماداً

١ – انظر : الأصوات والإشارات صـ ٣٩ .

٢ – انظر : ع : ١ / ٤٨ .

عماداً وسلماً للسان إلى حرف البناء لأن اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف فيحتاج إلى ألف الوصل . ثم أضاف بعد ذلك قائلاً : قال الخليل : وليس للعرب بناء فى الأسماء ولا فى الأفعال أكثر من خمسة أحرف فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف فى فِعْل أو اسم فاعلم أنها زائدة على البناء ، وليست من أصل الكلمة مثل قرعبلانة إنما أصل بنائها قَرَعْبَلَ ومثل عنكبوت إنما أصلُ بنائها عنكَب (1) » .

وكلام الخليل هنا كلام يحتاج إلى إعمال نظر حتى لا نحمله فوق ما يحتمل ، ويحسن ابتداءً أن نفرق بين عدة منطلقات فى النصّ السابق .

٣ – ٢ : المنطلق الأول : منطلق الجذر . والخليل مطرد فى كون الكلمة العربية لا تكون أكثر من خمسة أحرف لا فى الاسم ولا فى الفعل . وهذا يعنى أن هناك جذوراً ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ، ولا يستطيع أحد أن يجادل فى هذه الحقيقة العلمية بالنسبة للكلمة العربية بصرف النظر عن مفهوم الاسم ومفهوم الفعل .

٣ – ٢ : المنطلق الثانى : أمثلة المبانى الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية ، وهى أمثلة ساقها الخليل ليبين أن هناك كلمات لا جذوراً بنتها العرب من أصول صامته Consonant من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة ، والنوع الأول كلُّه حروف وأدوات ، أما الاسم والفعل فلا يكون على مستوى بنيته الصوتية لا الصرفية الا منسوجاً من ثلاثة على الأقل وخمسة على الأكثر فى الاسم والفعل على سواء . وهو هنا يقصد الكلمات لا الجذور . وإلا فإنه لا يوجد فى النصّ ما يفيد مخالفة الجمهور – على المستوى الصرفى – فى القول بخماسية الفعل ، لأن سيبويه يقول : بنات الخمسة لا تكون فى الفعل البتة (2) » وكما هو

---

١ – السابق : ١ / ٤٩ .

٢ – انظر الكتاب ٢ / ٣١٠ .

معروف فإن سيبويه هو لسان الخليل فى مسائل الصرف والنحو . فأمثلة الخليل للأفعال الخماسية اسحنكك واسحنفر واسبكرّ واقشعر هى أمثلة لكلمات (أو أفعال خماسية) من حيث بنيتها الصوتية لا الصرفية . وهى كذلك بالفعل .

٣ - ٣ : المنطلق الثالث : هو فكرة الزيادة والأصل . النظر فى الأمثلة السابقة التى أوردها الخليل يُؤكد أن هناك صوتاً جاء فى أول الفعل ليس من بنية الفعل الصوتية وهو الألف الأمر الذى اقتضى من الخليل أن يفسر سبب مجىء هذا الصوت وهو أنه أتى به حتى يتمكن الناطق من إخراج الصوت الساكن فى أول الكلمة ، فهو سلّم النطق وليس من أصل البنية الصوتية الفعلية للكلمة الخماسية . وهو هنا لا يقصد مطلقاً فكرة الزيادة الصرفية ولم يصرح بذلك بدليل :

- أن النون الثالثة الساكنة وبعدها حرفان صحيحان فى اسحنكك واسحنفر هى حرف زائد كذلك (١) وليس معقولاً أن يشير إلى الألف كحرف زائد وينسى النون .

- أنه حين ذكر أمثله الأسماء الخماسية ذكر عقنقل والنون فى هذا الاسم زائدة لا مشاحة ولم يشر لشىء من ذلك أيضاً . فهو لا يقصد الزيادة الصرفية ولا يتكلم أصلاً عن البنية الصرفية لا فى الفعل ولا فى الاسم كذلك .

- أنه أشار إلى خماسية اقشعّرو اسبكرّ بعد طرح الألف التى هى مجرد سلم للنطق ، وفسّر لنا أن الراء مدغمة فقال « اعلم أن الراء فى اقشعّر واسبكرّ هما راءان أدغمت واحدة فى الأخرى والتشديد علامة الإدغام (٢) » .

وليس فى النصّ أية إشارة إلى زيادة صرفية ، وليس الخليل يجهل أن اقشعر

١ - انظر السابق : ٢ / ٣٥١ وانظر الخصائص ١ / ٣٦٣ ، وانظر أمالى ابن الشجرى ١ / ٢٣١ وانظر شرح المفصل ٩ / ١٥٤ / ١٥٥ وانظر شذ العرف ١٤٠ / ١٤١ . وانظر المغنى فى تصريف الأفعال ٨٧ وشرح الشافية جـ ١ صـ ٩ .

٢ - ع : ١ / ٤٩ .

رباعى على المستوى الصرفى ، وإنما أشار إلا أن التضعيف هو العلة فى القول بأن البنية الصوتية لكلمة اقشعرّ خماسية .

مما سبق يتبين أن ثمة فرقاً بين فكرة وجود جذور خماسية فى اللغة العربية ولا سبيل إلى إنكار ذلك ، وبين تحقق ذلك فى الفعل والاسم معاً ولم يتعرض الخليل لشىء من ذلك وإنما انصبّ حديث الخليل على كلمات من أفعال كاسحنكك وأخواتها خماسية وأسماء لعقنقل وأخواتها خماسية كذلك على مستوى البنية الصوتية لا الصرفية ، ولم يكن يقصد بحال عند حديثه عن الألف فى أول الأفعال الخماسية التى مثل بها أو عن راء اقشعر مفهوم الزيادة الصرفية ، لأنه يقدم لنا البنية الصوتية المنطوقة للكلمة ، وليس بصدد الحديث عن البنية الصرفية لها ولا ما يتعلق بذلك من الأصلى والزائد . فى ضوء هذا الفهم لنص الخليل فلا وجه لا عتراض الدكتور حسين نصار على الليث حين قال : ويبدو أن الليث لم يحسن فهم الخليل فى هذه المسألة فقد شرح الخليل له أن ألف الوصل مزيدة ليعتمد عليها اللسان فى النطق بالساكن ، والراء المضعفة راءان لا واحدة ، فاعتقد أن الراءين أصليتان وحكم على الكلمتين بأنهما خماسيتان ، ولما كانت الكلمتان فعلين حكم الليث بوجود أفعال خماسية ، وهذه الغلطة الكبرى » ... ولهذا يجب أن نتنبه إلى خطأ هذا الرأى فيما سيقابلنا من أقوال الليث [1] » .

ناقش الدكتور نصار الألف على أساس فكرة الزيادة وجاء بلفظ مزيدة ، والخليل لم يتكلم عن الألف من زاوية الزيادة وعدمها وإنما من زاوية الوظيفة التى من أجلها جىء [2] بها ، وتجاهل حروف الزيادة الحقيقية وهى النون فى الأمثلة ،

---

١ – المعجم العربى : ١ / ٢٢٩ .

٢ – وهذا الذى أفهمه هو ما فهمه كذلك محققا العين حين قدما الكتاب : « أقول : لم يرد الخليل بقوله : « والألف التى فى اسحنكك .... ليست من أصل البناء » إنها من أحرف الزيادة فقد كان بوسعه أن يصرح بذلك ، وإنما أراد أنها وسيلة لإخراج الصوت ... مقدمة العين صـ ١١ .

والتى لم يتحدث عنها الخليل مطلقاً وهو ما يعنى أنه ليس بسبيل الحديث عن زيادة وأصالة وإنما هو يتكلم عن بنية الكلمة الخماسية الصوتية فى الفعل والاسم ، ولم يقع الليث فى أية غلطات لأن أمثلة الخليل على هذا المستوى خماسية الاسم منها والفعل على سواء . فالدكتور نصار فهم نصّ الخليل على غير الوجه الذى قصده ، وتصور أن الخليل يتكلم عن حروف الزيادة فى اسحنكك واسحنفر واقشعّر واسبكر ، وما أراد الخليل من هذا النص مطلقاً أىّ حديث عن الزيادة الصرفية فى هذه الأفعال ، ولهذا تجاهل الدكتور نصار مناقشة حقيقة النون فى الأفعال والأسماء الخماسية فى نص العين والتهذيب ولو تعرض لذلك أو فكر فيه لتبين له أن توجيه النص الخليلى على نحو ما فهم سيادته قد جانبه الصواب .

٤ — ١ : الجذر كما يظهر من الصفحات السابقة هو القاسم المشترك بين الصور المختلفة المتولدة عنه عن طريق نظام الاشتقاق فى اللغة . وإذا كان الاشتقاق الأصغر هو أشهر أنواع الاشتقاق ، فإنه يدخل فى إطار المعالجة الصرفية الخالصة ، أما بقية الأنواع فهى تدخل فى صميم فلسفة اللغة فى صوغ كلماتها على مستوى البنية المعجمية ، الأمر الذى لم يفت حاسة الخليل اللغوية ، فراح يرصد ظواهر الاشتقاق المختلفة فى المادة العربية ، وكانت التفاتاته إرهاصاً مبكراً أوحى إلى خالفيه بالنظر فى إيماءاته العجلى ، كأنه فى هذه المسائل يقول لتلاميذه انحوا هذا النحو . أما مدى سلامة ما سجله ودقه ما لا حظه فأمر أتركه للصفحات التالية ليستبين لنا الفرق بين ما صنع الخليل وما فعل خالفوه .

٤ — ٢ : أما أول ظواهر الاشتقاق التى أشار إليها فهى ظاهرة النحت ، فقد لاحظ الخليل أن بعض الكلمات فى اللغة تأتى مشتقة من كلمتين مستقلتين يقول الخليل : إن العين لا تأتلف مع الحاء فى كلمة واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل « حى على » كقول الشاعر .

إلا رب طيف بات منك معانقى إلى أن دعا الداعى الفلاح فحيعلا

يريد قال : « حي على الفلاح » أو كما قال الآخر

فبات خيال طيفك لي عنيقا ... إلى أن حيعل الداعي الفلاحا

أو كما قال الثالث :

أقول لها ودمع العين جار ... ألـم يحزنك حيعلة المنادى

فهذه كلـمة جمعت من (حيّ) ومن (على) وتقول منه « حيعل يحيعل حيعلة ، وتعبقس ، ورجل عبشمي ، إن كان من عبد شمس أو عبد قيس ، فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً قال :

وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لم تر قبلي أسيراً يمانيا

نسبها إلى عبد شمس ، فأخذ العين والباء من (عبد) وأخذ الشين والميم من (شمس)وأسقط الدال والسين ، فبنى من الكلمتين كلمة فهذا من النحت فهذا من الحجة في قولهم : حيعلة حيعلة ، فإنها مأخوذة من كلمتين (حَيّ على .... [1] » .

من نصّ الخليل السابق يتبين لنا الأمور التالية :

- أنه يرى أن ظاهرة النحت موجودة في اللغة ، وهي شكل من أشكال الاشتقاق يتم بـه توليد كلمة من كلمتين مثل حيعل وعبشيم وعبقس ومـا تصرف منها[2] .
- حديث الخليل عن هذه الظاهرة جاء عرضاً في سياق التطبيق أي في متن المعجم ، وليس في التأسيس النظري [3] ، مما يعني أنه يعالجها على أنها ظاهرة ليست شائعة ولا تمثل قانوناً لغوياً عاماً مطرداً ، ولـو كان كذلك لجاء بها في مقام التنظير والتقعيد ، مما يفهم منه أنها أمثله تسجل ويلتفت إليها فحسب .

١ – انظر ١ / ٦٠ / ٦١ و هـ : ١ / ٥٥ . وانظر كذلك ع ٣ / ٥ .

٢ – انظر بسطاً لامثلته وأشكاله في المزهر ١ / ٤٨٢ وفي عرض أستاذنا الدكتور أنيس لظاهرة النحت في كتابه من أسرار اللغة صـ ٨٨ .

٣ – ع ١ / ٦٠ / ٦١ وقد ساق الظاهرة في كتاب العين باب الثنائي المضاعف .

- مما سبق يتبين أن الخليل لم يذهب إلى القول بأن أغلب الرباعى والخماسى منحوت كما ذهب ابن فارس وآخرون . بل إن الرباعى والخماسى بناءان أصليان وضعتهما العرب واستعملتهما على نحو ما رصد ذلك فى سياق التأسيس المجمل الذى يمثل رأيه فى الظواهر العامة .
- وما ذهب إليه الخليل هو ما يتفق وحجم أمثله النحت القليلة فى اللغة بوجه عام (1) ، دون أن يكون فى ذلك أى تهوين من قيمة هذه الآلية من آليات الاشتقاق ، أو التهويل والمبالغة فى أثرها فى المادة العربية كذلك (2) . فهى شكل من الاشتقاق أمدّ اللغة قديماً بمادة عربية تصور نزعة لغوية إلى باب من الاقتصاد فى المبنى يعرف عند المحدثين بـ الـ Haphology أو الاختصار ، وهو موجود فى العربية وفى سواها قديماً وحديثاً .

أما من جاءوا بعد الخليل فهم فريقان فى معالجة الظاهرة :

فريق تبع الخليل ونظر للظاهرة على أنها من الظواهر الموجودة فى اللغة ، ولكنها ليست من الكثرة والاضطراد بحيث يقعّد لها أو يفرد لها باب مستقل ،

1 - أوصل ابن فارس أمثلة النحت إلى أكثر من ثلاثمائة كلمة ، وقام آخرون بإحصاءات الكلمات المنحوتة فى اللغة قديماً فبلغت عند بعضهم بضعاً وثمانين كلمة وعند آخرين نحو ستين كلمة ، ولم تتجاوز عند البعض بضع عشرات من الكلمات : انظر المقاييس 1 / 331 والصاحبى 461 ، والخصائص 1 / 537 وما بعدها ، وفقه اللغة للثعالبى 578 والمزهر 1 / 482 ، والاشتقاق لعبد الله أمين 431 ، وفقه اللغة لصبحى الصالح 244 / 260 .

2 - بعض المحدثين يعوّل على النحت كثيراً فى صياغة المصطلحات العلمية الحديثة ، دون أن يتلفت إلى أن العلميين العرب قديماً لم يلجئوا إلى ظاهرة النحت فى صوغ مصطلحاتهم ، ففى معالجتى لمصطلحات الطب عند الرازى وشملت نحو 1500 مصطلح طبى لم يقابلنى مثال واحد للنحت وهو ما يعنى أنهم عوّلوا على وسائل لغوية أخرى غير النحت . انظر دراسة لغة الطب عند الرازى كما تبدو فى كتاب الحاوى - رسالة ماجستير مخطوطة بدار العلوم سنة 1979 م . صـ 35 .

وعلى هذا النحو جاء حديث سيبويه عن النحت عرضاً في مواضع مختلفة ففي سياق النسب إلى المركب قال : « وقد يجعلون للنسب في الإضافة اسماً بمنزلة - جعفر) ويجعلون فيه من حروف الأول والآخر ، ولا يخرجه من حروفهما ليعرف ، كما قالوا : سبَطْر (بكسر السين وفتح الباء وسكون الهاء) فجعلوا فيه من حروف السبط إذا كان المعنى واحداً .. فمن ذلك عبشمي وعبدري وليس هذا بالقياس [1] » وهو ما يعني أنه ينظر إلى النحت على أنه ظاهرة غير مطردة وغير شائعة كذلك كما ذهب أستاذه ، ومن هذا الفريق صناع المعاجم فقد سجلوا الظاهرة ونسبوها للخليل .

أما الفريق الثاني : وعلى رأسه ابن فارس وابن جني ، والأول خاصة ذهب إلى أن ما زاد على ثلاثة أحرف فأكثره منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد « ضبطر » من « ضبط و ضبر » وفي قولهم « صهصلق » إنه من « صهل » و صلق » ، وفي الصِّلدم إنه من « الصلد » والصدم [2] » وذكر مثال الخليل « حيعل » ونسبه إليه مؤكداً أنه أول من قال بذلك [3] ، وبالطبع فإن الزعم بأن أكثر ما زاد على

١ – انظر الكتاب ٣ / ٣٧٦ .

٢ – انظر المقاييس ١ / ٣٢١ والصاحبي ٤٦١ ، وفقه اللغة ٥٧٨ والمزهر ١ / ٤٨٢ .

٣ – ذكر الدكتور صبحي الصالح أن ابن فارس حين استشعر في لفظ الحيعلة مولداً إسلامياً ما عرفه فصحاء العرب في الجاهلية فكيف يكون أصلاً في هذا الضرب من الاشتقاق الذي لم يشع في لسان العرب كثيراً ؟ فليحتجَّ إذن بشاهد فصيح على النحت لا يسع أحداً إنكاره ، وليذكر العلماء بنوع من النحت كان العرب الأقحاح يتفقون عليه ولينشد فيه بيتا للشاعر الجاهلي عبد يغوث بن وقاص الحارثي وليقل مطمئناً إلى صواب رأيه : « ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم : « عبشمي » وقوله : [و] تضحك مني شيخه عبشمية ، ويعلق على قول ابن فارس : سيتضح لك من نقل عبارة ابن فارس أنه لم يذكر اسم هذا الشاعر الجاهلي ولم يورد البيت كاملاً بل اكتفى بصدره لأن فيه موطن الاستشهاد ، وتجد تتمه البيت مع اسم الشاعر في (المفضليات ١ / ١٥٣ : والحقيقية أن ابن فارس لم يحتج بهذا الشاهد لتأكيد أصاله الظاهرة عند العرب الأقحاح لأن الذي استشهد بالبيت كاملاً هو الخليل انظر ع ١ / ٦١ ، والظاهرة يقرِّبها اللغويون وابن فارس إنما يردد ما سبق أن قاله الخليل ، ولكن شتان بين توظيف السابق واللاحق .

ثلاثة فهو منحوت هو من قبيل التعميم العلمى الذى هو أقرب إلى الظن والتخمين منه إلى الحقيقة العلمية (1) ، وشتان بين رأى الخليل الذى يرصد الظاهرة دون تزيد أو غلوّ ، ويضعها فى حجمها من ظواهر اللغة المختلفة التى تبرز وتحتاج إلى تفسير ولكنها لا ترقى إلى مستوى الظواهر العامة المطردة التى يقعد لها .

٥ – تقاليب الخليل و الاشتقاق الأكبر (القلب اللغوى) :

فى الفصل الثالث من هذا البحث عولجت فكرة التقاليب على اعتبار أنها فكرة رياضية لحصر مادة المعجم العربى حصراً يعين على فهم فلسفتها العامة ، غير أن هذا الحصر عند الخليل لم يكن مجرد سرد عددى ، بل كان حصراً خاضعاً لنظامية معينة قادرة على أن تكشف عن علاقات الكلمات بعضها ببعض ، وإذا كان الخليل نفسه لم يمط اللثام عن غايته من ذلك العرض الخاص للمادة اللغوية ، فإن كثيراً من الدارسين لم يجدوا أى عسر فى تفسير معالجات ابن دريد وابن فارس وابن جنى لفكرة القلب اللغوى على أنها مستوحاة بطريقة أو بأخرى من آلية التقاليب الخليلية (2) ، دو أن يكون الخليل نفسه مسئولا عن ما شاب هذه المعالجات من اعتساف وتكلف .

فالخليل كان يجمع مقلوبات الكلمة كلها فى موضع واحد ، فكلمة كتب مثلاً وجميع مقلوباتها الأخرى كبت ، وتكب تبك ، بكت بتك ، تجىء كلها فى موضع واحد هو كتاب الكاف إذ هى أسبق الأصول الثلاثة فى الترتيب المخرجى الخليلى يليها التاء يليها الباء ، وتأتى الصور الخمسة تحت التقليب كتب من كتاب الكاف باب الثلاثى الصحيح ، ودحرج نجدها فى كتاب الحاء تقليب حجدر باب

1 – انظر المباحث اللغوية صـ ٨٦ .

2 – ذهب إلى ذلك الدكاترة وافى وأنيس وصبحى الصالح ورمضان عبد التواب وعبده الراجحى ، انظر فقه اللغة – صـ ١٨٣ – ٢٨٣ ، ومن أسرار اللغة صـ ٦٦ ، ودراسات فى فقة اللغة صـ ١٨٨ وفى أصول فقة اللغة صـ ٢٩٦ / ٢٩٧ وفقه اللغة فى الكتب العربية صـ ١٦٤ / ١٦٥ .

الرباعى وهكذا واجتماع الصور المختلفة للأصل الواحد فى موضع معاً هو الذى أعان على إدراك القرابة الدلالية بين هذه المقلوبات فأوحى إلى الأبناء الثلاثة بنظريتهم فى الأصل الدلالى المشترك بين مقلوبات الكلمة .

وقد سبق القول عند عرض تقاليب الكلمة إلى أن الكلمة الرباعية تظهر فيها صور متقاربة فى الشكل على النحو التالى :

- ١٢ زوجاً من الكلمات يشترك كل زوج فى الحرفين الأولين ويتبادل الحرفان الباقيان المواقع مثل دحرج ودحجر ، عقرب وعقبر .. الخ وهذا التقارب كثيراً ما يترتب عليه تقارب فى الدلالة .
- يظهر من مقلوبات الكلمة الرباعية فى مجموعات كل منها ٦ كلمات تبدأ كلها بحرف معين وتتبادل الحروف الثلاثة الأخرى المواقع مثل : دحرج دحجر ، درجح درحج ، وحجر وجرح ويمكن كذلك أن يكون بين هذه المقلوبات قرابه كتلك القرابة الدلالية بين رهسم ورهمس ، رنجس ونُرجس ونظائرهما [1] .

أما عن الجذور الخماسية فإن أشكال التقارب كثيرة بشكل ظاهر ولافت للنظر فهناك من بين التقاليب المائة والعشرين التى يظهرها نظام تقاليب الكلمة الخماسية يظهر لنا المتماثلات التالية :

- ٦٠ زوجاً من الكلمات يشترك كل زوج فى ثلاثة الأحرف الأولى وذلك نحو سفرجل وسفرلج ، زبرجد وزبردج الخ .
- يوجد عشرون مجموعة كل مجموعة مكونة من ٦ كلمات تشترك فى الحرفين الأولين مثل سفرجل سفرلج سفلرج سفلجر سفجلر سفجرل . وهكذا .

---

١ – انظر الاشتقاق لعبد الله أمين صـ ٣٨٧ ، وفى التطور اللغوى صـ ٥٩ .

– يوجد خمس مجموعات كل مجموعة مكون من ٢٤ صورة تشترك في الحرف الأول وتتبادل الحروف الباقية [1] ، ومن ذلك في اللهجات العربية بطرمان وبرطمان ، كبرزة وكزبرة وقد يوجد تقارب دلالي بين هذه الصورة وهو أمر محتمل ، حتى مع تلك الصور من الكلمات التي ليست من المتماثلات السابقة ، وإنما من مقلوبات الكلمة عامة مثل عربون ورعبون جنزبيل وزنجبيل وأمثالها [2] » .

ونظام التقاليب الخليلي هو الذي وقفنا عن قصد أو عن غير قصد على هذا التقارب في المباني وما ترتب عليه من تطابق أو تقارب في المعاني ، وتبعاً لذلك فتح الباب لنظرية الأصل الدلالي المشترك بين مقلوبات الكلمة .

وإذا كان هناك بعض الأمثلة التي تدعم القول بوجود تقارب بين بعض الصور فإن هذا لا يعطي لأنصار هذا الاتجاه الحق في دعواهم العريضة التي تجمع المقلوبات المختلفة معاً وترجعها إلى أصل مشترك في المعنى ، وبالرغم من ذلك الانضباط في نظام التقاليب وما يمكن أن نستثمره في التعرف على الاشتراك الدلالي الحقيقي ، فإن الغلوّ والتكلف هو الذي أفسد هذه القضية حتى ضاعت الحقيقة ، ولعل ما قاله مييه عن نظائر هذه الأبحاث التي قام بها الأبناء الثلاثة في باب القلب هو أقرب إلى الواقع حيث وصفها بأنها « من بين أبحاث علم اللسان كافة أدقها وأقلها يقيناً ومن ثم كثر فيها عبث الهواة [3] » ، ولعل هذا العبث أو الغلو هو الذي دفع بعض الباحثين إلى اتخاذ موقف الرفض أو التشكك من هذه الجهود واعتبارها مجرد « تخيلات وتأملات تشبه أحلام اليقظة عند رجل (يقصد ابن جني) اشتد ولعه وإعجابه باللغة العربية فتصور فيها ما ليس فيها ، فأضفى عليها من مظاهر

---

١ – انظر تقاليب سفرجل في الفصل الثالث من هذا البحث .

٢ – انظر التطور اللغوي صـ ٥٩ .

٣ – منهج البحث في الأدب واللغة صـ ١٠٨ .

السحر ما لا يصح فى الأذهان ، ولا تتصف به لغة من لغات البشر [1] » .

والذى يطمئن إليه البحث فى هذه المسألة هو أن كثيراً من المقلوبات وبخاصة تلك الثنائيات التى تشترك فى ٥٠ ٪ من الحروف مثل عقرب وعقبر أو ٦٠ ٪ مثل زبرجد وزبردج يمكن أن يوجد بينها تقارب فى الدلالة . وهذا مجرد احتمال يحتاج دراسة واقعية للمادة وإنكار ذلك جملة ينافى روح اللغة وواقعها ؛ ولكن الغلو والإسراف هو العيب الجوهرى الذى شاب معالجة القدماء للظاهرة ، أما أنها تتكىء على مادة حقيقة فهذا ما لا يسع المنصف إنكاره . فأمثلة القديم والحديث تؤكد هذا التقارب فى مثل جبد وجذب، وفحر وحفر ،حمد [2] ومدح وهو باب واسع لا مشاحة وتبقى فكرة التقاليب الخليلية هى الآلية المنهجية القادرة على جعل فحص المادة اللغوية إمكانية متاحة للتأكد من هذه القرابة بين بعض المقلوبات أو نفى ذلك .

٦ — يأتى الإبدال اللغوى Rood modifcation بوصفه شكلاً من أشكال التغيير الذى يطرأ على الكلمة يقارب القلب غير أنه فى حال الإبدال يكون بتغيير حرف من حروف الكلمة الأصلية مع الاحتفاظ بالمعنى الأساسى كلياً أو جزئياً ، وهو باب واسع فى اللغة احتفى به اللغويون ومن أمثلته الشائعة أزوهز ، نعق ونهق ، ثلم وثلب ، فإذا كان القلب تغييراً مكانياً لحرف من الحروف من الحروف الأصلية ، فإن الإبدال يتم فيه استبدال حرف بحرف آخر ، ويكون بين المستبدل والمستبدل منه قرابة صوتية تسمح بذلك ، ويضع الباحثون ضوابط دقيقة تحكم هذا الإبدال [3] .

ويأتى الخليل أيضاً رائداً فى ملاحظة هذه الظواهر فى المادة التى يعالجها ،

---

١ — من أسرار اللغة صـ ٦٧ .

٢ — وقد ساق السيوطى نحو مائة مثال — انظر المزهر ١ / ٤٧٦ .

٣ — انظر سر صناعة الاعراب ١ / ١٩٧ — والتطور النحوى صـ ٢٨ ، وفى التطور اللغوى صـ ٢٣ .

غير أن تناوله لها يختلف عن تناول خالفيه كذلك ، فقد اكتفى الرجل بوصف الظاهرة دون أن يفسر لنا القانون الذى يحكم هذا الشكل من أشكال التغيير ، وإن كان الإنصاف يقتضى أن نشير إلى أنه على وعى بقيمة التقارب المخرجى فى إمكان وقوع البدل .. فالخليل تارة يكتفى برصد أمثلة الإبدال دون تفسير ، وتارة أخرى يقدم لنا تفسيراً صوتياً لعلة وقوعه .

فمن النوع الثانى : « قال الخليل بن أحمد رضى الله عنه : الهاء والحاء لا تأتلفان فى كلمة واحدة أصلية الحروف لقرب فخرجيهما فى الحلق ، ولكنهما يجتمعان من كلمتين لكل واحدة منهما معنى على حدة كقول لبيد :

يتمارى فى الذى قلت له ... ولقد يسمع قولى حيَهْل

وقول آخر :

هَيْهاؤه وحيَهَلُه

حى كلمة على حده ومعناها هلم ، وهل حثيثى ، فجعلهما كلمة واحده ، وفى الحديث : إذا ذُكر الصالحون « فحيَّهلا بعمر» أى فأت بذكر عمر ، قال الليث قلت للخليل : ما مثل هذا الكلام أن يجمع بين كلمتين فيصير منهما كلمة واحدة ؟ قال : قول العرب، عبد شمس وعبد قيس فيقولون : تعبشم الرجل وتعبقس وعبشمى وعبقسى [1] » .

ويفهم من ذلك أن وحده المخرج يمثل عائقاً لاجتماع الأصوات فى كلمة ، وهو نفسه الذى يسمح بتبادل الأصوات فيما بينها إذا اتحدت أو تقاربت ، ويشير إلى ذلك الخليل قائلاً : ضجع فلان ضجوعاً أى نام فهو ضاجع وكذلك اضطجع وأصل هذه الطاء تاء ، ولكنهم استقبحوا أن يقولوا : اصتجع [2] » فكأن الخليل

١ - ع : ٣ / ٥ .
٢ - السابق : ١ / ٢١٢ .

يريد أن يقول ما يصرح به المحدثون من أن قانون المماثلة assimilation يقتضى أن نأتى بمطبق ليحسن فى تأليف بناء الكلمة فأبدلت التاء طاءً وهى النظير المفخم لها (1) .

وطبقاً لنفس القانون جاء قول الخليل : « الإزعاج نقيض القرار ، أزعجته من بلاده فشخص ولا يقال فزعج ولو قيل انزعج وازدعج لكان صواباً وقياساً (2) » .

فتاء الافتعال تقتضى قياساً أن تتحول الصيغة من ازتعج إلى ازدعج ، وقوله « قياسا » فيه إدراك إلى أن ثمة قانوناً يحكم الظاهرة ولها قياس تقاس عليه ، وأن إبدال صوت من صوت محكوم بقانون هو فى المثال الذى قدمه أن التاء تتحول أو تبدل دالاً لا تاءً لأن الدال هى النظير المجهور للتاء ، وهو ما يناسب المجهور قبلها وهو الزاى .

غير أن الخليل لا يقف أمام الإبدال بالتفسير دائماً على النحو السابق ، بل يأتى كلامه من النوع الأول الذى يكتفى فيه بمجرد رصد أمثلة الإبدال بطريقة وصفية فقط ومن أمثلة ذلك .

١ – إبدال الدال تاءً ، والتاء دالاً .

كقول الخليل : « والترياق لغة فى الدرياق وهو دواء (3) » .

وقوله : « رجل مستع فى مِسدَع وهو الماضى فى أمره (4) » .

٢ – إبدال الذال زايا .

« ويقال أرض مزعوقة ومذعوقة وممعوقه ومبعوقة ومسنية بمعنى واحد أى

---

١ – انظر الأصوات اللغوية صـ ١١٥ ، ودراسة الصوت اللغوى صـ ٣٢٥ .
٢ – ع : ١ / ٣١٧ .
٣ – السابق : ٥ / ١٢٧ .
٤ – السابق : ١ / ٣٢٥ .

أصابها مطر وابل شديدة (١) » .

٣ – إبدال الزاى سيناً والسين زاياً :

« وربما قالوا : مزحج فى مسجح كالأسد فى الأزد ، والسجح لين الخد والنعت أسجح . قال ذو الرمة :

وخدٍ كمرآة الغريبة أسجح (٢) » .

٤ – إبدال الزاى صاداً :

---

١ – ع : ١ / ١٣٣ ، ويعلق أستاذنا الدكتور علم الدين الجندى – فى دراسته القيمة : اللهجات العربية فى التراث – على هذا المثال قائلاً « فالخليل على جلالة علمة لا يدرى : أن الزعاق بمنزلة الزعاق لغة مستقلة أم لثغة » انظر اللهجات العربية صـ ٣٥٧ ، وإذا كان الخليل لم يتعرض لهذا المستوى من التحليل اللغوى عامة ، وفى هذا النصّ موضوع التعليق خاصته ، فإن الدكتور الجندى أراد بهذا المثال أن يؤكد أن بعض أمثلة الإبدال يمكن أن تكون ناشئة عن أمراض الكلام كاللثغة وهو أمر اختلط – حسبما رأى سيادته – لدى علمائنا ومنهم الخليل . وأحسب أن هذا المثال استناداً إلى قول الدكتور الجندى نفسه صـ ٣٥٥ يمكن أن يفسر فى ضوء قوانين الإبدال فى اللغات السامية فسيادته يقول « كما وجدنا أن الذال العربية تبدل دالاً أو زايا فى الآرامية فإرجاع مزعوقة إلى أصل سامى مبدل عن مذعوقة بوصف الأخيرة هى الأصل فى العربية أو فق من إرجاعه إلى أمراض نطقية وذلك فى ضوء الإمكانية المشار إليها ، ويكون كلام الخليل (بمنزلة) نوعاً من التسوية بين لغتين أو لهجتين شائعتين من لهجات العرب ، إحداهما أبدلت والأخرى ظلت على الأصل ، وهذا عندى أقرب إلى منهج الخليلى الوصفى ، الأمر الذى يجعل اتهام الخليل بعدم الدراية فى غير موضعه ، ومما يدعم ذلك . أن اللثغة Lisping تكون بتحويل الراء لاماً والسين ثاء أو شيناً أو دالاً ، وليس إبدال الذال زاياً من مظاهر اللثغة ، حتى وإن حدث إبدال بينهما بشكل مرضى أو لعيب خلقى ، الأمر الذى يدعم تفسير ذلك على أنه من قبيل الإبدال اللهجى أو اللغوى ذى الأصول السامية . انظر أمراض الكلام طـ ٤ صـ ١٥٥ – ١٥٧ واللغة واضطرابات النطق والكلام صـ ١٥٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

٢ – ع : ٣ / ٧٠ .

« زدْق : وزدق لغة لهم فى صدق [1] » .

٥ – إبدال السين صاداً :

« بصق لغة فى بسق ، وبصاق الجراد لعابه [2] » .

« الصندوق لغة فى السندوق (ويجمع صناديق [3] » .

« والصَغِل لغة فى السغل : وهو الدقيق القوائم الصغير الجثة [4] » .

٦ – إبدال الحاء عيناً .

« ويقال سجحت الحمامة وسجعت [5] » .

٧ – إبدال الضاد ظاء .

« الحضظ لغة فى الحضض : « دواء يتخذ من أبوال الإبل [6] » .

٨ – تبادل بين حروف العلة والهمزة .

« وفى الحمو ثلاث لغات : حماها مثل عصاها وحموها مثل أبوها ، وحمؤها مقصور مهموز مثل كمؤها [7] » .

٩ – تبادل بين حروف الذلاقة والشفوية .

– الميم والباء .

---

١ – السابق : ٥ / ٨٨ .
٢ – السابق : ٥ / ٦٩ .
٣ – السابق : ٥ / ٢٤٦ .
٤ – السابق : ٤ / ٣٧٢ .
٥ – ع : ٣ / ٧٠ .
٦ – السابق : ٣ / ١٠١ .
٧ – السابق : ٣ / ٣١٢ .

بمعوقة ومبعوقة ومسنية بمعنى واحد أى أصابها مطروابل شديد [1] » .

— الفاء والباء .

« وعكفت الطير بالقتيل ... وفى لغة الخفجيين عكبت حولهم الطير فهى عكوب أى عكوف قال شاعرهم : (منسوب إلى مزاحم العقيلى [2]) .

تظل نسور من شمام عليهم ∴ عكوباً من العقبان عقبان يذبل [3] .

النماذج السابقة للإبدال تصور المنهج الذى تعامل به الخليل مع أمثلته ، فهو منهج وصفى اكتفى من الظاهرة بتسجيل أمثلتها على أنها نماذج موجودة فى اللغة ، ونلمح من عرضه أنه يراها مجرد لهجات أو لغات مختلفة لا مزية لإحداها على الأخرى اللهم إلا إذا افترضنا أن قوله « لغة فى كذا » أن (كذا) هى الأصل أو الأكثر شيوعاً وتلاحظ كذلك أنه التزم بخطوط منهجه العام كما يظهر فى البحث وهو عدم الالتفات للظواهر الفردية أو الأمثلة الشاذه وأكاد لا أجد عنده احتفاء بالظواهر اللهجية الغريبة كالكشكشة والكسكسة والعنعنة والفحفحه والاستنطاء وأضرابها من نماذج الإبدال اللغوى الخاص ، وتكاد أمثلة الإبدال عنده أن تكون من ذلك النوع المطّرد التى تسمح به قوانين الإبدال كما يظهر من الأمثلة السابق عرضها .

والمتتبع لمادة العين سيجد أمامه مادة لغوية تؤكد أن الخليل كان على وعى بعدد من اللغات الأجنبية وبخاصة اللغات السامية والشرقية ، ولا أدرى لماذا لم يوظف هذا الرجل هذه المعرفة فى معالجته لأمثله الإبدال ، وغيرها من القضايا اللغوية ؟ ولماذا قنع بمجرد وصف الظواهر التى تقابله ؟ وأغلب الظن أن الرجل التزم بالمنهج الوصفى ، ولم يرد أن يخلط فى معالجته بين المنهجين الوصفى والتاريخى ،

١ — السابق : ٦ / ١٣٣ .
٢ — انظر هـ : ١ / ٣٢٣ .
٣ — ع : ١ / ٢٠٦ .

وربما لو كان منهجه تاريخياً لجازله أن يعتمد فى بعض الخطوات على المنهج الوصفى (1) ، أما وأنه كما يظهر من ثنايا البحث حفىٌ بتسجيل الظواهر اللغوية العامة كما هى ، فهو متسق مع نفسه ، وإن امتلك الأدوات التى تسمح له بتفسير ظاهرة الإبدال من منظور تاريخى أو سامى . أما هذه المعرفة السامية فهناك ما يقطع بها فى نصوص العين من ذلك :

- وكنعان بن سام بن نوح إليه ينسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية(٢) .
- ششقل : كلمة حميرية عبادية لهج بها صيارفة العراق فى تعبير الدينار (٣) .
- الشنترة : الإصبع بالحميرية وجمعه الشناتر (٤) .
- ويقال المرْجَبَه : المقلاع بالعبرانية (٥) .
- هيراشراهيا بالعبرانية : ياحى يا قيوم (٦) .
- وبلغنا فى تفسير (طه) مجزومة أنها بالحبشية : يا رجل ..... ومن قرأها (طاها) فهما حرفان من الهجاء ، وبلغنا أن موسى بن عمران لما سمع كلام الرب استفزّه الخوف حتى قام على أصابع قدميه خوفاً فقال الله : طه : أى

---

١ – لا يقال إن المنهج الوصفى بهذا الفهم منهج حديث ، فالعبرة بطبيعة المعالجة التى قدمها الخليل لا بالمسميات .

٢ – ع : ١ / ٢٠٥ وفى نسخة د. درويش (بلغة تضارع) وقد أشار محققا العين أن كلمة تضارع ربما كانت مأخوذة من التهذيب أو المخصص .

٣ – ع : ٥ / ٢٤٥ .

٤ – ع : ٦ / ٣٠١ .

٥ – ع : ٦ / ١١٤ .

٦ – ع : ٣ / ٤٠١ وقد لفت نظرى إلى هذا المثال والذى يليه الزميل الدكتور محمد حسن عبد العزيز انظر ترجمته لكتاب العربية الفصحى الحديثة صـ ١٤٢ .

اطمئن يا رجل (١) .

- والقنطار ، يقال أربعون أوقية من ذهب وفضة ، ويقال هو بالسريانية مثل ملء جلد ذهباً أو فضة ، وبالبربرية ألف مثقال من ذهب أو فضة (٢) .
- ويقال الزَّقوم : بلغة إفريقية الزُّبد بالتمر (٣) .
- والعيطونَ : المخْدع فى لغة البربر ومصر (٤) .
- وهَـوَزٌ : حـروف وضعت لحساب الجمل : الهاء خمسة والواو ستة والزاى سبعه (٥) .

وثمة أمثلة كثيرة لا تضيف أكثر من تأكيد أن الرجل كان ملما بعدد من اللغات السامية أو لديه معرفة قوية بها ، ولا يمكن أن يكون الخليل مجرد راوٍ لمعارف لغوية شائعة ، فالثابت أنه عالم متدبر يمتلك الأدوات المعرفية التى تمكنه أن يشيد هذا الصرح على أسس علمية صلبة ، ولكنه للأسف لم يوظفها على النحو الذى كان يمكن أن يجلو كثيراً من القضايا اللغوية الأمر الذى حمل بعض المستشرقين إلى القول : « ولكن مما يؤسف له أشد الأسف أن جميع علماء اللغة من المسلمين لم يكونوا يعرفون شيئاً من اللغات السامية كالعبرية والسريانية معرفة صحيحة (٦) » .

---

١ - ع : ٣ / ٣٤٧ ، ٢ / ٢٤٨ وعلق الدكتور محمد حسين آل ياسين على هذا المعنى بعد أن نسب النصّ لابن الأنبارى قائلاً « وليس فيما ذكر ابن الانبارى وأبو حيان من اللغات السامية ما يؤيد وجود طه بمعنى يا رجل » انظر الدراسات اللغوية عند العرب صـ ٤٨٤ وانظر اللهجات العربية فى التراث صـ ١٥٦ .

٢ - ع : ٤ / ٣٢١ - ٥ / ٢٥٦ .

٣ - ع : ٥ / ٩٤ .

٤ - ع : ٥ / ١٠٣ وانظر الجمهرة ٣ / ٢٨٨ .

٥ - ع : ٥ / ٢٤٩ وانظر أمثلة أخرى نفس الصفحة .

٦ - اللغات السامية (ولفنسون) صـ ٢١٧ .

وهو قول فيه تعميم ينافى المنهجية العلمية ، وإن كان لم يجاوز الحقيقة حين قرر أن عدم تفسير الظواهر فى ضوء المعرفة السامية يعد قصوراً « لأنه ليس من الممكن فى كل الأحوال أن يهتدى الباحث إلى أصل اشتقاق الكلمة إذا اقتصر فى بحثه على لغة سامية واحدة [1] » .

ولم يقتصر الخليل فى عدم توظيفه للشق المعرفى على الجانب السامى ، بل امتد إلى عدم استثماره لمعارفه الأخرى وبخاصة الفارسية فى المعالجة اللغوية ، وإن كان ما جاء به فى هذا الصدد يعد باكورة للدراسة التأصيلية ، وهو بذلك الرائد فى الحديث عن المعرَّب والدخيل فى لغة العرب من ذلك مثلاً :

- والخورنق : نهر وهو بالفارسية (خرنگاه) معرب الخورنق . قال الأعشى صيرفون فى أنهارها والخورنق [2] .

- والجلسان : دخيل وهو بالفارسية : كلّشان وقال :

لنا جلسان عندهـــا وبنفسج وسيسنبر والمرزجوش منمنما [3]

- الهمقان : واحدتها همقاقه بوزن فعلالة ، ولا أظنه إلا دخيلا من كلام العجم أو كلام بَلْعم خاصة ، لأنها تكون بجبال بلعم وهى حبة تشبه حب القطن فى جماحة مثل الخشخاش إلا أنها صلبة ذات شعب ، يلقى حبه ويؤكل ، يزيد فى الجماع [4] .

- المهندس : الذى يقدر مجارى القُنىّ ومواضعها حيث يحتضر ، وهو مشتق من الهنذره ، فارسىّ صيرت الزاى سيناً ، لأنه ليس بعد الدال زاى فى شىء من

---

١ - السابق نفس الصفحة .
٢ - ع : ٤ / ٣٢١ - ٣٢٢ .
٣ - ع : ٦ / ٥٤ .
٤ - ع : ٣ / ٣٧٢ .

كلام العرب [١] .

- الكَشْخان : الديوث : وهو دخيل لأنه ليس فى كلام العرب رباعية مختلفة الحروف على فعلال ، ولا يكون إلا بكسر الصدر غير كشخان فإنه يفتح فإن أعرب قيل كِشْخان على فعلال ، ويقال للشاتم لاتكشخ فلاناً [٢] .

ويمكن سرد صفحات من نظائر هذه الأمثلة لتأكيد هذه المعرفة الخليلية بلغات شرقية وبخاصة الفارسية ، غير أن معالجته لهذه المادة ، أقصد غير السامية كانت تتسم بسمتين بارزتين : الأولى : هى محاولة وضع معايير لتمييز الكلمة العربية من الدخيلة كما فى مثال المهندس والكشخان ، وهو بذلك رائد فى الدراسة التأصيلية لمادة المعجم العربى يسبق بذلك روّاد هذا اللون من الدراسات كأبى منصور الجواليقى والشهاب الخفاجى ، وقد ترسع ابن دريد فى هذا وتظهر مادة غزيرة فى معجمه الجمهرة تدعم أن المسيرة بدأت مبكرة على يد الخليل وحوارية السمة الثانيةَ توظيف المعارف العامة كمعيار للحكم بعربية الكلمة ، كالمعرفة الجغرافية ، حين لاحظ أن كلمة الهمقان ، بوصفها اسماً على حب لا ينتج فى البيئة العربية حكم بعدم عربية الكلمة . ولعل ذلك هو ما جعله ينتهى إلى رصد مجموعة أحكام عامة أكدت صحتها الدراسات الاحصائية من ذلك .

- ليس فى كلام العرب دعشوقة ولاجلاهق ، ولا كلمة صدرها (نر) وليس فى شىء من الألسن ظاء غير العربية ، ولا من لسان الا التنور فيه تنور [٣] .

- الكشعتع والخضعثج والكشعطج وأشباههن مولدات لا تجوز فى كلام العرب لأنه ليس فيهن شىء من حروف الذلق والشفوية فلا تقبلن منها شيئاً فإن

١ – السابق : ٤ / ١٢٠ .
٢ – السابق : ٤ / ١٥٥ وانظر كذلك ٥ / ٢٤٣ ، ٥ / ٢٨٨ ، ٥ / ١٠٤ ، ٣ / ٣٤٨ .. الخ .
٣ – السابق : ١ / ٥٣ ، ٥ / ٢٦٥ .

النجارير منهم ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت [1] .

- ليس للعرب كلمة على بناء فِعِّل [2] .

- ليس فى كلام العرب رباعية مختلفة الحروف على فَعْلال [3] .

- القاف والكاف لا يجتمعان فى كلمة واحدة إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم ، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلفان إلا بفصل لازم ، وغير هذه الكلمات المعربة ، وهى الجوالق والقَبّج ، ليستا بعربية محضة ولا فارسية [4] .

- الهاء والحاء لا تأتلفان فى كلمة واحدة أصلية الحروف لقرب مخرجيهما فى الحلق[5] .

- ليس بعد الدال زاى فى شىء من كلام العرب [6] .

من كل ما سبق يتبين أن الخليل كان علي معرفة تامة بلغات متعددة ومعارف متنوعة جعلته يقفنا على كثير من أسرار البنية المعجمية للكلمة العربية ، ولو وظف هذه المعرفة توظيفاً كاملاً وبخاصة الشق السامى لما استطاع أحد أن يُضيف شيئاً لما قال ، وكانت أفكاره ملهمة للباحثين الذين جاءوا بعده فتلقف كل منهم فكرة سواء فكرته الخاصة عن القيمة التعبيرية للحروف ومحاكاة الصوت ، أم فكرته عن التقاليب ، أم فكرته عن النحت أم فكرته عن الإبدال ، وفيما يتصل بالابدال خاصة

---

١ - السابق : ١ / ٥٢ / ٥٣ .
٢ - السابق : ٥ / ١٨٢ .
٣ - السابق : ٤ / ١٥٥ .
٤ - السابق : ٥ / ٦ ، ٥ / ٣٢ .
٥ - السابق : ٣ / ٥ .
٦ - السابق : ١ / ٥٢ - ٥٣ .

وهو آخر النقاط التى عرض لها البحث فى إطار فلسفة الجذر ، فإن الخليل هو الذى أوحى إلى خالفيه كذلك بالتقارب الدلالى فى أمثلة الإبدال من ذلك قوله :

« والكدح دون الكدم بالأسنان ، والكدح بالحجر والحافر ، والكتح دون الكدح من الحصى والشىء يصيب الجلد فيؤثر فيه قال » :

يلتحن وجهاً بالحصى ملتوحاً

ومرة بحافز مكتوحاً

أى تضرب باب الريح بالحصى قال :

فأهون بذئب يكتح الريح بإسته

أى تضربه الريح بالحصى .

ومن يروى : تكثح أى تكشف (١)

ولا أظن أحداً ممن تابع ابن جنى فى باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى فى خصائصه الا واجداً أن ما قاله هو من هذا الباب الذى فتحه الخليل ، كأن المعلم قال لتلميذه ما قاله الإمام على لأبى الأسود « انح هذا النحو » وتقف لقطات الخليل الذكية شامخة وملهمة كذلك لمن أكملوا المشوار بعده ، وعلى حين يتميز الخليل فى أحكامه على هذه الظواهر بالمرونه والاعتدال نجد تلاميذه يقطعون ويعممون ويضطرون للتكلف فى النهاية ، أما جوهر الفكرة عند الجميع فأصلها خليلى واحد ، فمثلا أمثله أزوهز نعق ونهق ، قسم وقصم عند ابن جنى هى من نفس الجدول الذى انسابت منه أمثلة الخليل كدم وكدح وكتح . والأمر فى النهاية هو فرق فى أسلوب المعالجة بين الرائد ومن خلفه ، فأمثلة الابدال مثلاً يمكن أن يعاد النظر فيها وتفسيرها بشكل علمى استكمالاً لصنيع الخليل ، وأحسب أن حكم ستتكفتش عن

١ - السابق : ٣ / ٦٠ .

الإبدال فيه شيء من صواب حين قال عنه أنه : « من الأسس الهامة لفهم بنية المعجم العربى ، لأنه يوضح لنا الأصل العميق للكلمة ، ويتعقب الأصول والتغييرات التى تؤلف الإبدال لنرى كيف اختزلت الكلمة العربية إلى أصلية محددين للمعنى مع أصل ثالث أو رابع مع وجود توكيد أو ظل أو رابط بالجذر الآخر[1] » .

---

١ - العربية الفصحى الحديثة صـ ٨٤ .

خاتمة البحث

انطلق هذا البحث من التسليم ابتداءً بأمرين ، الأول أن المعجم نظام من أنظمة اللغة ، شأنه فى ذلك شأن أنظمة اللغة الأخرى الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، والثانى مترتب على الأول ، وهو أن عمل الخليل فى كتابه العين ، وفى مقدمته على وجه الخصوص هو من قبيل النظرية العلمية فى إطار علم المعجم ، وليس من قبيل الصنعة التى تدخل فى إطار التبويب المعجمى أو فن المعجمات . هذان المنطلقات فى البحث شكلاً المحور الجوهرى لتفسير محاولة الخليل فى العين وذلك على النحو التالى :

- أن البحث حدد المقصود بالنظرية العلمية ليكون هذا التحديد معياراً يحتكم إليه فى التثبت من صحة المقولة التى يتكىء عليها البحث وهى أن عمل الخليل نظرية وليس صنعة معجمية . وارتضى البحث أن يكون العرض والتحليل لعناصر النظرية عند الخليل هو الوسيلة لإثبات صحة المقولة . الأمر الذى جعل من الباب الثانى حتى الباب الأخير مجرد إجابة علمية على ما طرحه الفصل الأول من البحث من استفسار ، هل عمل الخليل فعلاً نظرية فى المعجم العربى أكثر من كونه تأليفاً لقاموس ؟ .

- ولم يتعرض البحث لمناقشة قضايا تقليدية عالجها آخرون كالحِجَاج حول نسبة العين للخليل ، أو مناقشة موضوع تأثر الخليل بالدرس اللغوى عند الهنود أو غيرهم ، لأن ذلك كله نوقش من قبل من جانب ، وليس يدخل فى صميم المعالجة التى يهدف إلى عرضها أو التصدى لها من جانب آخر .

- وجاءت مناقشة علّيه اختيار الخليل للترتيب الصوتى لتثبت أن هذا الاختيار استند إلى أساس موضوعى فرضته طبيعة المعالجة ، فالخليل بصدد تفسير النظام المعجمى ، والمعجم هنا وحدته الكلمة المنطوقة المكونة بدورها من فونيمات phonemes ، والمناسب لذلك أن يكون الترتيب صوتياً ، ولا يناسب هنا أن يأخذ بالترتيب الألفبائى أو الأبجدى لأنهما ترتيبان للرموز الكتابية وهذا

يخص المفردات الصامتة فى القاموس Dictionary ، وهذا العمل ليس هو الهدف الذى يسعى إليه الخليل ، والذين ظنوا أنه كان أولى بالرجل أن يأخذ بالترتيب الألفبائى ، حسبوا أنه يؤلف قاموساً ، وما لهذا فى الأصل كان عمله .

- وكان اختياره للعين صدراً الترتيبه المخرجى واسماً لمعجمه متكئاً على أسس موضوعية كذلك ، لأن الرجل لا يهدف إلى وصف صوتى خالص لترتيب الأصوات العربية ، بل كان يقدم وصفاً صوتياً خاصاً فى سياق بعينه ، وهو التعرف على أسرار البنية المعجمية للكلمة العربية ، وإذا كانت الهمزة والهاء عنده أسبق مخرجاً كما صرح هو بذلك ، فإن العين من بين أصوات المقدمة يمثل صوتاً ذا خصوصية فى نسيج هذه البنية ، فهو يشارك الهمزة والهاء السبق المخرجى ويتميز عليهما بالوضوح السمعى من جانب والتميز والبروز فى تشكيل الكلمات ، والعربى يؤثره من هذه الناحية على كل من الهمزة والهاء ، وهو أمر أكدته الدراسات الإحصائية . ذلك ما حدا بالخليل أن ينصرف عن الهمزة والهاء ويتخذ العين صدراً لترتيبه .

- وتناوله البحث كذلك عدداً من الملاحظات التى أبداها عدد من الباحثين المحدثين على عمل الخليل سواء بالتشكك فى كتاب العين ونسبة كثير من المعلومات التى طرحها فيه إلى ابن جنى كما فعل أستاذنا الدكتور أنيس ، أم الحكم على أحكام الخليل الصوتية من زاوية صوتية خالصة واتهامه تبعاً لذلك بالاضطراب كما ذهب أستاذنا الدكتور كمال بشر ، أم اتهامه بالخلط بين الهمزة والواو والياء وضمها معاً كما فعل الدكتورحسين نصار ، وقد رد البحث كل ذلك مثبتا أصالة الفكر الخليلى وموضحاً أن عمل الخليل ليس صوتياً خالصاً الأمر الذى يقتضى إعادة النظر فى أفكاره بوصفها ملاحظات صوتية فى سياق معجمى . وفى ضوء ذلك جلّى البحث النقاط التى عالجها

هؤلاء الباحثون ، وأظهر دقة الخليل واتساق أفكاره ، وأصالته وسبقه فى التعرف على تميز حزمة الذلاقة الصوتية فى نسيج الكلمة العربية ، وهو صاحب المصطلحات الصوتية الدقيقة التى عزيت لابن جنى ، كما أبان عن دقة الخليل فى وصف الهمزة تارة بأنها لا مخرج لها وتارة بنسبتها إلى مخرج بعينه وهو فى الحالة الأولى قصد نوعاً من الهمزة هى المعروفة بالمسهلة كما فى ذيب وراس وفى الثانية قصد الهمزة المحققة كما فى أسد ، وملأ ، وأخذ وعليه لا تناقض ولا اضطراب عنده . أما وضعه للهمزة والواو والياء والألف معاً فى آخرة ترتيبه الصوتى فمرد ذلك لسببين الأول يتصل باتفاقها فى خاصية الإعلال وانقلاب بعضها من بعض ، والثانية خاصة بانخفاض نسبة ترددها فى نسيج الكلمة العربية ، والدرس الصرفى يقفنا على صحة الملاحظة الأولى ، والدرس الإحصائى يؤكد صحة الملاحظة الثانية وهو ما يدفع عن الخليل تهمه ضم هذه المجموعة معاً بدون سبب واضح أو العجز عن بيان الفرق بين الهمزة من جانب وحروف العلة من جانب آخر .

- وأبان البحث عن أن فلسفة الكمية عند الخليل كانت إجراءً منهجيا جوهرياً فى إطار النظرية ، وليس كما ذهب ابن منظور عملاً يشتت الذهن ويبدد الجهد ، فمن خلال معرفة أقل المبانى وأقصاها كمية يمكن التعرف من خلال الإجراء التقليبى بعد ذلك على كم المستعمل والمهمل ، وبدون معرفة أنواع المبانى لا يمكن تحديد ذلك . كما أن هذا الإجراء هو الذى يقفنا على خصائص البنية التى يتميز بها كل نوع من أنواع المبانى . وقد تبين مثلاً أن الثنائى ينحصر فى الأدوات والحروف وأسماء الأصوات والثلاثى هو جل مادة المعجم ومنه يتولد أكثر من ٧٠ ٪ من مواد اللغة . ويليه الرباعى ويليهما الخماسى من حيث الكم ، وتشيع مجموعتان من السلاسل الصوتية فى نسيج الكلمة فى هذه الأنواع المجموعة الأولى هى مجموعة الذلاقة ، والمجموعة الثانية هى ما أطلق

عليه فى البحث مجموعة النصاعة ، وعدة المجموعتين عشرة أصوات تمثل أكثر من ٤٨ ٪ من أصوات الجذر الثلاثى وأكثر من ٦٤ ٪ من أصوات الجذر الرباعى ، وتمثل أكثر من ٦٩ ٪ من أصوات الجذر الخماسى ، وتلك النتائج تطابق كلام الخليل عن هذه النوعية من الأصوات كما سجل البحث تميز الخليل فى رصد الضعف النسبى لحروف العلة والهمزة فى بنية الكلمة الأمر الذى حداه أن يضمها معاً فى ذيل ترتيبه وهو أمر أكدته كذلك الإحصاءات ، كما رصد البحث عدداً من الأصوات التى تنفرد بها العربية كالظاء أو مقاطع لا تظهر فى الجذر مثل انتهائه بـ ثج أو طج أو ثع ، وثمة طائفة أخرى من التركيبات الصوتية الممتنعة فى العربية عولجت فى الفصل الأخير .

وعلى حين تميزت ملاحظات الخليل الصوتية فى بنية الكلمة العربية بالدقة ومطابقة نتائج الإحصاءات نجد ابن منظور الذى هاجم منهج الخليل الصوتى الكمى التقليبى نجده يفشل فى إعطائنا أيه نتائج مشابهة وجاءت ملاحظاته متناقضة مع نتائج الاحصاءات الحديثة ، فقد نجح الخليل اللغوى المنظر أن يقفنا على أسرار بنية الكلمة العربية وأخفق ابن منظور المؤلف المعجمى حين خاض فى عمل ليس من قبيل صنعته .

وجاء الأساس التقليبى متكئاً على الأساسين الكمى والصوتى ليرصد حجم المادة المعجمية ، ويميز بين المهمل والمستعمل ، ويضع للعربية نظاماً رياضياً دقيقاً لذلك ، ويكاد الخليل أن يكون أول لغوى معروف يعتمد على الرياضيات فى تحليل مستوى من ستويات التحليل اللغوى ، وليسبق بذلك المحدثين ، وليس الأساس التقليبى مجرد أساس حصرى فحسب بل إنه رأى أن العلاقة بين المقلوبات هى علاقة تصريف بما يشى بإدراكه لوجود علاقة من نوع ما بين المقلوبات وهو الأمر الذى أوحى إلى خالفيه بنظرية الأصول ، أو اتفاق هذه المقلوبات للمادة الواحدة فى أصل دلالى واحد ، وإن لم يقل الخليل بذلك فإن إيماءاته يمكن استثمارها كما

ذهب البحث من خلال ربط الثنائيات المتقاربة بنسبة كبيرة والبحث عن صلة دلالية بينها دون أن نربط كل الصور كما ذهب القدماء بأصل واحد .

وقد اعتمد البحث على العملين العلميين الرائدين لإحصاءات الصحاح واللسان اللذين قام بهما مشكوراً الدكتور على حلمى موسى فى التثبت من دقة ملاحظات الخليل [1] ، وقد اختلف البحث مع نتيجة الدكتور على حلمى وهو يقدم الإمكانات الرياضية لحصر مادة المعجم حين اتكأ على الكلمات فى عمله ، وحصر الإمكانات إنما يعتمد على الجذر لا الكلمات الأمر الذى جلعه يعتد الألف صوتاً صامتاً يسد مسد الواو والياء فى لام الكلمة ، والألف لا تكون بحال أصلية فى الجذر وليس لدينا صامت يسمى ألفاً ، وحصر الإمكانات يعتمد على الجذور لا الكلمات وقد ترتيب على ذلك وجود بعض الخلافات فى نتائج حصر الإمكانات الرياضية لجذور اللغة العربية يمثل الفرق بين الرقم الذى وصل إليه وبين الرقم الذى انتهى اليه البحث .

كما ألمح البحث إلى أن حديث الخليل عن التقاليب والذى أمكن به تصور المستعمل والمهمل أو الموجود بالقوة والموجود بالفعل على مستوى المعجم يقارب على مستوى النحو منهج التحويليين فى التفريق بين القدرة والأداء ، وافتراض البحث أن يكون المنهج التقليبي قد وظف كمنهج حصرى شمولى — فى مستويات لغوية أخرى كالصرف والنحو ودلّل على ذلك ، ودعا إلى إعادة النظر فى النظام الصوتى والصرفى والنحوى والدلالى فى ضوء هذا الطرح .

وقد جاء الأساس الجذرى بوصفه محوراً أساسياً فى الفرضية الخليلية يميز الكلم العربىّ ، وبه تخضع لنا موسه ، الأمر الذى لم يستطع أحد لا على مستوى النظرية ولا على مستوى التصنيف المعجمى أن يتخلى عنه أو يطرحه من تناوله .

---

١ — لم يلتفت البحث إلى إحصاءات تاج العروس لتضمنه مادة لغوية بعضها محدث أو ذو صبغة لهجية خاصة .

وقد تعانقت فكرة الأصل الاشتقاقى أو الجذر مع فكرة أخرى هى أصل الصيغة فكانتا آليتين مكملتين لآلية التقاليب فى التعرف على المستعمل والمهمل ، وقد أفادت معاجم الأبنية من تكامل أصل المشتقات أو الجذر مع أصل الصيغة فى التعرف على المبانى المستعملة والمبانى المهملة على حين أفادت معاجم الثروة اللفظية من آلية التقاليب فى معرفة المستعمل والمهمل ، وهكذا جاءت فكرة الجذر مكملة لفكرة التقاليب من جانب ، ومبرزة أساساً صلباً لمعرفة القاسم المشترك بين الكلم فى العربية من جانب آخر .

وخلال معالجة فكرة الجذر طرح الخليل عدداً من الإجراء التى بها يمكن التعرف على الجذر كاللجوء إلى إسناد الفعل للضمائر أو جمع الاسم أو تصغيره أو تثنية ، وهو أمر يؤصل به الخليل لمنهج التزم به خالفوه بلوغاً لذات الغاية حتى الآن .

كما أثيرت خلال المعالجة الخليلية عدة ظواهر كالنحت ، والقلب ، والإبدال ، وقد جاء تناول الخليل لهذه الظواهر وصفياً مطبوعاً لا غلو ولا تزيد فى الأحكام ، ولم يتجاوز ما قاله فى النحت عن التمثيل له والاعتراف بوجوده كظاهرة دون أن يبنى عليه أية أحكام عامة خلافاً لمن جاءوا بعده ، كذلك لم يربط ظواهر القلب بدلالة مشتركة كما سبقت الإشارة ، واكتفى برصد ظواهر الإبدال ، ولم يتعرض إلا قليلاً لتفسيرها . ولم يحتف بظواهر الإبدال اللهجى الشاذة ، مما يعنى أنه كان رجلاً ذا نظرة لغوية شمولية ، وعلى الرغم من أنه لم يفد فى المعالجة اللغوية من معرفته بالساميات والتى أكدها البحث فإنه كان أكثر استفادة من معرفته بالفارسية ، وكانت ملاحظاته فى المادة الدخيلة تأكيداً على ريادته فى مجال البحث المعجمى التأصيلى ، ويأتى رصده لكثير من ظواهر الخصوصية للكلم العربية ، وتسجيلة للسلاسل الصوتية الممتنعة آية على هذا السبق .

وبعد

فإن نظرة إلى عمل الخليل فى العين كما يبدو من هذا البحث لتؤكد أن الرجل كان بصدد وضع نظرية لغوية تهدف إلى فك شفرة النظام المعجمى العربى ، من خلال طرحه لمجموعة من الأسس المحدودة ، يقوم كل أساس منها بتفسير جانب من جوانب هذا النظام ، بحيث تنصهر هذه الأسس معاً فى بوتقة واحدة لتمثل فرضية علمية واحدة تتسم عناصرها بالتداخل ، وتتصف آليتها بالشمول والاطراد من جانب وملاءمتها للغة التى وظفت لها بما يعكس وعى الخليل بخصوصية اللغة ، فجاءت خصوصية المنهج تبعاً لذلك . الأمر الذى مكنه من اكتشاف أبرز الخصائص العامة التى تميز كلم العربية على المستوى المعجمى .

وأخيراً فإن هذا البحث المتواضع كان مجرد محاولة مخلصة للاقتراب من عالم الخليل بن أحمد ، سعى فيه صاحبه أن يقدم فهماً خاصاً لغايات هذا العمل ، وتفسيراً لحقيقته كما تصورها . الأمر الذى كشف خلال هذا المنظور الجديد عن أن عمل الخليل فى المعجم لا يقل دقة وانضباطاً وشمولية عن أعماله الأخرى فى العروض والنحو إن لم يكن أدقها على الإطلاق ، وهو إلى عقل الخليل الثاقب أقرب ولشخصيته ذات المعرفة الشمولية أدلّ ، ولا هتماماته الصوتية الرياضية ألصق .

وكل ما يطمع فيه صاحب البحث أن يكون قد نجح فى أن يثير فضول قارئه ، وأن يلفت نظره إلى جانب هنا أو هناك فى تراثنا العربى كما يمثله أصدق تمثيل إمام العربية يستحق أن يلتفت إليه أو يعاد فيه النظر ، فالكلمة الأخيرة فى الدراسات اللغوية العربية لم تقل بعد . والله أسأل أن ينفع بهذا البحث شداة العربية عامة والمشتغلين بالدرس المعجمى على وجه الخصوص .

ثبت المراجع

- الإبدال فى كلام العرب – أبو الطيب اللغوى – ت عز الدين التنوخى – دمشق ١٩٦٠ م.
- الاشتقاق – عبد الله أمين – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٥٦ م .
- الأصوات والإشارات – كندراتوق – ترجمة شوقى جلال – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م .
- الأصوات اللغوية – د . إبراهيم أنيس – الانجلو المصرية ط ٥ – ١٩٧٥ م .
- الأصوات اللغوية – د. محمد على الخولى – مكتبة الخريجى بالرياض ط ١ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
- الأصول – د . تمام حسان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٢ م .
- الألسنية العربية – ريمون طحان – دار الكتاب البنانى ط٢ – ١٩٨١ م .
- الألسنية – علم اللغة الحديث – د. ميشال زكريا – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٨٥ .
- الألسنية – النظرية اللغوية – د. ميشال زكريا – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ١٩٨٦ .
- أمراض الكلام – د. مصطفى فهمى – دار مصر للطباعة – الطبعة الرابعة .
- الإنصاف فى مسائل الخلاف – ابن الأنبارى – دار إحياء التراث العربى – بيروت سنه ١٩٦١ .
- البحث اللغوى عند العرب – د. أحمد مختار عمر – عالم الكتب القاهرة ١٩٨٢.

- البحث اللغوى عند الهنود – د. أحمد مختار عمر – دار الثقافة بيروت ١٩٧٢.
- تاج اللغة وصحاح العربية – للجوهرى – ت . أحمد عبد الغفور عطار – دار الكتاب العربى – القاهرة ١٩٥٦ م .
- تاريخ آداب اللغة العربية – جرجى زيدان – ط ٢ دار الهلال ١٩٠٤ م .
- تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية د. محمد إسماعيل الندوى – بيروت – ط الأولى .
- تاريخ علم الغة – ماريوباى حـ ترجمه بدر الدين القاسم – ١٩٧٢ و حـ ٢ ترجمة د. نجيب غزاوى بدون تاريخ وزارة التعليم العالى سوريا .
- تاريخ اللغات السامية – إسرائيل ولفنسون – دار العلم – بيروت ط ١ – ١٩٨٠.
- التطور اللغوى – د. رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجى – ١٩٨٣ .
- التطور النحوى – برحشتراسر – ترجمة د. رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجى ١٩٨٢ .
- تهذيب اللغة – لأبى منصور الأزهرى – تحقيق عبد السلام هارون – المؤسسة العربية العامة للتأليف والأنباء والنشر سنه ١٩٦٤ .
- التوليد الدلالى – فى البلاغة والعجم محمد غاليم – دار توبقال للنشر ١٩٨٧ م.
- جمهرة اللغة – لابن دريد الأزدى – تحقيق كرنكو – حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٥١ هـ وط دار صادر – بيروت .

- الخصائص – لأبى الفتح عثمان بن جنى – تحقيق محمد على النجار – دار الهدى للطباعة والنشر – بيروت .
- دراسات إحصائية لجذور الصحاح – د. على حلمى موسى – مطبوعات جامعة الكويت سنه ١٩٧٣ .
- دراسات إحصائية لجذور اللسان د. على حلمى موسى – مطبوعات جامعة الكويت سنة ١٩٧٢ .
- الدراسات اللغوية عند العرب – د. محمد حسين آل ياسين – منشورات دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٨٠ .
- دراسات فى علم اللغة – د. كمال بشر – دار المعارف ط ١٩٧١ .
- دراسات فى فقة اللغة – د. صبحى الصالح – دار العلم للملايين بيروت ط٨ سنه ١٩٨٠ م .
- دراسة الصوت اللغوى – د. أحمد مختار عمر – عالم الكتب – القاهرة ط ٣ ١٩٨٥م .
- دروس فى علم أصوات العربية – جان كانتينو – ترجمة صالح القرمادى تونس ١٩٦٦م .
- دروس فى اللغة العبرية ربحى كمال – مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٦ م .
- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجانى – دار المعرفة – بيروت سنه ١٩٨١ م .
- سر صناعة الإعراب – أبو الفتح عثمان بن جنى – تحقيق مصطفى السقا وآخرين – البابى الحلبى ١٩٥٤ .
- شذا العرف – الشيخ أحمد الحملاوى – ط البابى الحلبى ١٩٧٩ م .

- شرح شافية ابن الحاجب – لرضى الدين الاستراباذى – تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد وآخرين – دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥ م .
- شرح المفصل – لابن يعيش – ط عالم الكتب – بيروت .
- الصاحبى فى فقه اللغة – لأحمد بن فارس – المكتبة السلفية بالقاهرة ١٩١٠ م .
- الصحاح ومدارس المعجمات العربية – أحمد عبد الغفور عطار – دار الكتاب العربى بمصر ١٩٥٦ م .
- العربية – يوهافك – ترجمة عبد الحليم النجار – دار الكتب العربية القاهرة ١٩٥١.
- العربية الفصحى الحديثة – د. محمد حسن عبد العزيز – دار الفكر العربى ١٩٨٥م.
- العربية معناها ومبناها – د. تمام حسان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٩م.
- علم اللغة الاجتماعى – هدسون – ترجمة د. محمود عياد – عالم الكتب القاهرة ١٩٩٠م.
- علم اللغة العربية – د. محمود فهمى حجازى – وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣.
- علم اللغة وصناعة المعجم – د. على القاسمى – مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٥م.
- علوم البلاغة – أحمد مصطفى المراغى – دار العلم – بيروت ١٩٨٠ م .

- العين – الخليل بن أحمد الفراهيدى – تحقيق دكتوران مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى – دار الرشيد سنه ١٩٨٠ م .
- فصول فى فقه اللغة – د. رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجى ١٩٨٣ م .
- فقه اللغة – لأبى منصور الثعالبى – مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- فقه اللغة – لمحمد المبارك – دار الفكر – بيروت ١٩٦٨ م .
- فقه اللغة – د. على عبد الواحد وافى – دار نهضة مصر ط ٨ .
- فقة اللغة وخصائصها د. أميل يعقوب – دار العلم للملايين – بيروت ط ٢ ١٩٨٦ م .
- فقة اللغة فى الكتب العربية – د. عبده الراجحى – دار النهضة العربية – لبنان سنه ١٩٧٢ .
- الفلسفة اللغوية د. جرجى زيدان ط ١٩٠٤ .
- فى علم اللغة التطبيقى د. محمد فتيح – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٨٩ م .
- فى علمل اللغة العام – د. عبد الصبور شاهين . مكتبة الشباب ١٩٨٤ م .
- فى اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤ م .
- الكتاب – سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان) – ت : عبد السلام هارون – ط ١٩٧٧ م .
- كتاب العين فى آثار الدراسين – د. كمال محمد بشر – محاضرات مخطوطة ألقيت على طلاب دار العلوم ١٩٧١ – ١٩٧٢ م .
- كلام العرب د. حسين ظاظا – دار النهضة العربية ١٩٧٦ .

- لسان العرب – لابن منظور – ط دار صادر بيروت .
- اللسانيات العربية د. عبد القادر الفهرى – منشورات عويدات بيروت ١٩٨٦م .
- لغات البشر – ماريوباى – ترجمة د. صلاح العربى – قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٧٠ م .
- اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها – د. نايف خرما ود. على حجاج – عالم المعرفة الكويت ١٩٨٨ م .
- اللغات السامية – نولدكه – تعريب د. رمضان عبد التواب – المطبعة الكمالية ١٩٦٣ .
- اللغة واضطرابات النطق والكلام د. فيصل خير زاده – ط دار المريخ للنشر – السعودية .
- اللهجات العربية فى التراث د. أحمد علم الدين الجندى – الدار العربية للكتاب ١٩٨٣ .
- المباحث اللغوية د. مصطفى جواد – القاهرة ١٩٥٥ م .
- المحكم – لابن سيده (على بن إسماعيل – تحقيق مصطفى السقا ود. حسين نصار – البابى الحلبى ط ١ ١٩٥٨ .
- مختصر العين – أبو بكر الزبيدى – تحقيق علال الفاسى – مكتبة الوحدة العربية – الدار البيضاء سنه ١٩٦٣ .
- مراتب النحويين – أبو الطيب اللغوى – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة ١٩٥٥ م .

- المزهر – جلال الدين السيوطى ط الثالثة دار إحياء الكتب العربية وط البابى الحلبى تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين .
- المعاجم العربية د. عبد الله درويش – المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة ١٤٠٦ – ١٩٨٦ م.
- المعاجم العربية دكتور عبد الصبور شاهين – محاضرات مخطوطة ألقيت على طلاب دار العلوم سنه ١٩٧١ – ١٩٧٢ .
- المعاجم اللغوية د. محمد أحمد أبو الفرج ط بيروت ١٩٦٦ م .
- المعجم العربى – د. حسين نصار – مكتبة مصر للطباعة .
- المعجم العربى د. عبد القادر الفهرى – دار توبقال للنشر – الدار البيضاء ١٩٨٦ م.
- المعجمية العربية – الأب مرمرجى الدومنيكى – القدس ١٩٣٧ م .
- المعرب والدخيل – للجواليقى – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار الكتب بالقاهرة ١٣٦١ هـ .
- المغنى فى تصريف الأفعال د. محمد عبد الخالق عضيمة – دار الحديث ط ٣ ١٩٦٢ م.
- مفاتيح الألسنية – جورج مونين – تعريب الطيب البكوش – منشورات الجديد تونس ١٩٨١ م.
- مقدمة لدراسة فقة اللغة – د. محمد أبو الفرج – دار النهضة – بيروت ١٩٦٦ م.
- من أسرار اللغة – د. إبراهيم أنيس – الأنجلو المصرية ١٩٨٥ م .

- مناهج البحث في اللغة – د. تمام حسان – دار الثقافة – الدار البيضاء ١٩٧٩م.
- منهج الأدب واللغة . أنطوان ميبه – ترجمة د. محمد مندور – دار العلم للملايين سنه ١٩٤٦ م .
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري – دار الكتب العلمية بيروت .
- نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها – الأب أنستاس ماري الكرملي – القاهرة ١٩٤٨م.

مراجع أجنبية

- Arabic lexicogrophy, J.A Haywood, Leiden, 1965 .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
الفصل الأول : بين النظرية والتطبيق	١٤
الفصل الثانى : الأساس الصوتى	٣٠
الفصل الثالث : الأساس الكمى	٦٢
الفصل الرابع : الأساس التقليبى	١٠٨
الفصل الخامس : الأساس الجذرى	١٤٠
الخاتمة	١٧٤
ثبت المراجع	١٨٣

رقـــــم ايـــــد اع
٢٠٠٦ / ٩٢
رقـــــم د ولــــى
977 - 00 - 3728-7

دار الهانى للطباعه ـ شبرا الخيمه
ت ٢٢١٢٠٥٥